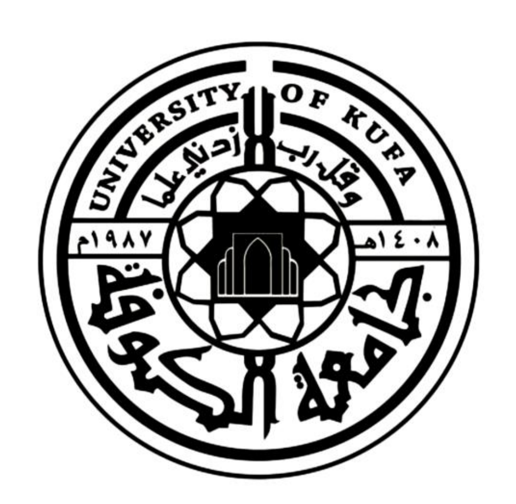


جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة – كلية الآداب
قسم التاريخ

الجرائم والعقوبات في العصر الفاطمي

(٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ – ١١٧١م)

دراسة تاريخية

رسالة قدَّمها الطالب

رائد صلاح شمال

الى مجلس كلية الآداب - جامعة الكوفة

وهي جزء من متطلبات شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

وسيم عبود عطية

١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة إبراهيم : آية ٤٩.

الإهــداء

إلــى من أنار لنا مصابيح السلام والأمان

بشهادته دفاعــاً عــــــن

الوطــن والمقدّســات

أخـــــي الشهيد البطل علــــــي

أهـدي ثمرة هذا الجهد المتواضع حُبّاً ووفاءً.

الشكر والتقدير

أشكر قبل كل شيء الله جل جلاله الذي يسر لي أمري وأولاني من نعمه التي لاتعد ولاتحصى والحمد لله والحمد حقُّهُ كما يستحقه حمداً كثيراً وكما هو أهله وكما ينبغي لجلال وجه الكريم.

بدايةً أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والاحترام والامتنان إلى الاستاذ الدكتور وسيم عبود عطية المشرف على الرسالة لما بذله من جهود علمية كبيرة ، وما قدمه لي من مساعدة ، وما بذله من قصارى جهده في أرشادي وتوجيهي ومتابعتي المستمرة في كل مراحل البحث لانضاج العمل بصورة علمية وأكاديميَّة دقيقة فجزاءه الله خير جزاء المحسنين.

كما وأقدم شكري وتقديري وأمتناني إلى جميع أساتذة قسم التاريخ الكرام في كلية الآداب - جامعة الكوفة الذين تتلمذت بينَ أيديهم في المرحلة التحضيرية فكانوا خيرعون ونصح لي . متمنياً لهم دوام الصحة والعافية والتقدم العلمي والمعرفي.

ومن الوفاء والعرفان أيضاً أن أقدم شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور حيدر لفتة سعيد الذي أرشدني وشجعني على أختيار عنوان الرسالة فجعل الله ذلك في ميزان حسناته.

كما وأود أن أسجل شكري وتقديري وأمتناني للعاملين في مكتبة الروضة الحيدرية العامة ومكتبة كلية الآداب في جامعة الكوفة ، والمكتبة المركزية في جامعة الكوفة ؛ لما قدموه لنا من مساعدة وتسهيلات ، فوفقهم الله لكل خير.

وفي الختام لابد لي أن أقدم شكري وأمتناني إلى زوجتي التي وقفت معي وكانت خير عون وسند لي في كل مراحل الدراسة ، فجزاها الله خير الجزاء.

الباحث

قائمة المحتوى

المقدمة - نطاق البحث وعرض لبعض المصادر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وبعد :

مثلت الجرائم هاجساً مخيفاً لكل الدول والمجتمعات في العصور الاسلامية المبكرة ــ ومنها العصر الفاطمي ــ الذي حفل بكل مظاهر الثراء والرفاهية والبذخ والترف ، ولكن هذا الأمر لم يمنع من حدوث العديد من الجرائم الخطيرة ، وارتكابها التي أفضت أما إلى إزهاق الأرواح أو السرقة أو الثراء الفاحش ، أو ضد الأفراد وأملاكهم الخاصة كان الدافع منها الطبيعة الانسانية الشريرة لبعض الافراد ، فكانت العقوبة وقسوتها هي الرادع الوحيد لدرء مثل هذه الجرائم والتصدي لها بكل حزم من أجل ضبط الامن والاستقرار في البلاد وكذلك الضرب بيد من حديد لكل من تسول له غرائزه الدنيئة بالتعدي على الآخرين وممتلكاتهم.

وتأتي أهمية الموضوع من الحاجة الماسة لدراسة الجرائم والعقوبات في العصر الفاطمي كون هذه المواضيع تعرضت للتجاهل من قبل الباحثين لاهتمامهم بتاريخ الحكام والأمراء وأهملوا مثل هذه الدراسات المهمة التي تشكل جزءاً حيوياً من تشكلات المجتمع في العصر الفاطمي خلال تلك الحقبة قيد الدراسة.

فإنَّ هذا النمط من الدراسات كان ــ ولم يزل ــ تكتنفه حالة من الغموض لإعراض كثير من الباحثين وعزوفهم عن ذكر تاريخ الجرائم والعقوبات وشؤون الرعية والاقتصار على الاهتمام بذكر تاريخ الحكام والأمراء.

وقد يرجع الاهتمام بتلك الدراسات إلى أنَّ نصيب الجرائم والعقوبات في العصر الفاطمي من الدراسات والبحوث كان محدوداً ما خلا بعض المؤلفات التي اشتملت على دراسات اختصت بعصور تلت عصرنا ــ قيد الدراسة ــ ومنها كتاب ((الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن ٦ – ٧ هـ / ١٢- ١٣ م)) للباحث الدكتور أحمد عبد الله أحمد ، وبحث ((الجرائم في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤ – ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢ – ١٥١٧م)) دراسة تاريخية للباحث الدكتور حسن فرحان عبد الستار عطية ، وآخر قيد النشر الا وهو ((الجرائم في العصر الفاطمي ٣٥٨ ــ ٤٢٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١٠٣٥م)) دراسة تاريخية للباحث الدكتور وسيم عبود عطية والباحثة غفران محمد عبد الحسين.

ولذا عُدَّ اختيار موضوع ((الجرائم والعقوبات في العصر الفاطمي ٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ــ ١١٧١م)) دراسة تاريخية بمثابة إطلالة ورؤية عامة على قضية خطيرة لطالما أرقت المجتمعات الاسلامية آنذاك ، ولذلك ارتأينا أن نسهم ولو بجهد متواضع في استكشاف مجاهل هذه المسألة

ومحاولة التنقيب فيها.

أما عن الصعوبات التي واجهت الباحث ؛ فهي عديدة لعل من أهمها قلة المصادر والمراجع التي تتحدث بشكل مباشر عن الجرائم والعقوبات في ذلك الوقت ، وهذا الأمر أستدعى إلى البحث في المصادر والمراجع عن تلك الحقبة من أجل الخروج بمعلومات تفيد بحثنا خلال مُدَّة الدراسة من أجل إظهار الموضوع بصورة واضحة للعيان.

فضلاً عن المُدَّة الزمنية ــ قيد الدراسة ــ كانت طويلة نوعاً ما وهذا الأمر حاول الباحث تلافيه من أجل عدم تشتت المعلومات في المصادر والمراجع.

وقد أقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث على مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة مركزة وأن يسبق الفصول تمهيداً يتناول فيه المفاهيم اللغوية ، والاصطلاحية ، والقانونية لمفهومي الجريمة والعقوبة وبيان مدلولاتهما ومعانيهما ؛ لكي يكتمل الموضوع من جميع الوجوه.

وأما الفصل الأول ، فقد خصص للحديث عن دوافع الجرائم في العصر الفاطمي ، وقد تطلبت طبيعة هذا الفصل تقسيمه على ثلاثة مباحث ، فكان الأول عنوانه الدوافع (السياسية ، والإدارية) للجرائم.

فتناولتُ فيه الصراع على السلطة والذي كان له دور كبير في ارتكاب الجرائم في العصر الفاطمي ، والتي كان مرتكبوها من الخلفاء والأمراء والوزراء وقادة الجيش أو من المقربين من سدة الحكم.

وأما بالنسبة إلى الصراع بين طوائف الجند ؛ فقد بينتُ فيه الصراعات الحاصلة بين طوائف وأصناف الجيش الفاطمي ، وأسباب تفجرها بين مُدَّة وأخرى ، والتي أدت إلى استنزاف طاقات الدولة المادية ، والبشرية.

وأما بخصوص الفساد الإداري فكان أحد المسببات التي أفضت إلى وقوع الجرائم من قبل الموظفين الحكوميين الذين كثيراً ما قاموا باستغلال وظائفهم الإدارية من أجل تحقيق الكسب غير المشروع والمبرر من خلال طلب الرشوة ، على الرغم من توفير الدولة الفاطمية الحياة الكريمة ومناسبة لهم ، فضلاً عن بروز ظاهرة بيع المناصب الحكومية من قبل الوزراء إلى كل من يدفع المبلغ الأعلى فيتم تعيينه في هذه الوظيفة لمُدة معينة مقابل مبلغ من المال.

وحاولتُ إظهار محاولات استغلال أهل الذمة للمناصب الادارية وتلاعبهم فيها بعد تبوئهم للوظائف الحكومية في كافة مفاصل الدولة والإدارة وانحيازهم إلى بني جلدتهم ، وفي الحقيقة فإنَّ هذه النقطة ولدت التذمر وأثارت الرأي العام والعامة من المسلمين ؛ وذلك لاحتكارهم السلطات وإنزواء أبناء المسلمين في وظائف مغمورة ومتواضعة جداً.

وفيما يخص المبحث الثاني المتعلق بالدوافع الاقتصادية للجرائم فقد أشار الباحث إلى أثر الدوافع الاقتصادية المتردية والصعبة التي تعصف بأي دولة وما تؤدي به من كثرة المنازعات والمشاحنات، فكان الحظر على الأسواق إحدى الاجراءات التي أتبعها الفاطميون في أسواق مدينة القاهرة والفسطاط وسائر المدن المصرية آنذاك ، حتى أَنَّ الدولة قد لجأت إلى فرض العقوبات التي أتسمت بالشدة على كل من يخالف أوامرها في الأسواق من الباعة والتجار.

وجاء فرض الضرائب وارتفاع الاسعار كأحد الدوافع لحدوث الجرائم وتزايدها في تلك الحقبة ، وحتى أَنَّ الدولة الفاطمية نفسها فرضت الضرائب وبشكل كبير من أجل معالجة النفقات وتسهيل معاملات الدولة بتسديد مرتبات الموظفين والأجناد ، وأدى هذا الإجراء من قبل الدولة بفرض الضرائب الباهظة على كافة السلع والبضائع الواردة إلى الأسواق إلى ارتفاع أسعارها مما يؤدي بالضرر على البائع والمشتري على حدٍ سواء.

وما ترتب على ذلك حدوث كثير من الأزمات الاقتصادية والمجاعات في العصر الفاطمي من ارتفاع أسعار الحبوب والمواد الغذائية وانهيار القوة الشرائية للنقود ، وأصبحت الأموال والممتلكات لا أهمية لها أمام الحاجة الملحة للعامة للغذاء.

وأما المبحث الثالث فتم التطرق فيه إلى الدوافع الاجتماعية للجرائم ، والتي تدخل في كل ما يخص سلوكيات المجتمع من احتفالات دينية ووطنية ، أو الاهتمام بمظاهر الترف والإسراف ، وجميعها عوامل تسهم في إنفاق الأموال على أمور غير مهمة وتدفع بخزينة الدولة إلى الإفلاس.

فكانت الاحتفالات والأعياد مسرحاً لحدوث بعض الجرائم ضد الدولة أو الأفراد مثل النهب والسلب أو الانحلال والتهتك الاخلاقي من بعض الأفراد وبخاصة النصارى ، وفيما يخص البذخ والترف والإسراف فكان أحد الأسباب المهمة لحدوث الجرائم في العصر الفاطمي وخاصةً الوزراء الذين أصبحوا فئة متخمة ومنفصلة عن العامة لثرائهم الفاحش وحجم ممتلكاتهم الواسعة.

وأما الفصل الثاني فقد أشتمل على أربعة مباحث استعرضتُ فيه أنواع الجرائم في العصر الفاطمي ، فكان أولها يركز على الجرائم التي تهدد سلطة الدولة والحكم وبالآتي تؤدي إلى فقدان السيطرة على زمام الأمور في البلاد ، وقد أشتمل هذا المبحث على التمرد والعصيان على سلطة الدولة فكان ضعف الخلفاء الفاطميين وبخاصة في العصر الثاني والانشقاق الداخلي الذي حصل بين أنصار المذهب الإسماعيلي كلها عوامل قادت البلاد إلى حدوث مشاكل كثيرة أضرت كثيراً بصورة الفاطميين وتراثهم الروحي وفقدانهم لكثير من ممتلكاتهم الخارجية.

كما وتناولتُ فيه أيضاً المؤامرات والخروج على طاعة الدولة ، والتي كانت تهدف إلى إشاعة الفوضى والانقسام واستنزاف موارد البلاد والخزينة وإفقار العامة ، وتاريخ الفاطميين كان حافلاً بالكثير من الأمثلة والشواهد على هذا الأمر.

وبالنسبة إلى التهديدات والأخطار الخارجية ؛ فكانت من أبرز العوامل التي أسهمت في زعزعة سلطة الدولة والحكم الفاطمي وبخاصةً أنها كانت تتركز في محورين مهمين هما (الحروب الصليبية والأخطار الخارجية) المتمثلة بالأتراك ــ شخصية نور الدين محمود ــ وتدخلهم في شؤون مصر الداخلية.

وجاء التجسس وإفشاء أسرار الدولة باعتباره من أخطر الجرائم التي تهدد كيان الدولة والحكم ، وحاول الفاطميون مكافحة الأنشطة التجسسية الموجهة ضدهم داخلياً ، وخارجياً والتصدي لها مبكراً وتحجيمها بقدر الإمكان ومحاولة تجنيد عدد من الأشخاص الموثوقين من أصحاب الفراسة والخبرة لنقل الأخبار المهمة وما يدور من أحداث من أجل التصدي لكل المؤامرات بشكل مبكر وإحباطها.

وأما المبحث الثاني ؛ فجاء بعنوان الجرائم ضد الأفراد ، وكان من أبرزها جرائم القتل والتي حصلت ضد الأفراد من العامة كالتجار والأثرياء أو من الشخصيات والقادة البارزين في العصر الفاطمي وتنوعت الجرائم بين فردية أو جماعية.

وذكرتُ فيه السب والشتم والذي يُعد من الجرائم المعنوية ، والذي يحتوي على كثير من صور الإساءة سواء أكانت قولية أو فعلية أو إشارات أو غير ذلك.

وتمحور المبحث الثالث حول الجرائم ضد الأموال والممتلكات العامة والخاصة ، وقد جرى تقسيمه على السرقة والنهب وقطع الطريق والذي كانت تقوم به في أغلب الاوقات طوائف الجند والقبائل والعربان والتي كانت تثير المشاكل والاضطراب والمتاعب داخل الدولة الفاطمية حتى أنهم أصبحوا أداة للهدم والتخريب بدلاً من كونهم أداة لتعزيز الأمن والاستقرار؛ بسبب كثرة فسادهم وزيادة طلبهم للأموال من السلطة المركزية.

وتضمن المبحث أيضاً جرائم خيانة الأمانة واختلاس الأموال من قبل الأفراد من أجل الحصول على الأموال واستغلال فرصة ضعف السلطة وغياب الرقابة الادارية وفساد الذمم وضعفها آنذاك.

وفيما يخص المبحث الرابع الذي حمل عنوان الجرائم ضد الاخلاق والآداب العامة فقد انتشرت في العصر الفاطمي عدد من الجرائم الاخلاقية فكان منها الزنا والبغاء وغواية النساء وكلها كانت جرائم خطيرة تمثل قمة الانحطاط الانساني وكانت تشكل وصمة عار للمجتمعات الاسلامية المحافظة آنذاك وسعت الدولة الفاطمية إلى المكافحة والتصدي لانتشار هذه الجرائم وبشكل حازم ولم تتردد في فرض كثير من العقوبات الرادعة باتجاه من تثبت التهمة عليه بارتكابه مثل هذه الأفعال المسيئة.

وكانت جرائم السكر وشرب الخمر واللَّهو وسَّماع المُغنى هي الاخرى من الجرائم الخطيرة والتي انتشرت بين بعض فئات المجتمع ، وبخاصةً أنها حصلت على نوع من التشجيع من بعض الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة ، وبخاصةً أن الدولة الفاطمية كانت تحتفي بكثير من المناسبات والأعياد الدينية والقومية وكان هذا الأمر مدعاة للقلق والخوف من بعض الخلفاء نتيجة الاختلاط بين النساء والرجال ومعاقرة الخمر وغيرها من الأمور المسيئة إلى الآداب والأخلاق العامة.

وجاء الكفر والردة عن الاسلام كإحدى الجرائم التي مثلت تهديداً خطيراً لقيم المجتمع الإسلامي ومبادئهِ آنذاك من خلال بروز عدد من الدعاة الذين أخذوا بالدعوة الى عبادة الحاكم بأمر الله ، فضلاً عن ظهور عدد من الأشخاص الذين أدَّعوا النبوة ، وهذه كلها جرائم تعمل على إشاعة الكفر والإلحاد داخل المجتمع المسلم.

وأما فيما يخص الفصل الثالث والأخير والذي كان تحت عنوان أنواع العقوبات في العصر الفاطمي وطرق تنفيذها فجاء بأربعة مباحث كان أولهما : عقوبات الإعدام وأنواعها وأشتمل على الضرب بالسيف (الرقاب والأعناق) ، فكان السيف إحدى الادوات المهمة التي تستعمل في تنفيذ عقوبة الاعدام ، أما الشنق فكان إحدى العقوبات التي طبقت ضد عدد من المخالفين والمجرمين ، وجاءت عقوبة الصلب كإحدى عقوبات الإعدام المعمول بها في العصر الفاطمي وجرى تنفيذها ضد العديد من الأفراد.

ومثّل الحرق أحد عقوبات الإعدام في العصر الفاطمي أيضاً وتعرض له العديد من الأشخاص الذين ثبت اختلاسهم أو سرقتهم للأموال أو ممارستهم للرذيلة والفساد.

كما وعُدَّ التغريق في النيل كإحدى عقوبات الإعدام ، والتي كان معمولاً بها في العصر الفاطمي ؛ ولكنها كانت تنفذ على نطاق ضيق ومحدود بحق المخالفين لقرارات الدولة.

وأما المبحث الثاني فكان بخصوص العقوبات البدنية والتي شملت الضرب والتشهير وقد استعملت بشكل واسع طوال العصر الفاطمي ضد عدد كبير من العامة أو الخاصة.

فضلاً عن عقوبات بدنية أخرى مثل (قطع اليد ــ التسمير ــ التعليق) واستعملت أغلبها على نطاق ضيق ضد عدد من المجرمين والموظفين الذين ثبت عليهم تقصير واخلال بواجباتهم تجاه العامة.

وجاء المبحث الثالث حول عقوبات السجن والنفي وتحديد الإقامة وكلها عقوبات رادعة من أجل التصدي للجناة والفاسدين والخارجين على طاعة الدولة والمتمردين على قراراتها.

وبخصوص المبحث الرابع فقد أشتمل على العقوبات الإدارية والمالية والتي توزعت على المصادرة والعزل من الوظيفة ، وكذلك الغرامة ففرضت هذه العقوبات على مختلف الطوائف مثل

الوزراء والقادة والقضاة فضلاً عن العامة من الأفراد في حالة ارتكابهم المخالفات وسوء إدارتهم إلى الأعمال والمهام المناطة بهم ، ناهيك عن الخارجين على طاعة الدولة والمتمردين على أوامرها.

وأنهينا بحثنا بخاتمة مركزة أوجزنا فيها خلاصة ما توصلنا إليهِ من نتائج تم استنبطاها من خلال النصوص التي وردت في مصادرنا الأولية.

وأعتمد البحث على عدد كبير من المصادر والمراجع التي أضافت لهذا العمل كثيراً من الآراء والأفكار المهمة ، ويمكن استعراض بعضها كالنحو الآتي :

أولاً : كتب التاريخ

١. أخبار مصر في سنتين (٤١٤ ـ ٤١٥هـ) ـ لمؤلفه أبي عبيد الله محمد بن عبيد الله بن عبد العزيز المسبحي (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) ، وهذا المؤلف من أهم المصادر المتقدمة ؛ وذلك لأن مؤلفه عاصر جزءاً من خلافة العزيز بالله وكل خلافة الحاكم بأمر الله وبضعة سنوات من فترة حكم الظاهر لإعزاز دين الله ، ولهذا الكتاب أهمية كبيرة لبحثنا لأنه فيه ذكر لكثير من الجرائم والعقوبات في تلك الحقبة فضلاً عن الكثير من الكوارث الطبيعية والازمات الاقتصادية التي دفعت الأفراد إلى ارتكاب الجرائم ؛ بسبب الجوع ونقص الغلال وارتفاع الاسعار.

٢. تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ـ لمؤلفه يحيى بن سعيد الانطاكي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م) ، ولهذا الكتاب أهمية خاصة لان مؤلفه أمضى الاربعين سنة الاولى من حياته في مصر ، ولهذا يُعد هذا المصدر حافلاً بالكثير من التفاصيل والمعلومات حول الجرائم والعقوبات التي شهدها العصر الفاطمي الاول ، وخاصةً فترة المعز لدين الله والعزيز بالله والحاكم بأمر الله وأبنه الظاهر لإعزاز دين الله.

٣. أخبار الدول المنقطعة ـ لمؤلفه جمال الدين أبي الحسن علي بن ظافر الازدي (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) ، وهذا الكتاب له ميزة خاصة بأعتباره يضم بين دفتيه أخبار الخلفاء الفاطميين ومرتب بحسب مُدَّة حكمهم ، وقد أحتوى على الكثير من المعلومات المهمة والتي قدمت للبحث معلومات مفيدة حول موضوع الدراسة والبحث.

٤. المنتقى من أخبار مصر ـ لمؤلفه تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب المعروف بأبن ميسر (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م) ، ويُعد واحداً من المصادر الاصلية لدراسة تاريخ الفاطميين المتأخرين ، وقد أفاد هذا الكتاب البحث بتسليطه الاضواء على الكثير من الجرائم والعقوبات التي حدثت في العصر الفاطمي ، وكان لروايته أهمية خاصة لما أمتاز به من الصدق في التعبير والوصف لكثير من الحوادث.

٥. كنز الدرر وجامع الغرر . المسمى الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ـ لمؤلفه أبي بكر عبد الله بن أيبك الدواداري (ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م) ، والكتاب من اهم المؤلفات التي تناولت تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر ، وجاء تركيزه على عدد من الجرائم والعقوبات في هذا العصر ، والتي تم إيرادها بشكل متسلسل طبقاً لنظام الحوليات بالنسبة للسنوات.

٦. إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ــ لمؤلفه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، وهي أشمل دراسة تتناول تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها في أفريقية حتى سقوطها في مصر ، ولم يفت للمقريزي في كتابه هذا أن يؤرخ للأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع خلال العصر الفاطمي وكان من أهمها الجرائم المرتكبة آنذاك وكذلك العقوبات.

٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ــ لمؤلفه أبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، وهذا الكتاب يؤرخ فيه مؤلفه لكل من حكم مصر منذ الفتح العربي الاسلامي سنة (٢٠هـ / ٦٤٠م) إلى سنة (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) وفيه تطرقَ الى الجرائم والعقوبات في العصر الفاطمي.

ثانياً : كتب التراجم والطبقات

١. الإشارة إلى من نال الوزارة ــ لمؤلفه أبي القاسم علي بن منجي الصيرفي (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) ، وهو كتاب خاص بتراجم الوزراء المصريين ، فكان هذا الكتاب ذو فائدة كبيرة للبحث لأنه تتبع أحوال الوزراء في الدولة الفاطمية وإجراءاتهم في التصدي للجرائم ، وكذلك العقوبات التي فرضت أحوال الوزراء في الدولة الفاطمية وإجراءاتهم في التصدي للجرائم ، وكذلك العقوبات التي فرضت على الوزراء المتهمين بجرائم السرقة أو الاختلاس والرشوة.

٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ لمؤلفه أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وفيه العديد من المعلومات عن أبرز شخصيات الدولة الفاطمية ورجالها مما وردت في بحثنا.

٣. المقفى الكبير – للمقريزي ، وهو من أهم كتب التراجم المصرية وفيه معلومات قيمه عن أهم الجرائم والعقوبات في تلك الحقبة من قبل رجال الدولة والوزراء والقادة والعامة.

ثالثاً : كتب الجغرافيا والرحلات

١. سفرنامة . رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري – لمؤلفها ناصر خسرو (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) ، وفيه وصف شامل لمدينة القاهرة وعادات وتقاليد سكانها ومدى الثراء والغنى الذي تمتع به الفاطميون ، وأورد كذلك بعض المعلومات والروايات حول بعض الجرائم التي وقعت في تلك الفترة والعقوبات المترتبة عليها آنذاك.

٢. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الإدريسي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) ، ويُعد هذا الكتاب من المصادر الجغرافية المهمة والبارزة الذي أحتوى على اسماء المدن والمواقع التي ذكرت في سياق البحث والتي تم تعريفها.

٣. معجم البلدان ـ لمؤلفه شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، وهذا الكتاب من أهم وأشمل المصادر الجغرافية وأنفسها لما شمله من معلومات مهمة حول الكثير من المواقع والمدن وأهم الأحداث التي حدثت آنذاك وقد أفاد البحث منها.

رابعاً : كتب النظم والادارة

١. قوانين الدواوين ـ لمؤلفه أبي المكارم الاسعد بن مهذب أبن مماتي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) ، وأضاف هذا الكتاب معلومات مهمة لبحثنا وخاصةً فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية للدولة الفاطمية.

٢. نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ـ لمؤلفه أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني أبن الطوير (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) ، وذكر هذا الكتاب عدد من المناصب والوظائف الادارية وقد أفاد البحث منها.

٣. إغاثة الأمة بكشف الغمة ـ للمقريزي ، وهذا الكتاب زود البحث بتفاصيل دقيقة عن الازمات الاقتصادية والمجاعات التي أصابت البلاد في العصر الفاطمي.

خامساً : كتب الخطط والموسوعات

١. نهاية الإرب في فنون الأدب ـ لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) ، ويُعد هذا الكتاب من الكتب الموسوعية وقد أفاد بحثنا بالكثير من المعلومات حول الجرائم والعقوبات التي حدثت في تلك المُدَّة.

٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ــ لمؤلفه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، ويقدم المؤلف في كتابه معلومات قيمة حولة الدولة الفاطمية وخاصةً فيما يتعلق بالأعياد والمواسم والمواكب والعادات وكلها إحتوت على نصوص حول الجرائم والعقوبات التي كانت تحدث في تلك المناسبات.

٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ــ للمقريزي ، وهو من أهم وأشمل الكتب والذي يقدم وصفاً عاماً عن مصر وجغرافيتها في تلك الحقبة ، فضلاً عن التنظيمات الإدارية والسياسية المتعلقة بدواوين الادارة والمالية ، وقد أمدَّ الرسالة بفصولها الثلاثة بمعلومات في غاية الأهمية.

سادساً : كتب اللغة والأدب

١. العين مرتباً على حروف المعجم ــ لمؤلفه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م) ، وهو من كتب المعاجم اللغوية المهمة ، والتي أفادت البحث في تعريف الكثير من المصطلحات التي وردت في سياق الرسالة.

٢. لسان العرب ــ لمؤلفه أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي أبن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، ويُعد هذا الكتاب من المعاجم اللغوية المتميزة ، والذي أفاد البحث من خلال تعريف عدد من المصطلحات التي وردت في سياق الرسالة.

٣. خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر ــ لمؤلفه أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبو الفرج العماد الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) ، وهو من الكتب الأدبية المهمة ، وقد أفاد البحث منه من خلال تعريف عدد من الشعراء المصريين الذين وردوا في سياق الرسالة.

سابعاً : المؤلفات الحديثة

وقدمت هذه المؤلفات الحديثة معلومات كثيرة أغنت الرسالة بوجهات نظر وإستنتاجات كثيرة ومعلومات قيمة ساعدت في تخطي الكثير من العقبات ، وكان من أبرزها على سبيل المثال ، كتاب (تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب) ، و كتاب (الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص) للدكتور. حسن أبراهيم حسن ، وكتاب (ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر التاريخ السياسي) للدكتور . عبد المنعم ماجد ، وكتاب (حالة مصر الإقتصادية في عهد الفاطميين) للدكتور . راشد البراوي ، وكتاب (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي) للدكتور. محمد حمدي المناوي ، وكتاب (الدولة الفاطمية في

مصر تفسير جديد) للدكتور . أيمن فؤاد سيد ، وكتاب (الفساد في الدولة الفاطمية « ــ سياسياً ــ إدارياً ــ إجتماعياً ــ إقتصادياً ») للمؤلف . تيسير محمد محمد شادي ، وكتاب (الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية) للمؤلف . عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، وكتاب (في التاريخ العباسي والفاطمي) للدكتور . أحمد مختار العبادي ، فضلاً عن الكثير من البحوث والمقالات المنشورة والرسائل والاطاريح الجامعية التي أضافت الكثير للرسالة وزودتها بفيض كبيرمن المعلومات والحقائق المهمة.

وفي نهاية بحثي آمل أن أكون قد وفيت الدراسة حقها ، وأسال الله تعالى عز وجل أن يوفقنا لما فيه خير للعلم وطلابه أن شاء الله تعالى.

الباحث

التمهيد

المفاهيم اللغوية ، والاصطلاحية ، والقانونية للجريمة والعقوبة

أولاً : مفهوم الجريمة في :(اللغة ، والاصطلاح ، والقانون)

١- **مفهوم الجريمة في اللغة**

٢- **مفهوم الجريمة في الاصطلاح**

٣- **مفهوم الجريمة في القانون**

ثانياً : مفهوم العقوبة في :(اللغة ، والاصطلاح ، والقانون)

١- **مفهوم العقوبة في اللغة**

٢- **مفهوم العقوبة في الاصطلاح**

٣- **مفهوم العقوبة في القانون**

التمهيد: المفاهيم اللغوية ، والاصطلاحية ، والقانونية للجريمة والعقوبة

لم تكن الجريمة ظاهرة إنسانية فحسب بل أنها ظاهرة طبيعية كانت تلازم الحياة أينما وجدت ، كما وارتبطت ارتباطاً طبيعياً بالمجتمع ، بمعنى انه حيثما كانت الحياة الاجتماعية في أبسط صورها فإنَّ الجريمة تكون فيها موجودة [١] ، وأصبحت الجريمة ظاهرة اجتماعية يتعرض لها كل المجتمع البشري[٢]، وبما إنَّ الجريمة تشكل خطراً يصيب المجتمع ومقوماته الأساسية ، فإنَّها سوف تؤدي إلى تهديد أمنه واستقراره ، ولذا جاءت العقوبة كونها الوسيلة الفعالة في مكافحة الجريمة ، وسبل الوقاية منها ، فإنَّ الجهود ركزت قديماً على وظيفة العقوبة بوصفها وسيلة رادعة تمنع الآخرين من ان يقدموا على إرتكاب الجُرم ، فكانت تمثل الشر في مواجهة الجريمة ، ومن المفترض أن تكون فعالة ومنتجة لتحقيق أهدافها ، أكثر مما أن تكون مؤذية ومؤلمة وقاسية [٣].

إنَّ مفهوم العقوبة وأهدافها قد تطور ، نتيجةً للتطور الفكري ، والحضاري، والإنساني ، وأصبح لها وظيفتان : الأولى تمثل طبيعة أخلاقية في تكفير الجاني عن الذنب الذي اقترفه ، وإيقاظ الشعور بالمسؤولية التي على عاتقه ، وغرض إرضاء الشعور بالعدالة المتجذر في النفس الإنسانية الذي يحقق معنى القصاص ، والذي بدوره يمنع الجاني والجماعة نفسها من السعي في الانتقام الجماعي ضد مر تكبي الجريمة أو ذويه[٤] ، ((فاستخراج الجُرم من العقوبة هو أ فضل وسيلة لجعل العقوبة مناسبة للجريمة ... إذ عندئذ لا تأتي العقوبة من أرادة المشرع ، بل من طبيعة الأشياء فلا نرى الإنسان يمارس عنفاً على الإنسان))[٥].

وأما فيما يخص الوظيفة الثانية فهي نفعية أي : أنها تسعى إلى تحقيق الردع العام عن طريق تهديد كافة العامة بحصول العقاب على كل من يخالف الاوامر التي يصدرها المشرع فهي تستهدف الآخرين بصورة خاصة ((كل المجرمين المحتملين ... وبه يمتنع الجميع عن الجريمة أنها

---

(١) ابو الماين ، نجيب ، الجريمة والمسألة السوسيولوجية دراسة بأبعادها السوسيوثقافية والقانونية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري قسطنطينية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر ، ٢٠٠٨م، ص٥٠.

(٢) الساعاتي ، أسامة حسن ، الجريمة والعقوبة ،(دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ م) ، ص ١٤١ ؛ عطية ، وسيم عبود ، – وعبد الحسين ، غفران محمد ، الجرائم في العصر الفاطمي (٣٥٨–٤٢٧ هـ/ ٩٦٨ – ١٠٣٥م) دراسة تاريخية ، بحث قيد النشر في مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة ، ص ٢ – ٣.

(٣) لمقدم ، حمر العين ، الدور الإصلاحي للجزاء الجنائي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة ابو بكر بلقايد – تلمسان ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر ، ٢٠١٥م ، ص ١.

(٤) ابو زهرة ، محمد ، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي – العقوبة ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت) ، ص ٢٦ ؛ الشاذلي ، فتوح عبد الله ، أساسيات علم الإجرام والعقاب ، (منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠٠٩ م) ، ص ٣٦٩.

(٥) فوكو ، ميشيل ، المراقبة والمعاقبة ولادة السجن ، ترجمة : د .علي مقلد ، (مركز الانماء القومي ، بيروت ، ١٩٩٠م) ، ص ١٣١.

العملة الجيدة التي تحل في الأذهان محل المكسب الكاذب من الجريمة ، من أجل هذا يجب أن تكون العقوبة في نظر الناس لا أمراً طبيعياً فقط ، بل مفيداً ، يجب أن تكون بحيث يستطيع كل فرد أن يقرأ فيها مكسبه الخاص ...))[١].

وأيضاً يمكن أن يتحقق الردع الخاص عن طريق إصلاح حال الجاني وعلاج الخطورة الاجرامية التي تكمن في نفسه ((بحيث ترى وكأنها تعويض يدفعه المجرم لكل من مواطنيه ،من أجل الجريمة التي أضرت بهم جميعاً عقوبات تقع بدون انقطاع تحت أعين المواطنين ، وتظهر وتبرز المنفعة العامة للحركات المشتركة والخاصة))[٢].

أولاً : مفهوم الجريمة في : (اللغة ، والاصطلاح ، والقانون)

برز الاهتمام بالجريمة والجرائم بوصفهما مفهومين اكثر تحديداِ عن بقية المفاهيم الاخرى منذ مُدَّة طويلة ، وقد ارتبط الاهتمام بهما بدراسة السلوك الإجرامي بشكل عام ، فضلاً عن ذلك أنهما من المواضيع التي تحتاج قديماً وحديثاً إلى دراسة ؛ وذلك لتغير اشكالها وخطورتها تبعاً لتغير الزمن[٣].

١- مفهوم الجريمة في اللغة

وردت كلمة الجريمة في اللغة العربية بمعانٍ عدة ، فالجُرم والجريمة تعني الذنب[٤]، والجريمة مأخوذة من جُرم ، والجُرم يفيد التعدي ، والجمع إجرام وجروم ، وهو الجريمة ، والجُرم هو مصدر الجارم الذي يجرم على نفسه وقومه شراً ، والجارم الجاني ، والمجرم : المذنب [٥]، وذكر آخر أن جَرم جُرماً من باب ضرب ، أي : بمعنى الذنب واكتسب الإثم[٦]، وذكر القرآن الكريم في موارد عدة مفهوم الجريمة ، منها قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ

---

(١) فوكو ، المراقبة ، ص ١٣٣ ؛ عطية ، ــ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٣.

(٢) فوكو ، المراقبة ، ص١٣٣.

(٣) سمور ، اسامة احمد محمد ، الجرائم السياسية في التشريع الجنائي الإسلامي (دراسة فقهية مقارنة) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٩م ، ص ١٠.

(٤) الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢ م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، (ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م) ، ص ١٨٨٥ ؛ الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م) ، مختار الصحاح ، ضبط وتصحيح : احمد شمس الدين ،(دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م) ، ص ٦١.

(٥) الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١ م) ، العين مرتباً على حروف المعجم ، ترتيب وتحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م) ، ٢٣٤/١ ؛ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) ، لسان العرب ،(ادب الحوزة للنشر ، قم ،١٩٨٥ م) ، ١٢/ ٩١.

(٦) الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المغربي (ت ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨م) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تحقيق : د. عبد العظيم الشناوي ،(ط٢،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م) ، ١/ ٩٧.

هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١] ، وكلمة (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ) ، بمعنى لا يكسبنكم بغض القوم أن تعدلوا من العدل إلى الظلم ، ومن الحق إلى الباطل[٢]، ولا يدخلنكم في الجُرم ، أي : الدخول في الإثم[٣].

ويتضح من خلال ما تقدم أَنَّ كلمة الجريمة بالمعنى اللغوي تطلق على كل ما هو منافٍ ومخالف للحق والعدل والاستقامة[٤].

٢- مفهوم الجريمة في الاصطلاح

أخذت كلمة الجريمة عدة مفاهيم في الاصطلاح من أهمها هي : ((محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير)) [٥] ، والمحظورات هي : إما إتيان فعل منهي عنه ، أو ترك فعل مأمور به ، وقد وصفت المحظورات بأَنَّها شرعية إشارةً إلى انه يجب في الجريمة أن تحظرها الشريعة الإسلامية[٦].

وعلى هذا فالجريمة في الشريعة تعني إتيان فعل محرم معاقب على فعله ، أو ترك فعل معاقب على تركه ؛ وذلك لأن الله عز وجل جعل لكل من يخالف أوامره ونواهيه عقاباً بشقيه الدنيوي والآخروي ، فأما الدنيوي فينفذ من قبل الحكام ، وأما الآخروي فيتولى تنفيذه الحاكم الديان، ولا يُعد الفعل ، أو الترك جريمة إلا إذا كان معاقباً عليه[٧].

٣- مفهوم الجريمة في القانون

الجريمة قبل كل شيء هي عبارة عن سلوك إجتماعي منافي للقيم الثقافية الموجودة في المجتمع ، والتحدي الذي ينم عن جرأة واستهتار صاحبها بها ، وعلى ضوء ذلك ينبغي أن يكون قانون العقوبات حاضنًا لهذه القيم ومدافعاً عنها ، وهذا ما أشار اليه العالم المتخصص في علم الاجرام (Mannheim Herman) ، إنَّ القيم التي يسعى إلى حمايتها القانون الجنائي يجب أن

---

(١) سورة المائدة : آية ٨.

(٢)القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢م) ، الجامع لأحكام القـران (تفسير القرطبي)، تحقيق وتصحيح: ابو اسحاق إبراهيم اطفيش ،(دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م) ، ٤٥/٦.

(٣) المصدر نفسه ، ٦ / ١١٠.

(٤) الكيلاني ، جمال زيد ، مقاصد العقوبة في الشريعة الإسلامية ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الانسانية ، المجلد ٢٨ ، العدد ١ ، السنة ٢٠١٤ م ، ص ٩٤.

(٥) الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : د . أحمد مبارك البغدادي ، (مطابع الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٩ م) ، ص ٢٨٥.

(٦) عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت)، ٦٦/١.

(٧) أبو زهرة، الجريمة – الجريمة، (مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة ، ١٩٩٨م)، ص٢٠.

تصب بالدرجة الاولى في حفظ الحياة البشرية اولاً ، وقبل كل شيء[١].

ومن خلال الإضافات القيمة التي قدمتها العلوم ، والتي تخصصت بدراسة الظاهرة الاجتماعية، فأَنَّ الجريمة هي ظاهرة نسبية ترتبط إرتباطاً كبيراً بالزمان والمكان الذي حدثت فيه ، وإِنَّ المجتمع هو من يمتلك القدرة والسلطة في الفصل ما بين هو مباح وماهو محظور مستنداً على اساس الثنائية الابدية التي هي الخير والشر ، إِنَّ التصرفات التي يسلكها الافراد تخضع لعمل تقيمي من قبل المجتمع ، ويتوقف هذا العمل بشكل كبير على مدى الوعي الثقافي ، فأَنَّ المجتمعات التقليدية التي لايزال للعرف والمعتقدات الشعبية دور في تحديد ماهية الافعال التي تشكل خطراً على السلامة الإنسانية ، ولذا فأَنَّ أي نظام قانوني ، أو جزائي لا يتفق مع هذا المعيار ، وقد يجد صعوبات كبيرة أثناء التطبيق[٢].

إِنَّ الحياة الاجتماعية في المجتمعات المتحضرة تتبنى إتجاهاً آخر ، فالنظام القانوني المطبق فيها هو في الحقيقة نتاج تفاعل طويل ومعقد بين الأفكار القانونية والوعي الجماعي المشترك ، ففي هذه الحالة يقل الرفض المتعمد والارادي لنصوص وأحكام القانون من قبل الافراد ، وإن حصل ذلك فأَنَّه لا يتعدى عن النطاق العادي لمجريات الأمور[٣].

على الرغم من إِنَّ القانون إمتنع عن إعطاء تعريف جامع وشامل لمعنى الجريمة ، فإِنَّ ذلك لا يمنع من أَنَّ بعضهم قد وضحها بأَنَّها ((إما عمل يحرمه القانون وإما إمتناع عن عمل يقضي به القانون ، ولا يُعد الفصل أو الترك جريمة في نظر القوانين الوضعية إلا إذا كان معاقباً عليه طبقاً للتشريع الجنائي))[٤] ، أو إنها ((سلوك إنساني منحرف ، يمثل إعتداء على حق ، أو مصلحة من الحقوق ، أو المصالح التي يحميها القانون))[٥].

---

(١) شتا ، السيد علي ، علم الاجتماع الجنائي ، (مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ١٩٩٧ م) ، ص٢٢ ؛ عطيه ، ــ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٥.

(٢) شتا ، علم الاجتماع ، ص٢٤.

(٣) عليلي ، عبد الصمد ، الجريمة بين المفهوم القانوني ومدلولاتها في مخيلة الافراد وثقافتهم ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة ابو بكر بلقايد ، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٣م، ص١٧٥.

(٤) عودة ، التشريع الجنائي ، ١ / ٦٦.

(٥) خضر ، عبد الفتاح ، الجريمة وأحكامها العامة في الاتجاهات المعاصرة في الفقه الإسلامي ،(دار البحوث العلمية ، الرياض ، د.ت) ، ص ١١ــ ١٢.

ثانياً : مفهوم العقوبة في : (اللغة ، والاصطلاح ، والقانون)

عندما وضع الإسلام قواعده للجريمة والعقوبة جعل أساس العقوبة جلب المصلحة ودفع المفسدة ، وقرر العقوبات لحماية الدين والنفس والعقل والمال، والعقوبات التي قررتها الشريعة الإسلامية في جنسها ومقدارها لم تكن إلا تحقيقاً لهذه الحماية وتأكيداً لها ،فجاء حد العقوبة مناسبة لحاجة الجماعة ومصلحتها، بحيث إذا اقتضت هذه المصلحة التشديد في العقوبة شُددت حتى الرجم والقتل، وإذا اقتضت التخفيف خُففت إلى عقوبات بسيطة ومحدودة[١].

وجاءت العقوبة للمحافظة على المصالح المعتبرة في الإسلام ، ولم يتم تقدير المصالح بحسب أهواء العامة وأغراضهم ، فقد يكون الأمر غرضاً مقصوداً في ناحيه وهو نافع فيها ، ويكون من الجانب الآخر مضراً كما نرى في العقوبة ، فهي من ناحيه ضرر واقع بمن تقع عليه ممن إرتكبوا موجبها ، ونفع مؤكد للمجني عليه والمجتمع ككل [٢] ، ومن جانب آخر فإنَّ العقوبة في الشريعة الإسلامية تتجه إلى الفضيلة المجردة ، وبهذا تفترق عن العقوبات التي يضعها البشر ويحكم الجماعة بمقتضاها ؛ وذلك لأنَّ العقوبات في القانون الوضعي تكون مشتقة من أوضاع العامة وما تعارفوا عليه ، أو تأتي كرد فعل على الاوضاع السائدة قبل سن التشريع ، أمَّا شريعة الله فأنها لا تتجه إلى أعراف العامة وما تواضعوا عليه سواء كان خيراً ام شراً ، بل تتجه إلى الفضائل لكي تحميها وتدافع عنها وإلى الرذائل تمنع من انتشارها وتقضي عليها[٣].

١- مفهوم العقوبة في اللغة

وردت كلمة العقوبة في اللغة : من عاقبه بذنبه معاقبة وعقاباً ، أي : أخذه به وتعقبه ، بمعنى أخذه بذنب كان منه [٤]، والعقوبة : هي أسم من العقاب ، والعقاب بالكسر[٥]، والعِقاب والمعاقبة هي أن تجزي الرجل بما فعل سوءاً ، والاسم :هي العقوبة [٦] ، وذكر آخر إنَّ العقوبة : هي

---

(١) السراج ، عبود ، التشريع الجزائي المقارن في الفقه الإسلامي والقانون السوري المبادئ العامة ، (المطبعة الجديدة ، دمشق ، ١٩٧٦ م) ، ١ / ٢٨٨.

(٢) حطاب ، سعداوي ، عقوبة الاعدام دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة وهران – السانيا ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية ، الجزائر ، ٢٠٠٨ م ، ص ٤.

(٣) أبو زهرة ، الجريمة – العقوبة ، ص ١٧ ؛ حطاب ، عقوبة الاعدام ، ص ٩ – ١٠.

(٤) ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥) ، المخصص ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ،(دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت) ، ٤ / ١ : ٨١ ؛ الزبيدي ، محب الدين ابي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق : علي شيري ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤ م) ، ٢ / ٢٥١.

(٥) عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن ، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، (دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، د.ت) ، ٢ / ٥٢٥.

(٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ١ / ٦١٩.

الجـزاء [١] ، وقـد ذكـر القـرآن الكـريم فـي آيـاتٍ عـدة معنـى العقوبـة ، منهـا قولـه تعـالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [٢] ، وقوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٤].

ويتضح من خلال المفهوم اللغوي للعقوبة ، أَنَّها تعني الجزاء والمجازاة على الفعل السيء والذنب الذي يقترفه الجاني ، ولإنَّ العقوبة والعقاب يأتيان بعقب الذنب ، أي : أَنَّه عاقبه بذنبه[٥] ، ومن هنا جاءت تسمية العقوبة بهذا الاسم.

٢- مفهوم العقوبة في الاصطلاح

العقوبة هي الجزاء الذي وضعه الشارع للحد من إرتكاب ما نهى عنه ، وترك ما أمر به، فهي الجزاء المادي الذي عُدَّ مسبقاً لدفع المكلف من إرتكاب الجريمة ، فإذا فعلها زُجر بالعقوبة ؛ لكي لا يعود مرةً أُخرى إلى إرتكاب الجريمة وبذلك يصبح عبرةً لغيره[٦].

وتنوعت آراء الفقهاء في تعريفهم للعقوبة ، فذكر بعضهم بقوله : ((زواجر وضعها الله تعالى للردع عن إرتكاب ما حظر وترك ما أمر به))[٧]، أو ((جزاء بالضرب أو القطع أو الرجم أو القتل، سمي بها لأنها تتلو الذنب ، من تعقبه : إذا تبعه))[٨]، كما وعرفها بعض المعاصرين من أهل العلم بأَنَّها ((الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع))[٩].

إنَّ العقوبة في ذاتها أذى ينزل بالجاني زجراً له، وهذا من الناحية الذاتية في ظاهرها ضرر، فأَنَّ قتل رجل قاتل هو أذى له ونقص في عدد الامة ، وإذا نقص عدد الأمة واحداً باعتدائه زدنا بذلك النقص واحداً آخر بالقود منه[١٠].

وتُعد العقوبات موانع قبل الفعل وزواجر بعده ، أي: أَنَّ العلم الحاصل بشرعيتها يمنع الاقدام على الفعل ، كما وإنَّ إيقاعها بعده يكون وسيلة في عدم العودة اليه [١١]، كما وفرق بعضهم بين

---

(١) أبو حبيب ، سعدي ، القاموس الفقهي ، (ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨ م) ، ص ٢٥٥.
(٢) سورة النحل : آية ١٢٦.
(٣) سورة ص : آية ١٤.
(٤) سورة الحشر : آية ٤.
(٥) القرطبي ، الجامع ، ٣ / ٢٨.
(٦) بهنسي ، احمد فتحي ، العقوبة في الفقه الإسلامي ، (ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٣م) ، ص ١٣.
(٧) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٨٨.
(٨) ابن عابدين ، محمد امين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، تحقيق واشراف : مكتبة البحوث والدراسات ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، ٤ / ١٦٥.
(٩) عودة ، التشريع ، ١ / ٦٠٩.
(١٠) ابو زهرة ، الجريمة – العقوبة ، ص ٧.
(١١) ابن نجيم ، زين الدين بن ابراهيم بن محمد المصري الحنفي (ت ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢م) ، البحر الرائق ، حققه وضبطه وخرج آياته : زكريا عميرات ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م) ،٥ / ٤ ؛ ابن عابدين ، حاشية رد المحتار ، ٤ / ١٦٥.

العقوبة والعقاب بأن يلحق في الإنسان إذا كان في الدنيا فيقال له : (عقوبة) ، وإذا كان في الآخرة فيقال له : (عقاب)[١].

ويتضح من خلال ما تقدم إنَّ مفهوم العقوبة في الاصطلاح يدور كلهُ حول فكرة جوهرية بأَنَّ العقاب لا يمكن أَن ينفذ إلا بعد إرتكاب الجريمة فهو يعقبها ، وليس العكس من ذلك أي : بمعنى أدق أنَّه لا توجد عقوبة من دون فعل إجرامي ، وإلا أصبح ذلك باباً من أبواب الظُلم والاستبداد[٢].

٣- مفهوم العقوبة في القانون

العقوبة هي الجزاء الذي يقوم بفرضه قانون العقوبات على كل من يرتكب أو يفعل إحدى الجرائم المذكورة فيه [٣]، كما وبينها البعض بأَنَّها ((انتقاص من حقوق قانونية للإنسان تنزله سلطة القضاء بمن سلك سلوكاً يحضره قانون العقوبات ، ولا يهدف إلى التنفيذ الجبري لهذا الحظر، لأَنَّ مخالفته أصبحت أمراً واقعاً ، وإنَّما يُعد وسيلة لمنع إتيان ذلك السلوك مرةً أخرى سواء من جانب صاحبه أو من جانب أي مواطن من المواطنين))[٤] ، ومن خلال هذا التعريف نتوصل إلى العناصر القانونية لمفهوم العقوبة[٥].

كما ووضحها بعض آخر بأَنَّها الجزاء الذي يقرره الشارع ، ويوقع عليه القاضي على كل من ثبتت مسؤوليته القيام بإرتكاب الجُرم ، فتكون العقوبة في إلحاق الألم بالجاني من خلال الانتقاص من بعض حقوقه الشخصية[٦].

وتختلف العقوبة عن التعويض المدني ، والجزاء التأديبي ، والسبب في اختلافها عن التعويض يعود إلى أَنَّ التعويض حق للمجنى عليه ويترتب على ذلك حدوث ضرر ، وعندما لم يحدث ضرر لا يوجد مسوغ للتعويض حتى مع قيام المسؤولية الجنائية ، فإنَّ الهدف من العقوبة لا يقصد منها تعويض المجنى عليه عما لحقه من ضرر بل هي حق من حقوق المجتمع ، كما وتختلف العقوبة عن الجزاء التأديبي والذي هو ضمان تنظيم عمل الموظفين في القطاع العام أو غيرهم من الأشخاص الذين يقومون بأعمال عامة ، أو يمارسون الأعمال في المصالح العامة مثل الأطباء ،

---

(١) بهنسي ، العقوبة ، ص ١٤ ؛ عبد المنعم ، معجم المصطلحات ، ٢ / ٥٢٦.

(٢) صدقي ، عبد الرحيم ، الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية ،(دار الشباب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٧م) ، ص ٤٢.

(٣) ابراهيم، اكرم نشأت، الاحكام العامة في قانون العقوبات العراقي، (مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٢م)، ص١٠٥.

(٤) بهنام ، رمسيس ، النظرية العامة للقانون الجنائي ، (ط٣ ، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ١٩٧١ م) ، ص ٤٦.

(٥) المرجع والصفحة نفسها .

(٦) منصور ، اسحق إبراهيم ، موجز في علم الاجرام وعلم العقاب ، (ط٢ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩١ م) ، ص ١٣٠.

والمحامين ، والخبراء[١].

كانت الغاية الرئيسة في القِدم من العقوبة هو الانتقام من الجاني ، ثم عُدَّ من أغراضها الجوهرية دفع المجرم أن يُكفّرعن ذنبه ، وأما في الوقت الحاضر؛ فقد اصبح الهدف الأساسي من توقيع العقوبة يكمن في :

١. إصلاح المجرم إذا أراد الاصلاح وإذا كان غير راغباً للإصلاح فيتم عزلهُ عن المجتمع ، أو القيام بإعدامه ؛ وذلك لمنعه من ارتكاب الجُرم.
٢. ردع الآخرين لأنَّ العقوبة بمثابة الانذار للغير إذ تقوم العقوبة بدفعهم إلى التفكير بما سيحصل لهم عند إقتراف الجريمة من ألم وأذى[٢].

ومن خلال هذه الأهداف الأساسية المتوخاة من العقوبة ، أصبحت الدرع الواقي من حدوث وإرتكاب الجرائم وتفشيها في المجتمع.

(١) ابراهيم ، الاحكام العامة ، ص١٠٥.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٠٥_ ١٠٦.

الفصل الأول

دوافع الجرائم فـــي العصر الفاطمي

المبحث الأول : الدوافع السياسية والإدارية

أولاً : الصراع على السلطة

ثانياً : الصراع بين طوائف الجند

ثالثاً : الفساد الإداري

١- الرشوة وبيع المناصب الحكومية

٢ - استغلال أهل الذمة للمناصب الادارية وتلاعبهم فيها

المبحث الثاني : الدوافع الاقتصادية

أولاً : الحظر على الأسواق

ثانياً : فرض الضرائب وارتفاع الأسعار

المبحث الثالث : الدوافع الاجتماعية

أولاً : الاحتفالات والأعياد

ثانيا : البذخ والترف والإسراف

دوافع الجرائم في العصر الفاطمي

تبدأ الجرائم والفساد دائماً صغيرةً مثل الكائن الحي ، وبعدها يتدرج هذا الكائن في النمو حتى يستفحل أمره ويمضي في جسم الأمة حتى تهوي وتنهار وتتلاشى ويفسح المجال لغيرها بالنهوض على أنقاضها . ولهذا يكون الفساد والجرائم التي تقع في الدولة هي بداية النهاية والأفول لأي دولة .

وفي هذا الصدد أشار المؤرخ (ابن خلدون) في مقدمته المشهورة : ((فإن الملك إذا كان قاهراً، باطشاً بالعقوبات، مُنَقِّباً عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم ، شَمِلَهم الخوفُ والذل ، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها ، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم ؛ وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ، ففسدت الحماية بفساد النيات ؛ وربما اجمعوا على قتله لذلك فتفسد الدولة ويخرَّب السِّياجُ ؛ وإن دام أمره عليهم وقهره فسدت العصبية ... وفسد السِّياجُ من أصله بالعجز عن الحماية ، وإذا كان رفيقا بهم متجاوزاً عن سيئاتهم استناموا إليه ولاذوا به وأُشرِبوا محبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه ، فاستقام الأمر من كل جانب))[١].

ويبدو من خلال النص أنَّ الفساد والجرائم تحدث عندما يكون الملك أو الحاكم سيء السيرة والتعامل مع شعبه ، مما يجعلهم ينفرون منه ويقومون بتدبير المؤامرات والدسائس ضده ، وإن كانت سيرته وتعامله معهم تمتاز بالرفق واللين ويسعى الى تحقيق العدل والمساواة وقفوا الى جانبه في أشد الظروف ودافعوا عن سلطته في الحكم.

المبحث الأول : الدوافع السياسية والإدارية

كانت الدوافع السياسية والإدارية المحرك الأساس لحدوث عدد من الجرائم التي وقعت في العصر الفاطمي ، فإنَّ مبدأ الصراع والسيطرة والاستحواذ على السلطة ، جاء من أجل البقاء في السلطة والحكم ، وعلى إثر ذلك حدثت كثيراً من المؤامرات والاغتيالات والصراعات العسكرية ، فضلاً عن الخلافات والمشاكل الداخلية التي كانت تجري في القصور والسياسة الخارجية ، وتسلط وهيمنة وتحكم الوزراء والأمراء والموظفين خصوصا في العصر الفاطمي الثاني وسعيهم في جمع المال بصورة غير شرعية وبشتى الطرق وغيرها من أبرز مظاهر الدوافع السياسية والإدارية وهي كما يأتي :

أولاً : الصراع على السلطة

يُعد الصراع على السلطة من أهم الدوافع السياسية التي كان لها دور كبير في إرتكاب الجرائم

---

(١) ولي الدين أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م) ، المقدمة ، تحقيق : د . علي عبد الواحد وافي ، (ط٧ ، دار نهضة مصر للطباعة و للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٤ م) ، ٢ / ٥٦١.

في العصر الفاطمي، سواء كان مرتكبوها من الخلفاء، والوزراء، وقادة الجيش، أو من المقربين من سدة الحكم ، الذين رسموا الخطط الكفيلة للتخلص من أي شخصية تحاول السيطرة على الحكم في الأقاليم والمدن والبلاد المختلفة التي كانت تتبع للسلطة الفاطمية آنذاك.

ولا ريب في ان نظام التوريث عند الخلفاء الفاطميين ليس بجديد فهو يُعد اصل من أصول الحكم عندهم أثناء خلافتهم في بلاد المغرب ، فتتم انتقال الخلافة من الخليفة المتوفي إلى الحي[١]، والجدير بالذكر أَنَّ مفهوم الخلافة عند الفاطميين هو أصل جميع الأنظمة الخاصة بالحكم عندهم فهي مبنية على المذهب الشيعي الإسماعيلي بأسس قوية ورصينة [٢].

وكان الفاطميون لا يفضلون تداول مصطلح خليفة بل إمام ، فقد كان الإمام الأول عندهم هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهم ينظرون الى الخلافة بوصفها امامة كبرى في مقابل الصلاة التي في نظرهم امامة صغرى [٣] ، ويعدونه هادي الرعية إلى الطريق الصحيح ، فلذا كان على كل فرد موالٍ للفاطميين أن يتبع هذا الإمام وأصبحت ولايته أحد أركان الدين[٤]، وإنَّ مبدأ التوريث لديهم ينبع من أن خصائص الإمام الإسماعيلي تنتقل عن طريق الوراثة إلى الخليفة أو الإمام اللاحق الذي يبايع بولاية العهد وليس لهذه الخصائص أن تنتقل إلى فرد آخر بحسب ادعائهم إلا لمن تكون له صلة نسبية بالخليفة السابق[٥].

ومما لاشك فيهِ أَنَّ انتقال السلطة بهذه الطريقة كان يضمن استمرارها في الأسرة الفاطمية من الأب إلى الابن [٦] وفي أكثر الأحيان تمر عملية التوريث بمعوقات فإِنَّ الأعراف الفاطمية تتخذ جانب

---

(١)القاضي النعمان ، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٤ م) ، المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات ، تحقيق : الحبيب الفقي واخرون ، (دار المنتظر للنشر ، بيروت ، ١٩٩٦م) ، ص ٢٢-٢٣ ؛ ابن ابي الضياف ، احمد بن أبي الضياف بن عمر ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تحقيق : لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية ، (المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٦٣م) ، ١ / ١٢٣ – ١٢٤.

(٢)ماجد ، عبد المنعم ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، (ط٣ ، مكتبة الانجلو المصرية للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ٥١/١ ؛ مال الله ، حيدر لفتة سعيد ، المعز لدين الله الفاطمي وأثره في المغرب ومصر (٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥١ ٩٧٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥م ، ص ٦٥.

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ٢ / ٥٦٤ ؛ الشيال ، جمال الدين ، مجموعة الوثائق الفاطمية ووثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، (مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م) ، ص ٢٢.

(٤)الكرماني ، احمد حميد الدين بن عبد الله (كان حيا سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠م) ، الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ، تحقيق : محمد عيسى الحريري ، (دار القلم للنشر ، الكويت ، ١٩٨٧) ، ص ٥٢.

(٥) مشرفة، عطية مصطفى، نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، (مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٨م) ، ص٨٢ – ٨٤ ؛احمد ، احمد عبد الرزاق ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية منذ الفتح حتى نهاية العصر الفاطمي، (دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦ م)، ص ١٨٨- ١٨٩ . وقد تبنى نظام الوراثة الشيعة الإسماعيلية ، وكانوا يعتقدون ان الإمامة لها خصائص وعلوم تنتقل عن طريق الوراثة ، مثلما تنتقل الخصائص الخلقية فعُدَّ نظام الوراثة من ابرز العوامل التي تجلب الاستقرار للدولة، وانه وقف سدا منيعا بوجه الصراعات والخصومات والمنافسات بين الفاطميين في موضوع السلطة والحكم. ينظر. الشيال ، مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص ٢٥ ؛ مشرفة ، نظم الحكم ، ص ٨٥ .

(٦)عبد علي ، احمد ادم ، أساليب الدولة الفاطمية في تثبيت السلطة (٣٥٨ – ٤٢٧ هـ) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠١٩ م ، ص ٥٦.

السرية في بعض الحالات بموضوع ولاية العهد ، وأحياناً يقوم الإمام الفاطمي بإخفاء وصيته عن الكل ، ولا يطلع عليها إلا لمن يثق بهم من رجال الدولة ولا يسمح لهم بالكشف عن ذلك الأمر إلا في الوقت المناسب [١]، وكانت كيفية ولاية العهد أي التوريث تتم إما بكتابة وصية أو شفاهاً أو ربما يكون ذلك عن طريق التلميح [٢]، وقد اهتم الخلفاء الفاطميين اهتمام كبير بولي العهد فكانوا يقومون بأعداده إعداداً سياسياً وإدارياً وفكريا لكي يصبح مؤهلاً لقيادة السلطة الدينية والدنيوية معا باعتباره وريثاً للعرش[٣].

وكان نظام التوريث في مصر خلال العصر الفاطمي ينص على تعيين الابن الأكبر[٤] لكن هذه القاعدة في مجال التوريث وجد فيها استثناءات في بعض الأحيان وبخاصةٍ في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي(٣٤١ – ٣٥٦ هـ/٩٥٢ – ٩٧٥م) إذ كانت الطريقة المعمولة بها تنص على توريث الابن الأكبر بولاية العهد ، فقد ضرب المعز لدين الله هذه الطريقة وقرر إسناد الأمر إلى ولده الأوسط عبد الله[٥][٦] لكون ولده الأكبر تميم[٧] يفتقد إلى الصفات التي تؤهله لشغل هذا المنصب فضلا عن كونه كان عقيماً ويميل الى الأدب والشعر الرقيق [٨] ، وكان عبد الله عسكريا ولائقاً للحكم من بعد والده

(١) الجوذري ، أبي علي منصور الكاتب العزيزي (ت بعد سنة ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م) ، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين ، تحقيق : د . محمد كامل حسين ــ و د . محمد عبد الهادي شعيره ، (مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٤م) ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ؛ ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م) ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، أعاد بناءه وحققه وقدم له : د. أيمن فؤاد سيد ،(مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢م) ، ص ٣٧.

(٢) السجلات المستنصرية (سجلات وتوقيعات وكتب مولانا الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه الى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله ارواح جميع المؤمنين) ، تحقيق : عبد المنعم ماجد ، (مطبعة الاعتماد، القاهرة ، ١٩٥٤م) ، رسالة ٣٥ ، ص ١١١ ورسالة ٤٣ ، ص ١٤٧ . وذكر المؤرخين انه كان من المهم ان يطلق لقب (ولي عهد المؤمنين على الإمام) لكي يبرز الفاطميين الأمر الذي تدل عليه كلمة (مؤمن) لأنها تدل على الإيمان ، واما كلمة (مسلم) لا تدل الا على (الإسلام) اما الإسلام فقد لا يصحبه الإيمان ، والإسلام في نظر الفاطميين ظاهر بينما الايمان هو من صنع الله في القلب لكونه باطن يشمل فكرة الإقرار التي هي اعتراف بالوحي ، والذي يمثل الاعتراف بالله والنبي والائمة الفاطميين . ينظر . القاضي النعمان ، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام عن أهل بيت رسول الله (ص)، تحقيق : آصف بن علي اصغر فيضي ، (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م)،٣/١ ــ ٥.

(٣) الخربوطلي ، علي حسني ، العزيز بالله الفاطمي ، (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت) ، ص ٧٤ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة الفاطمية ، ص ٥٧.

(٤) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات ، ص ١٧٦ ؛ ابن ابي الضياف ، إتحاف أهل الزمان، ١٢٢/١ ــ ١٢٥.

(٥) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته.

(٦) المقريزي ، ابي العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م) ، المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، (دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩١م) ، ٢ / ٥٨٨ ؛ عبد علي ، أساليب الدولة الفاطمية ، ص ٥٧

(٧) هو ابو علي تميم بن المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور الفاطمي ، ولد في المغرب سنة (٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) ثم سافر إلى مصر برفقة أبيه سنة (٣٦٢هـ / ٩٧٢ م) ، كان شاعراً طغى على قصائده الغزل والتهتك ، ولهذا لم يسند والده اليه ولاية العهد مرتين مما زاده انغماساً بالذات فعبّرعن آلامه في الشعر ، توفي في بستان له بمصر سنة (٣٧٤ هـ / ٩٨٤م) . ينظر . ابن سعيد ،أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م) ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة . القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : د . حسين نصار ، (مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠م) ، ص ٤٨ : هـ (١) ؛ حسين ، محمد كامل ، في أدب مصر الفاطمية ، (مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، د . ت) ، ص ١٧٠ ــ ١٧١.

(٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١ / ٣٠١ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٢ / ٨٨ ؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص ٢٩.

لكن وفاته المفاجئة [1]جعلت المعز لدين الله يعدل للمرة الثانية عن القاعدة، إذ قام باختيار ابنه الأصغر سناً نزار بمنصب ولي العهد، وقد رآه المعز لدين الله من الأَكفَاء في إدارة أمور المسلمين ،وبيَنَ ذلك للقادة والموظفين الذين يعملون في قصره في العديد من المناسبات فذكر لهم: ((ان بيني وبين الله عهداً أنا ماضٍ اليه ، وقد استخلفتكم عليكم ابني نزاراً فاسمعوا له وأطيعوا)) [٢].

وحصل ذلك قبل سنة من وفاة المعز لدين الله[٣] كما نص على ولده العزيز بالله في مناسبة أخرى بقوله : ((وجعلت ولدي نزار ولي العهد من بعدي ولقبته العزيز بالله واستخلفته عليكم وعلى تدبير أموركم مُدَّة غيبتي فألزموا الطاعة له والمناصحة واسلكوا الطريق الواضحة))[٤]، فتمت مبايعة نزار من قبل إخوته وعمومته وسائر أهله ، وكذلك رجال الدولة والقادة والموظفين الذين دخلوا عليه وسلموا بالإمرة وولاية العهد ، فعم الفرح والسرور في أوساط العامة بذلك[٥].

وعندما شارف الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ ـ ٩٩٦م) على الموت كان له أيضا في قضية التوريث اجتهاداً بان جعل الوصاية على ولي عهدهِ الصغير ابنه (الحاكم بأمر الله) إلى ثلاثة أفراد وهم برجوان [٦] ، والقاضي محمد بن النعمان[٧]، والقائد الحسن بن عمار[٨] [٩].

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : د . جمال الدين الشيال ، (ط٢ ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٩٦م) ، ١ / ٢١٧؛ عبد علي ، أساليب الدولة الفاطمية ، ص ٥٧.

(٢) ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه: د . محمد يوسف الدقاق ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م) ، ٧ / ٣٦١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٣١.

(٣) المصدر والجزء والصفحة نفسها.

(٤) ابن القلانسي، أبي يعلى حمزة بن اسد بن علي التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، تاريخ ابي يعلى حمزة القلانسي المعروف بـ (ذيل تاريخ دمشق) ، تحقيق : امدروز، (مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت، ١٩٠٨م) ، ص ١٤- ١٥.

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٨٨ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة الفاطمية ، ص ٥٨.

(٦) هو ابو الفتوح برجوان الخادم ، خصي صقلبي ابيض وقيل اسود ، كانت نشئته وتربيته في دار العزيز بالله حيث ولاه امر القصور ، وجعله احد الاوصياء على ولده الحاكم ، تنسب اليه حارة برجوان في القاهرة ، وقد انتهت حياته بالقتل على يد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ / ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) في سنة (٣٩٠ هـ/ ٩٩٩م). ينظر . ابن الصيرفي ، ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م) ، الاشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق : د . ايمن فؤاد سيد ، (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٠م) ، ص ٥٧ : هـ (٢) ؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٥٦ ؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، (دار صادر ، بيروت ، د . ت)، ١ /٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٧) هو ابو عبد الله محمد بن القاضي النعمان التميمي المغربي ولد في المغرب سنة (٣٤٥هـ / ٩٥٦ م) ، اتى مع أفراد أسرته إلى مدينة القاهرة ومازال بها حتى ولي القضاء في سنة (٣٦٤هـ / ٩٧٤ م) ، كما وأقرايضا على القضاء في عهد الحاكم بأمر الله ، وافته المنية في سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٨ م) . ينظر . الكندي ، ابي عمر محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١م) ، الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتصحيح : رفن كست ، (مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م) ، ص ٤٩٥ ؛ حسين ، في ادب مصر ، ص ٥٠ ـ ٥٢.

(٨) هو امين الدولة ابو محمد الحسن بن عمار بن ابي الحسين ، كان من قادة المعز لدين الله ، علاوة على ذلك انه كان كبير قبائل كتامه وشيخها وسيدها ، وقد انتهت حياته بالقتل في سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٤٣٣ ـ ٤٤١ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، (ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ٢ / ٢٠٨.

(٩) ابن أيبك الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله (ت بعد٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م) ، كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بـ (الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق : د.صلاح الدين المنجد ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ←

وقرر الحاكم بأمر الله بعد استلامه زمام الأمور بتنصيب ابن عمه عبد الرحيم بن الياس[١] ولياً للعهد من بعده وقد أقصى بتلك الخطوة ولده من المنصب في شهر (صفر سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) ، وهذا خلافاً لما أقره أسلافه في عملية التوريث وقرأ سجله على منابر البلد والاسكندرية وأرسل أيضاً إلى افريقية [٢]، فقرأ في جامع القيروان وغيره بتنصيب عبد الرحيم بالمنصب [٣].

إلا أَنَّ هذه الخطوة التي أقدم عليها الحاكم بأمر الله اصطدمت بمعارضة شديدة من قبل اخته ست المُلك [٤]التي كان لها دور في تدبير عملية مقتله للأخطاء الكثيرة التي ارتكبها ومنها عملية تنصيب عبد الرحيم [٥] ثم قامت بتنصيب ولده الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ – ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ – ١٠٣٥م) من بعد والده الحاكم بأمر الله ، وألبسته من أجود الملابس، ووضعت على رأسه تاج جده المعز لدين الله ((وأركبته مركباً من مراكب الخليفة ، وخرج بين يديه الوزير وأرباب الدولة))[٦].

←

القاهرة ، ١٩٦١م)، ٦ / ٢٥٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة ، ص ٥٨.

(١) هو ابو القاسم عبد الرحيم بن الياس بن احمد بن المهدي ، ابن عم الحاكم بأمر الله والذي عهد اليه بولاية العهد ، وكتب اسمه على السكة ودعي له على المنابر ، قتل في مدينة تنيس بفعل مؤامرة قامت بتدبيرها اخت الحاكم بأمر الله (ست الملك) . ينظر. النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) ، نهاية الارب في فنون الأدب ، تحقيق : د. نجيب مصطفى فواز – و د . حكمت كشلي فواز ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ٢٨ / ١٢١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ؛ تحقيق : د . محمد حلمي محمد احمد ، ٢ / ١١٦.

(٢) افريقية : هي اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، ويمتد آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس . ينظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م) ، ١ / ٢٢٨.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢/ ١٠٠ – ١٠١ . وكانت صيغة الدعاء له هي ((اللهم استجب مني في ابن عمي وولي عهدي ، والخليفة من بعدي ، عبد الرحيم بن الياس بن احمد بن المهدي بالله امير المؤمنين ، كما استجبت من موسى في اخيه هارون)) . ينظر . ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٦٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠٣.

(٤) هي ابنة العزيز بالله بن المعز لدين الله ، اميرة علوية من الحازمات والمدبرات ، كانت من الدهاة ، ولدت في بلاد المغرب سنة (٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م) ، كان الحاكم بأمر الله يستشيرها في معضلاته ، ثم تغير عليها واراد ان يقتلها ، كما وتولت الوصاية على ابن اخيها الظاهر لإعزاز دين الله في سنة (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) ، ولمدة اربع سنوات وافاه الاجل (في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢ م). ينظر . النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٢٩ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٣/ ٧٧ ؛ البدوي ، خليل ، موسوعة شهيرات النساء ، (دار اسامة للنشر ، عمان ، ١٩٩٨م) ، ص ١٤٢.

(٥) ابن كثير ، عماد الدين ابي الفدا إسماعيل ابن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) ، البداية والنهاية ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، ١٩٩٨م) ، ١٥ / ٥٨٢ - ٥٨٣ ؛ علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، نقله إلى العربية : رياض رأفت ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨م) ، ص ٥٠٢.

(٦) ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ،(دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م) ، ٤/ ١٩٢.

وكانت هذه من مظاهر استلام ولي العهد للحكم، وتمت مبايعته من قبل خطير الدولة[(١)] وخاطب الموظفين في الدولة بقوله : ((يا عبيد الدولة ، مولاتنا السيدة تقول لكم هذا مولاكم فسلموا عليه ؛ فقبلوا الأرض بأجمعهم ، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، ولقبوه الظاهر لإعزاز دين الله واقبل العامة أفواجاً فبايعوه وأطلق المال وفرح العامة واقيم العزاء على الحاكم ثلاثة أيام))[(٢)] فقد سعت إلى اغتيال عبد الرحيم ؛ نتيجةً للوضع الذي أسسه الحاكم بأمر الله والتي كانت عازمة على إعادة الأمور إلى سابق عهدها ، كما أخذت على عاتقها الوصاية على ابن أخيها الظاهر لكونه صغير السن وأخذت بإدارة مفاصل الدولة لمُدَّة اربع سنوات [(٣)] ، وقال : المؤرخون في حقها ((وقامت هيبتها عند العامة واستقامت الأمور وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت))[(٤)].

وكانت حوادث الصراع على السلطة كثيرة ومتنوعة ، فبعد قيام جوهر الصقلي [(٥)] بفتح مصر في سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) سلمياً من دون مقاومة من قبل أهلها ، فقد كان جوهر لا يرغب بإشهار السيف بوجه المصريين خصوصاً بعد فتح مدينة الإسكندرية أبوابها للفاتحين ولم تكن هناك مقاومة من أهلها ، فكانت سياسته ترمي إلى السلم ، وعدم التعرض بالسوء للمصريين وتآلف قلوب أهل مصر[(٦)] لكنَّ المستفيدين وأصحاب المصالح من بقايا العهد السابق كالإخشيديين والكافوريين ، لم يرقَ لهم ما تم التوصل اليه مع جوهر من اتفاق الصلح فَعمِدوا إلى إشهار السيف ، وقرروا مناجزة الفاطميين واسندوا قيادة الجيش إلى نحرير شويزان [(٧)] وتجمعوا عند مدينة

---

(١) هو ابو الحسين عمار بن محمد الملقب بخطير الدولة رئيس الرؤساء من وزراء الدولة الفاطمية ، وفي عهد الحاكم بأمر الله تولى ديوان الإنشاء ، واستمر وزيرا حتى عهد الظاهر لإعزاز دين الله سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠ م) ، وفي سنة (٤١٢هـ / ١٠٢١ م) ، خلع عليه الوساطة وبعدها عزل بعد سبعة أشهر وأيام ، قتل في الفج من السنةِ نفسِها . ينظر. ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٦٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٣٦/٥.

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٩٢/٤.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١١٦/٢ . استخدمت ست الملك الحيلة لجلب ولي العهد من بلاد الشام إلى مصر ، فقد تم قتله فورا عند وصوله إلى مصر . ينظر . ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٠ . وذكر ايضا انه تم اعتقاله في دمياط ثم دخل إلى مصر ، وتناول فاكهة مسمومة وتوفي على إثرها ، وقيل انه اظهر للناس انه قتل نفسه . ينظر : يحيى بن سعيد، يحيى بن سعيد الانطاكي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م) ، تاريخ الانطاكي « المعروف بصلة تاريخ اوتيخا »، حققه وصنع فهارسه : د. عمر عبد السلام تدمري ، (جروس برس ، طرابلس ، ١٩٩٠م) ، ص ٣٦٨ ؛ ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦/ ٣١٥.

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م) ٨ / ١٣١ ؛ ابن العبري ، ابي الفرج جمال الدين غريغوريوس بن اهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م) ، ص ١٥٧.

(٥) هو القائد ابو الحسن جوهر بن عبد الله الصقلي المعروف بالكاتب الرومي ، مولى المعز لدين الله ، ولد بجزيرة صقلية في سنة (٣١٢هـ / ٩٢٤م) ، وتوفي جوهر الصقلي في سنة (٣٨١هـ / ٩٩١م) ، للمزيد من التفصيل ينظر. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١/ ٣٧٥ ــ ٣٨٠ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/ ٨٣ – ١١١ ؛ حسن ، علي إبراهيم ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، (ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٣م) ، ص ٩ ــ ١٧ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٠.

(٧) هو الذي ترأس جماعة الكافورية والإخشيدية وسلموا عليه بالإمارة من امراء الجيش الذين ينسبون إلى الإخشيد ومولاه كافور ، ولجأوا إلى السيف ونقضوا الأمان الذي أعطاه جوهر للمصريين ، وعلى إثر ذلك ارسل جوهر إليهم جعفر بن فلاح واشتبك معهم بحرب تكلل عن هزيمتهم ومقتل نحرير ولجوء البعض إلى بلاد الشام . ينظر . المقريزي ←

الجـــــيزة [١] وأما جوهر فقد سار باتجاه هذه المدينة ، وعسكر عند منية الصيادين[٢] عند نهر النيل وعهد إلى جعفر بن فلاح الكتامي [٣] بمواجهة الإخشيديين والكافوريين الذين عبروا النهر قائلا اياه : ((لهذا اليوم أرادك المعز فعبر عرياناً في سراويل وهو مركب ومعه الرجال خوضاً ... فقتل خلق كثير من الإخشيدية وأتباعهم ... واخذوا من دورهم ما قدروا عليه))[٤].

فدارت في النهر الهزيمة على الإخشيديين والكافوريين والحق بهم خسائر فادحة بالأرواح، وتم قتل عدد كبير منهم والبعض الآخر غرق وبعضهم سلم نفسه إلى جوهر وحدث ذلك في نفس سنة الفتح [٥]. ويُعد هذا أول عمل عسكري ومواجهة خاضها الفاطميين في مصر.

ولم تتوانَ السلطة الفاطمية في إرسال الحملات العسكرية بقيادة جوهر الصقلي ضد الطامعين في السلطة من الكافورية والإخشيدية ففي سنة (٣٥٨ هــ / ٩٦٩م) قطع جوهر رؤوس بعضهم وإرسالها إلى المعز لدين الله في المغرب ، كما وأرسل أسراهم البالغين خمسة آلاف مقيدين على محامل إلى هناك[٦].

كما وأرسل المعز لدين الله عساكره إلى المغرب الأقصى بقيادة جوهر الصقلي إلى يعلى بن محمد [٧]،عندما قام الأخير بإعلان التبعية والولاء إلى عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ــ ٣٥٠هـ / ٩٢٩ ــ ٩٦١م) [٨] في الأندلس لوضع حداً لتصرفاته ، وشارك في هذه الحملة العسكرية كل من صاحب

→

، اتعاظ الحنفا ، ١/ ١٠٩ ؛ حسن ، تاريخ جوهر الصقلي ، ص ٣٥ ــ ٣٦.

(١) الجيزة : هي بلدة تقع في غرب فسطاط مصر ولها كورة كبيرة واسعة ، وهي من احسن كور مصر . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٢٠٠.

(٢) منية الصيادين : هي من القرى القديمة في مصر . ينظر . النويري ، نهاية الارب ، ٢٨/ ٧٩ : هـ (٦).

(٣) هو ابو علي جعفر بن فلاح الكتامي ، كان أحد قادة المعز لدين الله ، والذي أرسله مع القائد جوهر الصقلي عندما قصد فتح الديار المصرية ، قتل في سنة (٣٦٠ هـ / ٩٧٠م) مع جماعة من خواصه من قبل الحسن بن احمد القرمطي . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١ / ٣٦١ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢ م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق واعتناء : احمد الارناؤوط ــ و تركي مصطفى ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠م) ، ١١/ ٩٥ ــ ٩٦ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١/ ٣٧٨ ؛ اليافعي ، ابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م) ، ٢ / ٣٣.

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣٧٨/١ ؛ حسن ، تاريخ جوهر ، ص ٣٦.

(٦) جمال الدين ، عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية . قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، (دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١م) ، ص ١٢٨.

(٧) هو يعلى بن محمد بن صالح اليفرني ، امير من اشراف البربر ، من اهل تاكرونة اسس مدينة افكان في سنة (٣٣٨ هـ / ٩٤٩م) ، واعلن استقلالها في افريقية ، وفي السنةِ نفسِها دخل مدينة وهران وملكها ، واستمر على هذا الحال الى ان قُتل على يد جوهر الصقلي غدراً . ينظر . الحميري ،ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم السبتي (كان حياً سنة ٨٦٦ هــ/١٤٦١م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : د . إحسان عباس ، (ط ٢ ، مطابع هيد لبرغ ، بيروت ، ١٩٨٤م) ، ص ٤٤٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٨ / ٢٠٤.

(٨) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الاموي المرواني ، الناصر لدين الله ابو المطرف صاحب الاندلس . للمزيد من التفصيل ينظر . الصفدي ، الوافي

←

المسيلة[١] جعفر بن علي الأندلسي[٢] وصاحب أشير [٣] زيري بن مناد الصنهاجي[٤][٥].

استقبل يعلى القائد جوهر عندما وصل إلى مدينة تيهرت [٦] بعد ادراكه بعدم قدرته على مجابهة قوات المعز لدين الله [٧] إلا أنَّ جوهر اصدر أوامره بقتل يعلى ، وقد ذكرت المصادر التاريخية آراءً متباينة في قضية مقتله ، فذكر (ابن خلدون) بأن جوهراً ترك أيفكان (خلف تاهرت بثلاثة مراحل) المدينة التي قام ببنائها يعلى في غرب تيهرت ولم يتعرض بسوء لصاحبها ، ويذكر : ((ولما ارتحل جوهر عن أيفكان وقعت هيعة في أصحاب صيلة وقيل له ان بني يعرب أوقعوها فتقبض على يعلى وناشته سيوف كتامه لحينه)) [٨] ومن خلال النص يتضح عدم القبول بما ذكره ابن خلدون لأنَّ روايته تفتقد الواقعية ، لأنَّ المعز كان هدفه القضاء على يعلى وعقوبته على فعل اتصاله مع عدوه الناصر ، ويتضح ذلك من خلال إقدامه على إرسال حملة كبيرة إلى تيهرت ، ومن الممكن أنَّ المعز لدين الله هو الذي اصدر الأمر لقائده جوهر بقتل يعلى والدليل على هذا عندما وضع رأس

←

بالوفيات ، ١٨ / ١٣٦ ــ ١٣٧ .

(١) المسيلة : هي مدينة تقع في المغرب سميت بالمحمدية اختطها ابو القاسم محمد بن المهدي في سنة (٣١٥هـ / ٩٢٧ م). ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ١٣٠ .

(٢) هو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي ، امير الزاب (من أعمال افريقية) وتقلد في عهد المعز لدين الله ولاية المسيلة واشترك مع جوهر في الحملة التي شنها على الطامعين بالحكم في المغرب الأوسط والأقصى ، وتآمر فيما بعد على قتل زيري بن مناد الصنهاجي ، وأصبح قائد لجيش الحضرة في الأندلس ثم وزيراً ، إلى ان تمكن الحاجب المنصور من دس اليه من قتله أثناء عودته إلى منزله في سنة (٣٧٢هـ / ٩٨٢م) . ينظر . ابن عذارى ، ابو عبد الله محمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م) ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، (مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨م) ، ص ٥٤٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٢ / ١٢٥ .

(٣) أشير : هي مدينة تقع في جبال البربر بالمغرب طرف افريقية الغربي ، مقابل مدينة بجاية ، اول من عمرها سيد قبيلة صنهاجة زيري بن مناد . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢٠٢.

(٤) هو زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جد المعز بن باديس ، اول من ملك من بينهم كما قام ببناء مدينة أشير وحصنها في ايام خروج ابي زيد مخلد الخارجي ، أعطاه المنصور مدينة تاهرت ، تميز بالشجاعة وحسن السيرة وكانت بينه وبين جعفر الأندلسي حرب أدت إلى قتل زيري في (رمضان سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠ م) ، وكانت مُدَّة أمرته ستا وعشرين سنة . ينظر : الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٩ م) ، ٢٦ / ٢٠١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٥ / ٣٨ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٣ / ٦٣.

(٥) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون . المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٠م) ، ٤ / ٥٩ ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، (مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د . ت) ، ص ٥٤٧ ؛ المسعودي ، دعاء سعود حسون نايف ، الاغتيال السياسي في الدولة الفاطمية (٢٩٧ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٠٩ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٣ م ، ص ٧٦ ــ ٧٧.

(٦) تيهرت : أو تاهرت هي اسم لمدينتين متقابلتين في اقصى المغرب ، يطلق على إحداهما تاهرت القديمة ، وعلى الأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين المسيلة ست مراحل ، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد ، وفيرة الأمطار والضباب . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٧.

(٧)الهاشمي ، عبد المنعم ، موسوعة تاريخ العرب ، (دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٦م) ، ص ٢٣٥ ؛ تامر ، عارف ، المعز لدين الله الفاطمي واضع اسس الوحدة العربية الكبرى، (دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢م)، ص ٨٥.

(٨) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٥٩

يعلى بين يدي المعز لدين الله[(١)] هذا ممن قال الله فيه : ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾[(٢)] ((قد صنعنا به ما قد علمتوه ، أعطيناه من سلطان الله الذي أعطانا ... وكان رأينا فيه العفو والصفح عما يبلغنا عنه من غمط النعمة ... فأبى الله لنا من ان نقُرُ على المكروه والضيم ... وعجل منه انتقامه وسلبه نعمته كعادته عندنا فيمن كان كأمثاله)) [(٣)].

وفي عهد المعز لدين الله وبالتحديد في سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) ، أقدمت السلطة الفاطمية على قتل أربعين شخص من أتباع أخي مسلم [(٤)] والطواف برؤوسهم في شوارع مدينة القاهرة ؛ لكونهم عارضوا وانتقدوا الأداء الحكومي للدولة [(٥)] ، كما وقام في السنةِ نفسِها عبد الله بن المعز لدين الله من إلحاق الهزيمة بمجموعة من الجند القرامطة ، وتمكن على إثر ذلك من أسر عدد منهم بلغ ألفاً وثلاثمائة وفي مقدمتهم كان رئيسيهم مفلح النجمي [(٦)] وقد كتب على ظهره اسمه وما اقدم عليه من عمل [(٧)]، وتكررت محاولات معارضي السلطة في صعيد مصر وتمت محاربتهم من قبل الدولة الفاطمية عن طريق القوة العسكرية فقتل عدد منهم وطيف برؤوسهم في شوارع مدينة القاهرة في سنة (٣٦٤هـ / ٩٧٤م) [(٨)]. ويبدو أَنَّ الدولة كانت عازمة على سحق أي معارضة لسلطتها من خلال اتباع أسلوب الحل العسكري من أجل المحافظة على سلطتها وديموميتها في الحكم ومحاربة الطامعين فيها.

أما على صعيد الساحة الشامية (أي بلاد الشام) فتم إتباع الطريقة نفسها ضد معارضي الدولة الفاطمية ، فعندما أرسل جوهر الصقلي القائد جعفر بن فلاح الكتامي إلى بلاد الشام لإحكام السيطرة الفاطمية عليها ، وكان يتولى شؤونها الحسن بن طغج الإخشيد[(٩)] وقد أرسل جعفر بن فلاح إلى ولاة

---

(١) المسعودي ، الاغتيال السياسي ، ص ٧٧ – ٧٨.
(٢) سورة الزمر ، آية ١٩.
(٣) النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص ٢٧٥.
(٤) لا يوجد له اسم على وجه التحديد لكن وردت اشاره عن قيادته المعارضة المسلحة في الصعيد ضد الوجود الفاطمي بعكس اخيه ابي جعفر مسلم الشريف الحسيني والذي تم تعينه رئيسا لوفد المفاوضين لجوهر الصقلي ، وكانت له مكانة مرموقة ومتميزة لدى الفاطميين . ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٠٨.
(٥) المصدر والجزء والصفحة نفسها ؛ مال الله ، ـ و الحدراوي ، وسيم عبود عطية ، التشهير في العصر الفاطمي (٣٥٨ – ٤٢٧ هـ / ٩٦٨ – ١٠٣٥ م) دراسة تاريخية ، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ـ جامعة الكوفة ، العدد ١٥ ، السنة ٢٠١٤م ، ص ٢٧٠.
(٦) هو احد زعماء قادة المعارضة من القرامطة ، الذي لحقت به الهزيمة خلال المواجهات العسكرية التي دارت بين جيش الفاطميين بقيادة عبد الله بن المعز لدين الله والقرامطة ، وقد تم اسره واقتياده إلى السجن بعد ان شُهّر على جمل هو واتباعه في شوارع مدينة القاهرة . ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٠٩.
(٧) المصدر والجزء والصفحة نفسها .
(٨) المصدر نفسه ، ١ / ٢٢٣.
(٩) هو ابو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بن جف ، تولى حكم مدينة الرملة في بلاد الشام ايام حكم الفاطميين ، تزوج من ابنة عمه الاخشيد ، مُدِحَ من قبل الشاعر المتنبي بقصيدة ، رجع إلى مصر بعد هزيمته من قبل القرامطة ، وقام بمصادرة الوزير جعفر بن الفرات وعذبه ، تم اسره من قبل القائد جعفر بن فلاح ودخل إلى مصر مع المعتقلين مُشّهراً في سنة (٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م) ، توفي في سنة (٣٧١هـ / ٩٨١ م) ، وصلى عليه في القصر العزيز بالله. ←

الشام طلباً يدعوهم فيه إلى الدخول في طاعة الفاطميين ، لكن طلبه جوبه بالرفض ، فحدث القتال بين الأمير وأتباعه الإخشيديين وجعفر بن فلاح ، الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بابن طغج والذي وقع أسيراً مع مجموعة من قادته وجنده وبُعثوا إلى مصر ومن ثم إلى المغرب الأدنى ، وقد ادخلوا على المعز لدين الله هناك ، كما وذكرت المصادر التاريخية ان ابن طغج بقى في المغرب حتى وافاه الأجل في سنة (٣٧١ هـ / ٩٨١ م)[١].

وظهر الأمير المفرج بن دغفل الطائي بن الجراح [٢] على مسرح الأحداث في بلاد الشام والذي تمكن في مُدَّة وجيزة من كسب ثقة الفاطميين وأصبح أميراً على مدينة الرملة [٣] لقاء مساعدته الفاطميين ضد أعدائهم في بلاد الشام [٤] وفي سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠م) أماط اللثام عن أطماعه التوسعية فتمت له السيطرة على فلسطين التي عاث بأهلها سلباً ونهبا وفساداً ، إلا أَنَّ الدولة الفاطمية قررت محاربته فبعثت إليه جيش كبير تحت قيادة بلتكين[٥] ودار القتال بين الجيش الفاطمي وابن الجراح ، فتمكن بلتكين من هزيمته فهرب إلى مدينة أنطاكيا[٦] فمنحه الأمان حاكمها[٧].

ومن مظاهر الصراع على السلطة في الدولة الفاطمية ما حدث بين الأوصياء برجوان والحسن بن عمار والذي شكل حلقة من حلقات الصراع المرير بين العناصر المشرقية والمغربية ، وقد ظهر هذا التنافس في سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) ، على إثر وفاة العزيز بالله ، وبحكم قرب برجوان من الحاكم بأمر الله لكونه يتولى إدارة القصر في عهد العزيز بالله ، قام بأخذ البيعة للخليفة

→
ينظر . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ / ٦٠ ـ ٦١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ٦١ ـ ٦٢.

(١) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٤٣ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٢ ؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص ٥١.

(٢) هو المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ، رجل بدوي واحد الامراء الطائيين ، جعل من مدينة الرملة قاعدة له بعد تمكنه من فرض السيطرة عليها ، كان ولائه للفاطميين غير ثابت تارةً يقف الى جنبهم ضد الحمدانيين ، وتارةً يخلع طاعة العزيز بالله سنة (٣٧١ هـ / ٩٨١ م) قاصداً تأسيس دولة مستقلة عن الفاطميين . ينظر . يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ ؛ ابن خلكان ؛ وفيات الاعيان ، ٢/ ١١٧.

(٣) الرملة : هي مدينة تقع في فلسطين ، كانت رباطاً للمسلمين بينها وبين القدس ثمانية عشر يوماً . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٤٦.

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٤ ؛ المعاضيدي ، خاشع عيادة ، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (٣٥٩ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م) ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦) ، ص ٥٤ .

(٥) هو القائد التركي الذي ارسله العزيز بالله في سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) ، لقتال المفرج بن الجراح عندما عظم شانه في فلسطين. ينظر . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٩٤ . كما ذكرته المصادر التاريخية ايضاً باسم (بلتكين) . ينظر . ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥ ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ص ٢٠٥.

(٦) انطاكيا: هي مدينة عظيمة تُعد من أعيان المدن على طرف بحر الروم وبلاد الشام ، وسميت بهذا الاسم نسبةً إلى أنطاكيه بنت الروم بن اليقن . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢٦٦ ؛ جونز ، أ . هـ . م ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ترجمة : د . احسان عباس ، (دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٧م) ، ص ٤٠ ـ ٤١ ؛ الطائي ، سناء عبد الله عزيز ، انطاكيه مدينة العواصم في القرنين الثالث والرابع للهجرة ـ التاسع والعاشر للميلاد ـ ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ٦٠ ، السنة ٢٠١١م ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩.

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٩٤ ؛ بحر العلوم ، محمد ، تاريخ الدولة الفاطمية (العزيز بالله ـ الحاكم بأمر الله)، مراجعة وتحقيق : د. حيدر لفته مال الله ، (العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٨م) ، ٣ / ٩١.

الجديد ، فقد استغل المغاربة وفاة العزيز بالله من أجل تعزيز وجودهم واسترجاع نفوذهم إلى ما كان عليه في أيام المعز لدين الله ؛ لأن العزيز بالله قام بتقريب العناصر المشرقية والاعتماد عليها في إدارة شؤون الدولة ، فلذلك قرروا عدم الحضور إلى القصر وإعطاء البيعة للخليفة الجديد ، واجبروه على تعيين الحسن بن عمار وسيطا [١] له [٢].

وأصبحت دولة الحاكم بأمر الله تحت رحمة برجوان والحسن بن عمار، لكن نفوذ الأخير في هذا الوقت قد تفوق على نفوذ برجوان ، فلجأ إلى تقريب عناصر كتامه من المغاربة وتكريمهم فأخذت هذه العناصر بإفساد البلاد والتطاول على أموال العامة وحريمهم [٣] ، ومن ناحية اخرى قام بتقليص مخصصات الأتراك الذين ادخلهم العزيز بالله في الجيش الفاطمي ((وقطع اكثر الرسوم التي كانت لأولياء الدولة من الأتراك والعبيد وفرق كثيراً من الجواري طلباً للتوفير))[٤]، مما دفع منجوتكين[٥] والي دمشق إلى التصدي له بتحريض من قبل برجوان، فقام ابن عمار بقتال منجوتكين وكلف لقيادة الجيش سليمان بن جعفر بن فلاح [٦] ، فالتقى الطرفان في رفح [٧] وأسفرت من إلحاق الهزيمة بمنجوتكين[٨] ، لكنه أصرّ على مواصلة القتال فالتقى به للمرة الثانية في مدينة عسقلان[٩] في سنة

---

(١) الوسيط : هي رتبة اوجدها الفاطميون والشخص الذي يقوم بمهامها يتوسط بين الخليفة ورعيته . ينظر : ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٠٥ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ / ٧٨.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤ ؛ المناوي ، محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠م) ، ص ١٧٣ ؛ سيد ، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م) ، ص ١٦١ ــ ١٦٢.

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ ــ ٤٥ ؛ عنان ، محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، (ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣م) ، ص ٩٢ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ــ ٤١١ هـ / ٩٩٦ ــ ١٠٢٠م) دراسة في سياسته الداخلية والخارجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٤.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٢.

(٥) هو احد قادة العزيز بالله وهو من العنصر التركي ، تولى ولاية دمشق سنة (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ، بدلا من منير الخادم من قبل العزيز بالله . ينظر. ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٦٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٦٩.

(٦) هو أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي ، يُعد من القادة الفاطميين في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ،ولي مدينة دمشق بعد هزيمة منجوتكين. ينظر . ابو شجاع الروذراوري ، ظهير الدين ابو شجاع محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) ، ذيل كتاب تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق : امدروز ، (مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٦م) ، ٣ / ٢٢٤ ــ ٢٢٦ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٨ ــ ٥٠.

(٧) رفح : هي آخر المدن المعروفة التي تقع في الشام ، وتشكل الحدود التي تفصل بين بلاد الشام ومصر ، فهي تبعُد عن مدينة غزة بمسافة ستة عشر ميلاً . ينظر . اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) ، البلدان ، تحقيق : محمد امين ضناوي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ص ١٦٨ ؛ البكري ، ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، حققه وضبطه وشرحه : مصطفى السقا ، (ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م) ، ٢ / ٦٦٣.

(٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠ ؛ الجوابرة ، فاطمة ، موسوعة الخلفاء ، (دار صفاء ، عمان ، ٢٠٠٤م) ، ٢ / ١١٩ ؛ المسعودي ، الاغتيال السياسي ، ص ١٠٦.

(٩) عسقلان : هي مدينة في بلاد الشام من اعمال فلسطين تقع على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، كما ويطلق عليها عروس الشام . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١٢٢.

(٣٨٧هـ / ٩٩٧م) ، وأيضاً تمت هزيمة قواته ، وبلغ عدد القتلى من جماعته الفي رجل[١].

وفي تلك المرحلة الحساسة أظهر المفرج ابن الجراح مرة ثانية عن طموحاته في السيطرة على أملاك الفاطميين ، وتأسيس دولة مستقلة خارجة عن سيطرة الدولة الفاطمية ، ففي سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨ م) دخل مدينة الرملة [٢] وأعلن سيطرته عليها ثم سار إلى مدينة عسقلان ، لكنَّ الدولة الفاطمية لم تقف مكتوفة الأيدي أمام هذه الخطوات التوسعية ، فقام برجوان بإرسال العساكر بقيادة جيش بن الصمصامة[٣] إلى فلسطين لاستعادة مدينة الرملة[٤] ، فقامت العساكر بمطاردته وقواته حتى وافق على الصلح والعفو فتم العفو عنه[٥].

ومن أحداث الصراع المستمر على السلطة ما وقع في سنة (٣٩٣ هـ / ١٠٠٢م) إذ قُتل عبد الأعلى بن هاشم[٦] ، بعدما وصل إلى مسامع الحاكم بأمر الله طموحاته وتطلعاتهِ السياسية بالسيطرة على السلطة ، فقد كان يقول بأنه سوف يلي الحكم ، وكان مقتله بعد خروجه مع رفاقه للتنزه في إحدى ضياعه ، فأرسل الحاكم بأمر الله خلفه من يتجسس عليه ، وعندما وصل عبد الأعلى ورفاقه إلى هناك جلسوا وأكلوا وشَرِبوا، وقال له احد رفاقه :((لابد لك من الخلافة ، فأنت إمام العصر))[٧].

وتم اعلام الحاكم بأمر الله بكل تفاصيل رحلة عبد الأعلى ورفاقه ، وعند دخوله على الحاكم بأمر الله ، قام بضربه بالسيف ، فلم يقتله وحُمل إلى داره وأخذ يعتذر من الحاكم بأمر الله ويطلب منه الاذن في الحصول على طبيب ليقوم بمعالجته ، فتمت له ذلك وطلب السماح بالذهاب إلى الحمام بعدما تمت معالجته ، فلذا وجد الحاكم بأمر الله الفرصة المناسبة للقضاء عليه ، فبعث إلى الحمام من

---

(١) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٣٩ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٧.

(٢) عُدَّت هذه المنطقة ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة للدولة الفاطمية ، فقد كانت نقطة اتصال بري بين ممتلكاتها في افريقيا والمناطق التي سيطرت عليها في اسيا والمناطق التي كانت تنوي الاستيلاء عليها ، فضلاً عن ذلك الطرق التجارية والطريق المصري والشامي فلابد ان تمد بها ، فكان على الدولة الفاطمية ان تتبنى سياسة واضحة تجاه قبائل طي وغيرها . ينظر . الحياري ، مصطفى ، الإمارة الطائية في بلاد الشام ، (وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٧م) ، ص ٤٥.

(٣) هو ابو الفتح جيش بن محمد بن صمصامة ، ولي دمشق من قبل خاله أبي محمود أمير جيوش المصريين بالشام في سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) ، وعزل في (محرم سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م) ، ثم أعيد إلى ولايتها في شهر (ربيع الاخر سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م) ، وعزل في رجب من السنةِ نفسِها ، كما وتولى مدينة دمشق بعد وفاة خاله ابي محمود في سنة (٣٧٠ هـ /٩٨٠ م) ، وفي (ذي الحجة سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م) أصبح بلتكين التركي واليا على مدينة دمشق ، وفي سنة (٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م) ، تولى جيش مدينة دمشق واستمر بها والياً حتى وافاه الأجل في شهر (ربيع الآخر سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩ م) . ينظر . ابن عساكر ، ابي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)، تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق : محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمروني ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، ١١ / ٣٤٥ ــ ٣٤٦.

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤١ ؛ المعاضيدي ، الحياة السياسية ، ص ٥٥.

(٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥١.

(٦) هو عبد الأعلى بن هاشم بن محمد بن الامير هاشم اخ المعز لدين الله ، وهو من أقرباء الحاكم بأمر الله . ينظر . ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٥٧ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٩ ؛ طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، (ط٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧م) ، ص ٢٦٨.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٧.

يقوم بذبحه ، وقتل بعدها كل من كان مع عبد الاعلى في التنزه [١]. ويبدو الباعث على قتل عبد الأعلى كون الحاكم بأمر الله استشعر بالخطر منه ؛ لأنه أصبح يشكل تهديدا حقيقيا عليه وعلى سلطته في الحكم.

استمر الفاطميون في التصدي لكل المحاولات التي تسعى للسيطرة على الحكم ، إذ تعاملوا بقوة وحزم مع أحد الأفراد الأمويين المدفوعين من قبل السلطة الحاكمة في بلاد الأندلس[٢]، واسمه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وقد عرف بـ (أبي ركوة) لكونه كان يحمل على كتفه ركوة[٣] في رحلاته على طريقة مذهب الصوفية[٤]، والذي أراد غزو مصر لإحكام السيطرة عليها، ووضع حداً لإنهاء السيطرة الفاطمية عليها[٥] مستغلاً بذلك الدعم الخارجي الذي حصل عليه من قبل الأمويين في الأندلس ، فضلاً عن الدعم الداخلي والتأييد الذي تجسد بالحسين بن جوهر[٦] قائد القواد الذي تمكن وبصورة غامضة من الهروب من مصر والذهاب إلى طرابلس الغرب[٧].

وادّعى أبو ركوة بأنه ابن أخ هشام المؤيد بالله الأموي (٣٦٦ ــ ٤٠٣ هـ / ٩٧٦ ــ ١٠١٣م) [٨] ، وبأنه سيملك مصر ويقتل الجبابرة ، ويؤسس الإمامة على أسس مبنية على العدل والتقوى[٩]، وقد

---

(١) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٧٠ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٧.

(٢) اظهر الأمويون في الأندلس أطماعهم وأهدافهم في السيطرة على أملاك الفاطميين في مصر وبلاد الشام ، ويظهر ذلك جلياً وواضحاً من خلال شعر الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر والذي قال فيه :

عن قريب ترى خيول هشامٍ   يبلغ النيل خطوها والشاما .

ينظر : ابن الأبَّار ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ/١٢٦٠م) ، الحُلَّة السيِّراء ، حققه وعلق حواشيه : د . حسين مؤنس ، (ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ١ / ٢٧٥ ؛ المقري ، احمد بن محمد بن احمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،(مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٤١م) ، ٣٨٣/٣.

(٣) ركوة : هي اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، والجمع ركاء. ينظر . ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر احمد الزاوي - و محمود محمد الطناحي ،(ط٤ ، مؤسسة اسماعليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، د.ت)، ٢٦١/٢.

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٤ ؛ أبي الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ، المختصر في أخبار البشر ، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت) ، ٢ / ١٣٨.

(٥) لقبال ، موسى ، حركة الصراع بين الأمويين والفاطميين في القرن الرابع الهجري ــ العاشر الميلادي من خلال مجالس النعمان ومقتبس ابن حيان ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد، العدد ٢١ ، السنة ١٩٨٢م ، ص ٤١.

(٦) هو ابو عبد الله الحسين بن جوهر الصقلي الرومي ، لقبه الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٠هـ / ٦٩٩م) بـ (قائد القواد) ، قُتل مع القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان في (ثاني عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م) . ينظر. المقريزي . المقفى الكبير، ٣ / ٤٩٥ ــ ٤٩٧ ؛ الامين ، حسن ، مستدركات اعيان الشيعة ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٩م) ،٣٤٢/٢.

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٣ ــ ٤٤ ؛ تامر ، الحاكم بأمر الله خليفة . وامام . ومصلح ، (دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢ م) ، ص ٥٥ ــ ٥٦.

(٨) هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان العاشر من امراء بني امية في الاندلس ، وتمت مبايعته بولاية العهد في حياة ابيه سنة (٣٦٥ هـ / ٩٧٥م) ، قتل خنقاً سنة (٤٠٣ هـ / ١٠١٣م) فدفن ونبش اربع مرات . ينظر . النويري ، نهاية الارب ، (مطابع كوستاتسوماس ، القاهرة ، د.ت) ، ٢٣ / ٤٠٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٧ / ٢٠٤ ــ ٢٠٥.

(٩) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٥٩.

عرف عن بلاد المغرب والقبائل الساكنة فيه أنها كانت أرضاً خصبة لبث الدعوات الدينية والاستجابة لها[١].

وعلى هذا الأساس استجاب بنو قرة له [٢] والتف البدو الساكنون في مدينة برقه حوله ، ومن المعروف أَنَّ هذه القبيلة في عهد الحاكم بأمر الله قد عانت كثيراً من الضغط والمطاردات ، فكانوا على أهبة الاستعداد عندما دعاهم أبو ركوة ، وأعلنوا الجهاد في سبيل الله ، وتوصلوا إلى اتفاق يقضي بإعطاء أبي ركوة وأنصاره ثلث الغنائم ، ولبني قرة وحلفائهم الثلثان[٣].

وكانت منطقة شمال أفريقيا تمر بأوضاع اقتصادية متدهورة ؛ وذلك لارتفاع الأسعار وندرة الأقوات وضعف الزراعة ، وذهاب الأموال من الأغنياء ، وهلاك العامة ، وازدياد الوباء ، فبلغ عدد الموتى في كل يوم يتراوح من خمسمائة إلى سبعمائة فرد[٤].

وفي سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ، استطاع أبو ركوة من السيطرة على مدينة برقة [٥] بعد استيلائه على عدة مدن صغيرة كانت محيطة بها وقتل من فيها [٦]، وقرر حذف اسم الحاكم بأمر الله من الخطبة ، ولعنه وآباءه من على المنابر ، والتعرض بنسبهم الزائف ، وتلقب بـــ ((الثائر بأمر الله المنتصر لدين الله من أعداء الله)) ، وتم نقش ذلك على سكته [٧] وبعد ذلك توجهَ بأنظاره إلى ناحية مصر لاحتلالها ، فذهب إليها مع قواته واصطدم مع الجيش الفاطمي في معارك عديدة [٨] وكانت

---

(١) الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧١م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، ٢٠٠٩م ، ص ١٢٨.

(٢) بنو قرة : هم بنو قرة بن عمرو بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ، ويعود أصلهم إلى جذام ، وهم من القبائل العدنانية وكانت لهم مساكن بين مصر وافريقية ومن بلادهم أخميم بمصر. ينظر : المقريزي ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الإعراب ، تحقيق: د. عبد المجيد عابدين ، (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٨٩م) ، ص ٢٢ ؛ كحالة، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨م) ، ٣ / ٩٤٤.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٣ ؛ سرور ، محمد جمال الدين ، سياسة الفاطميين الخارجية ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤م) ، ص ٢٢٣.

(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٦٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٣ ؛ عماد الدين القرشي ، إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله الآنف (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م) ، عيون الأخبار وفنون الآثار أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق: د. مصطفى غالب ، (دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ٦/٢٦٢.

(٥) برقة: هي بلدة كبيرة تضم مدن وقرى عديدة ، تقع بين الإسكندرية وافريقية ، وتعد مدينة انطابلس اسم مدينتها ومعناها الخمس مدن. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٣٨٨.

(٦) ابن ظافر ، جمال الدين ابو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين الازدي (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) ، أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق : د. عصام مصطفى هزايمة وآخرون ، (مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ،أربد ، ١٩٩م) ، ١ / ١٩٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٠ ــ ٦١.

(٧) ابن الجوزي ، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ــ و مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه ؛ نعيم زرزور ، (دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢م)، ١٥/ ٥٣ ــ ٥٤ ؛ سرور ، سياسية الفاطميين ، ص ٢٢٣. وبعض المصادر تجعل لقبهُ (امير المؤمنين الناصر لدين الله) . ينظر . يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٦٢ . وبعضها يطلق لقب (الفائز بالله المنتقم من اعداء الله) . ينظر . الشهابي ، حيدر احمد ، تاريخ الأمير حيدر احمد الشهابي المعروف بـــــ (الغرر الحسان في تواريخ حوادث الأزمان) ، (مطبعة السلام ، القاهرة ، ١٩٠٠م) ، ص ٢٧١.

(٨) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥.

نتيجتها إلحاق الهزيمة به وهروبه إلى بلاد النوبة [١] ، وقد تم إلقاء القبض عليه وإرساله إلى مدينة القاهرة أسيراً إذ أُشّهرَ بها في سنة (٣٩٧ هـ /١٠٠٦م) ، وتم قتله وصلبه وإحراقه بالنار في مسجد تبر [٢][٣].

ومن دوافع الجرائم التي كان سببها الصراع على السلطة في العصر الفاطمي ، والتي عُدَّت من الحوادث المشهورة هي ما قامت به ست المُلك من قتل الحسين بن دواس[٤] فعندما اختفى الحاكم بأمر الله عمدت ست المُلك إلى استدعاء ابن دواس وطلبت منه المساعدة في إدارة أمور الدولة والبلاد، وقالت له : ((المعول في القيام بهذه الدولة عليك ، وتدبيرها موكول إليك ؛ وهذا الصبي ولدك فينبغي ان تنتهي في الخدمة إلى غاية وسعك فقبل الأرض ووعد بالإخلاص في الطاعة))[٥]. فأعلن الحسين ابن دواس استعداده لتقديم المساعدة.

وبعد قيام ابن دواس بأخذ البيعة للظاهر لإعزاز دين الله منح سلطات واسعة [٦] وأعطته ست المُلك مكافأة بان عرضت عليه مناصب عدة فعرضت عليه ((أمر السيادتين ، مضافاً إلى الشرطتين، واجعل أمرك في الأمور والخزائن نافذاً ، ورأيك في التقريرات والتدبيرات معتمداً ... وأشرفك بخلع وحملان يظهر للخاص والعام بها موضعك ومحلك ... وأطاب يوماً تختار لتفاض فيه عليك الخلع ويُقرأ العهد بتقليدك))[٧] وأمرت جمعٌ من رجال الطائفة السعدية [٨] ليقوموا بخدمته ، لكن ابن دواس

---

(١) بلاد النوبة: هي من أجزاء وادي النيل التي تمتد على جانبي النهر بين مدينتي أسوان والخرطوم . ينظر .الإدريسي ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (عالم الكتب ، بيروت ،١٩٨٩م) ، ١ / ٣٢ ؛ مسعد ، مصطفى محمد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى . بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر ميلادي ، (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ص ٢ و ٦ ــ ١٠ ؛ ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين ،(ط٤، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م) ، ١ / ٢٨٨ : هـ (١).

(٢) مسجد تبر : هو مسجد يقع خارج مدينة القاهرة ، وكان يسمى قديماً بالبئر والجميزة ، وتبر هو احد الأمراء الاكابر في ايام كافور. ينظر .النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٩٢ : هـ (٤).

(٣) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٦٧ ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٧٦ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٥.

(٤) هو سيف الدولة الحسين بن علي بن دواس الكتامي ، ويُعد من شيوخ كتامة وزعمائها البارزين وابرز القادة في عهد الحاكم بأمر الله . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٥٦٠ ــ ٥٦٣ ؛ الزركلي ، الاعلام، ٢ / ٢٣٧.

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥ / ١٤٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٢٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤/ ١٩٢.

(٦) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٧٨.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٢٦.

(٨) الطائفة السعدية : الطائفة السعدية : هي طائفة من طوائف العبيد من صبيان الركاب ، وكانت مكونة من مائة رجل مرتبين في القصر، واجبهم قتل كل من يؤمر بقتله ، وكانت من ابرز المهام التي قامت بها هذه الطائفة هي قتل ابن دواس الكتامي في (ذي الحجة من سنة ٤١١هـ / ١٠٣٠م) ، بناءً على أوامر صدرت من ست المُلك . ينظر . المصدر نفسه ، ٢ / ١٢٧ ؛ العمايرة ، محمد عبد الله سالم ، الجيش الفاطمي (٢٩٧ ــ ٥٦٧هـ / ٩٠٩ ــ ١١٧١م) ، (دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠م) ، ص ١٦١.

لم تطل مُدته ولم يهنأ بذلك ، إذ تم قتله بأوامر صدرت من ست المُلك في سنة (٤١١ هـ/١٠٣٠م)[١] ، فقُتل ورمي بجثته عند باب القصر الفاطمي كما وطيف به في شوارع مدينة القاهرة لمُدة ثلاثة أيام ومعها منادي ينادي عليها ((هذا جزاء من غدر بمواليه)) [٢] وذكر البعض سبب قتله راجعٌ إلى رغبة ست المُلك للقضاء على كُل من لهُ علمٌ بجريمتها التي أفضت إلى قتل الحاكم بأمر الله[٣] وقد ذكر آخرون سبب قتل ابن دواس إلى أنَّ ست المُلك اكتشفت بان ابن دواس كان وراء عملية قتل أخيها الحاكم بأمر الله فقامت على إثر ذلك وقتلته انتقاما[٤].

كما وشهدت خلافة المستنصر بالله (٤٢٧ ــ ٤٨٧ هــ / ١٠٣٥ ــ ١٠٩٤ م) العديد من الصراعات على السلطة والطمع في الحكم ، نتج عنها ارتكاب العديد من الجرائم ، خصوصا وإنَّ هذه الحقبة كانت تتميز بضعف الوزراء، وقلة إمكانيتهم في إدارة شؤون الدولة ، الأمر الذي أدى إلى ظهور سلطة وسطوة والدة الخليفة المستنصر بالله المعروفة بالسيدة[٥] وتحكمها بأمور الدولة من دون ولدها المستنصر بالله ، وعندما يحاول الوزير أن ينفرد بمهامه من دون علمها ، فتتخذ قراراً بالقضاء على وزارته ، وهذا بدوره أدى إلى إضعاف الإدارة بشكل كثير ، فقد اعتمدت على طائفة العبيد السود في تدبير شؤون دولتها ، والذين زادت منهم لكونهم من جنسها ، وبلغ مجموعهم أكثر من خمسين ألف عبد اسود ، فتمكنت السيدة ومن خلال مساعدتهم لها من السيطرة على مفاصل الدولة وتنفيذ المخططات التي ترسمها [٦].

كما قامت بتقريب أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري فأصبح ناظراً في جميع أمور الدولة ومتولي ديوانها [٧]، فاستطاع أن يكون له نفوذاً كبيراً في الدولة حتى أنه وصف بأنه ((الأساس

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥ / ١٤٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٢٧.

(٢) المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٣١٨.

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥ / ١٤٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ١٩٤.

(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٣٧٣ ؛ ابن الأثير ، ٨ / ١٣١ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٢٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٢٧ــ ١٢٨.

(٥) هي والدة الخليفة المستنصر بالله ، والتي اشتهرت بهذا اللقب (السيدة) ، كما وكانت تتلقب بــ(السيدة الملكة) . ينظر السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥١) ، ص١٦٩. وينادبها في حضرة ولدها الخليفة الرجال بــ(مولاتهم). ينظر: ساويرس ابن المقفع (اسقف الاشمونين) ، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بـ (سير البيعة المقدسة) ، قام على نشره : عيسى عبد المسيح وآخرون، (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٩م) ، ٢ / ٣ : ٢٠٩ . كما ويطلق عليها بــ (الجهة الجليلة) و (الستر الرفيع) . ينظر . المؤيد في الدين ، هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ــ ترجمة حياته بقلمه ـــ تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين ،(دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٤٩م) ، ص ٨٧ ، ٨٩ . وقد ذكرها المقريزي باسم (السيدة رصد) . ينظر . اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٨٤.

(٦) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٤٤ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١٧٥.

(٧) ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٧١ ؛ ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م) ، المنتقى من أخبار مصر ، حققه وكتب مقدمته وحاشيته ووضع فهارسه : د. ايمن فؤاد سيد ، (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، د.ت)، ص٤ ؛ حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريه وبلاد العرب ، (ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م) ، ص ٢١١ .
←

والمبنى))[١] ، فقوي شأنه وأصبحت له كلمته ((بحيث لم يبقَ للفلاحي (٤٣٦ ــ ٤٣٩ هـ/١٠٤٤ــ ١٠٤٧م)[٢] معه أمرٌ ولا نهي سوى الاسم فقط وبعض التنفيذ))[٣]، أقدم التستري على إستمالة الجند المغاربة والسودان وزاد من رواتبهم، وقللها من الأتراك، وهذا أدى إلى صدام بين الفريقين أكثرمن مرة، وكان الهدف من إجراء التستري ، هو المحافظة والهيمنة على نفوذه في السلطة [٤]، ومحاولته التقرب من والدة الخليفة السيدة ، لكونها تكره الأتراك وتميل إلى جانب طائفتها من العبيد[٥].

استغل الوزير الفلاحي هذه الحادثة فعمل على تقريب طائفة الأتراك وزاد في معائشهم وأرزاقهم ، ودفعهم على قتل أبي سعد التستري ، فتمكن الجنود الأتراك من قتله في سنة (٤٣٩ هــ / ١٠٤٧م) ، بعد نصب كمين له ، وقد زاد كره المسلمين لأبي سعيد التستري إلى درجة انه عندما طلب المستنصر بالله قاتليه اعترفت فرق الجند جميعاً أنهم قتلوه ، فلذا لم يستطع من إنزال العقوبة بحقهم وغضى الطرف عن ذلك[٦] ، كما أبدت والدة المستنصر بالله (السيدة) رفضها بما قام به الأتراك من قتل التستري ، والتصرف الذي صدر من ولدها بصرفه النظر عن هذه الحادثة ، فلجأت إلى التخلص من الوزير الفلاحي الذي ظن ((إنَّ الدنيا قد صفت له وأنه قد أمن ما يكرهه فما تهنأ بعمره ، ولا استمتع بنهيه وأمره))[٧] ، فقد عزله المستنصر بالله من منصبه وقبض عليه واعتقله في خزانة البنود[٨] والتي

→

وكان ابو سعد أو أبو سعيد في بعض المصادر وأخيه أبو نصر يهوديان يعملان في التجارة . ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٧١ : هـ (٣) . وقد ذكر المقريزي ان التستري ((استخدمه الظاهر لبيوعه ، فباع عليه في جملة ما باع جارية سوداء تحظاها الظاهر ، فولدت له المستنصر ... فعظم شانه الى ان صار ناظراً في جميع أمور الدولة)) . ينظر ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩٠ . كما وعرف عن الفاطميين أقدامهم على شراء النساء النوبيات لما يمتلكن من صفات الجمال الفائق التي لا مثيل لها مثل ((كمال المحاسن وشفاهم رقاق وأفواههم صغار ومباسمهم بيض وشعورهم سبطة)) . ينظر . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ١ / ٣٠.

(١) المؤيد في الدين ، سيرة ، ص ٨١ . وفرض التستري سيطرته على كافة مفاصل الدولة ، فقد نصب أخيه أبو نصر رئيساً لديوان الخليفة ، فضلاً عن تعيين ولده بإدارة الدواوين ، فلذلك عظم أمره وأصبح لا يخرج شيء عما يرسمه . ينظر. سيرة، ص ٨٤ ــ ٨٥ ؛ ابن ميسر ، المنتقى، ص٤ ؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢١١.

(٢) هو الوزير الأجل تاج الرئاسة فخر الملك مصطفى امير المؤمنين ابو منصور او ابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي ، كان يهودياً ومن ثم اسلم ، عرف ببراعته في صروف الكتابة ، كان ناظراً على بلاد الشام ، تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله . للمزيد من التفصيل ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة ، ص ٧١ ــ ٧٢ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص٢٥٤ ــ ٢٥٥.

(٣) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٤.

(٤) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٧ ؛ سرور ، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، (دار الاتحاد العربي للطباعة ، مصر ، ١٩٧٩م) ، ص ١٠٣.

(٥) ماجد، الإمام المستنصر بالله الفاطمي ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ص ٢٦.

(٦) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٧ ــ ١٣٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩٥.

(٧) ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٧٢ ؛ حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٧٧.

(٨) خزانة البنود : هي إحدى الخزائن الموجودة في القصر الفاطمي ، كانت ملاصقة للقصر ، أنشئت في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ، ويوجد فيها ثلاثة آلاف صانع محترف في مختلف أنواع الحرف ، وأما سبب التسمية بهذا الاسم لأنها كانت تصنع فيها الاعلام والرايات ، وفي سنة (٤٦١هــ / ١٠٨٦م) ، احترقت جميع محتوياتها على إثر سقوط شمعة من احد الفراشين . ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـــ (الخطط المقريزية) ، تحقيق : د. محمد زينهم ــ و مديحة الشرقاوي ، راجعه وضبط هوامشه : احمد احمد زيادة ، (مطابع

←

بقى فيها إلى أن قُتل فــي شهر(محرم سنة ٤٤٠ هــ / ١٠٤٨م) [(١)].

كما حصل عدد من الجرائم التي كانت بدافع السيطرة على السلطة والطمع في النفوذ و الحكم، بعدَ تمكن البساسيري[(٢)] مــن دخـول مدينـة بغداد فـي (الثـامن مـن شـهر ذي القعدة سـنة ٤٥٠ هــ / ١٠٥٨م) وإقامة الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي في جوامع بغداد وقطعها عن بني العباس ، كما زيد في الآذان ((حي على خير العمل)) ، وقام بضرب الدنانير التـي أطلق عليها اسم المستنصرية في (العاشر من ذي الحجة من السنةِ نفسِها) ، والتي نقش على أحد جانبها ((لا اله إلا الله وحده لا شريك لـه محمد رسول الله علـي ولـي الله)) وعلـى الجانـب الآخـر ((عبد الله ووليـه الإمـام أبـو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين)) ، كما قـام بتغريق أقوام فـي الليل بعد إلقاء القبض عليهم ، وغرق مجموعة أخرى بعد إحساسه أنهم يتآمرون على قتله[(٣)] وألقى القبض على الوزير العباسي ابـي القاسم بن المسلمة القاسم بن المسلمة القاسم بن المسلمة [(٤)] وقتله ، وقد طلب الخليفة العباسي الأمان فبعث مع أهله وحاشيته إلى منطقة حديثة عانة [(٥)] في الفرات[(٦)].

→

دار الأمين ، القاهرة ، ١٩٩٧م) ، ٢ / ١٩٦ ؛ مبارك ، علي ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، (ط٢ ، دار الكتب القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م) ، ٣ / ١٩٥ ؛ مشرفة ، نظم الحكم ، ص ١٠٤.

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٠٣ ؛ ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٣٥٧ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٥ . ومن عجائب الاتفاق في قتله هو انه عندما تولى الوزارة سعى في اعتقال الوزير السابق الذي كان رفيقاً له (ابو علي الحسن الانباري) فقام باعتقاله في خزانة البنود لتخوفه منه ، ثم أقدم على قتله ودفنه في هذه الخزانة سنة (٤٣٦ هــ / ١٠٤٤م) ، فعندما قبض عليه بعد عزله من الوزارة سجن في المكان الذي مات فيه ابن الانباري من خزانة البنود وقتل معه ، وعندما حفرت له حفيرة ليتم دفنه فيها ، وجد رأس عند الحفر ، وعندما سئل الفلاحي عنها ، فقال : ((هذه رأس ابن الانباري ، وأنا قتلته ودفنته في هذا الموضع وانشد : رُبَ لحدٍ قد صارَ لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحُم الأضداد)) . ينظر . ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٠٣ ؛ ابن اياس ، محمد بن احمد الحنفي (ت ٩٣٠ هــ / ١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة : محمد مصطفى ، (دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م) ، ١ / ١ : ٢١٥ ــ ٢١٦.

(٢) هو ابو الحارث ارسلان بن عبد الله البساسيري التركي ، مقدم الأتراك في بغداد والذي خرج على القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢ ــ ٤٦٧ هــ / ١٠٣٠ ــ ١٠٧٤م) ، وأخرجه من بغداد وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ ــ ٤٨٧ هــ / ١٠٣٥ ــ ١٠٩٤ م)، وقام بقتل رئيس الرؤساء شر قتله ، وبقى مسيطراً على بغداد سنة كامل ، قتل على يد طغرلبك السلجوقي في سنة (٤٥١ هــ / ١٠٥٩ م) ، وطيف برأسه في بغداد ، وتم صلبه قبالة باب النوبي . وهذه إحدى الجرائم التي كان دافعها الصراع على السلطة والطمع في الحكم . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ١٩٢/١ ــ ١٩٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٨ / ٢٢١ ؛ الأمين ، محسن ، أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الامين، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، د.ت) ، ٣ / ٢٣٩ ــ ٢٤٢.

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ / ٣٢ و ٣٧ ؛ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هــ / ١٣٤٨م) ، تاريخ ابن الوردي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م) ، ١ / ٣٥٢.

(٤) هو ابو القاسم علي بن الحسن بن احمد بن محمد بن عمر بن الحسن المعروف بــ (ابن المسلمة) ، وزير القائم بأمر الله العباسي ، لقب من قبله برئيس الرؤساء ، وشرف الوزراء ، وجمال الورى ، قتل وصلب في يوم الاثنين (الثامن والعشرون من ذي الحجة سنة ٤٥٠هــ / ١٠٨٥م) ، على يد ابو الحارث البساسيري التركي . للمزيد من التفصيل ينظر. الخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هــ / ١٠٧٠ م) ، تاريخ بغداد او مدينة السلام، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)،٣٩٠/١١-٣٩١.

(٥) عانة: هي بلد مشهور يقع بين الرقة وهيت، ويُعد من اعمال الجزيرة. ينظر. ياقوت الحموي، معجم البلدان،٧٢/٤.

(٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٨ ــ ٩.

وأرسل البساسيري إلى مدينة القاهرة متعلقات القائم بأمر الله العباسي ، وهي عبارة عن ثيابه وعمامته وشباكه الذي كان يجلس عليه ، وعندما ورد الخبر إلى المستنصر بالله ابتهج بذلك وغمره الفرح والسرور، فأقيمت الاحتفالات ومظاهر الزينة في مصر عامة ، وقد انشد في هذه المناسبة بيتين من الشعر من قبل إحدى المغنيات والتي تدعى نسب[١][٢] فغنت بين يدي المستنصر بالله وقالت :

يـــابني العبـــاس رُدُوا   مَلَـــكَ الامـــرَ مَعَـــدُ

مُلكُكُـــمُ مُلـــكٌ مُعَـــارٌ   والعَـواري تُســتَرَدُ[٣]

فقال لها :((تمني ، فتمنت الأرض المجاورة للمقس[٤]، فقال :هي لك فعرفت هذه الأرض بها وقيل ارض الطبالة [٥]))[٦].

وعلى الرغم مما قام به البساسيري من خدمة الدولة الفاطمية ، ونشر النفوذ الفاطمي في بغداد ، فلم يُعد بإمكان المستنصر بالله ان يواصل الإمدادات العسكرية إلى البساسيري ؛ وذلك بسبب قلة الإمكانات المالية لمصر من جهة ، وحقد وعداء الوزير ابي الفرج المغربي (٤٥٠ ــ ٤٥٢ هـ /١٠٥٨ ـ ١٠٦٠م) [٧] من جهة أخرى[٨] ، وعلى أي حال لم يتوانَ البساسيري في دعمه وإخلاصه للخليفة الفاطمي ، فأقام له الخطبة في مدينة واسط والبصرة [٩] ، ولكنه فشل من مقاومة الجيش السلجوقي ، فلذلك خرج مع جنوده من بغداد قاصداً الذهاب إلى مدينة الكوفة ، فقتل في سنة (٤٥١هـ/١٠٦٠م) ، على إثر معركة شرسة وقعت مع السلاجــقة [١٠] ، فحمل رأسه إلى

---

(١) هي امرأة مترجلة كانت تقف في المواسم والاعياد تحت القصر ، وتسير وحولها طائفة في ايام المواكب وهي تضرب بالطبل ، دفنت هذه المرأة في القرافة بالمكان المعروف بالسهمية ، وكان على قبرها قبة خربت وعلى إثرها اندثرت معالم قبرها . ينظر . ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٩ : هـ (٧٠) .

(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٦٥٦.

(٣) ابن ميسر، المنتقى، ص١٩ ؛ النويري، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٢ ؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ٦٥٧/٢.

(٤) المقس : هو موضع بين يدي القاهرة على النيل ، وكان المقس في القدم يقعد العاشر – صاحب العشور عندها على المكس فقلب وسمي المقس ، ويسمى قبل الإسلام بـــ (ام دنين) ، ويوجد به مدينة وحصن قبل ان يتم الشروع ببناء مدينة الفسطاط. ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٥ / ١٧٥.

(٥) الطبالة : هي الارض التي تقع على جانب الخليج الغربي بجوار المقس ، وتُعد من افضل المتنزهات في مدينة القاهرة . ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٦٥٦.

(٦) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٩.

(٧) هو الوزير الأجل الكامل الأوحد ابو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي ، تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله ، وبعد عزله من الوزارة تولى ديوان الإنشاء وهي سابقة لم تعهد من قبل وأصبحت سُنة ، توفي في سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) . ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٨٣ ، ٨٥ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩.

(٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٥٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٣ ؛ سرور ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، (دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ص ١٢٠ ــ ١٢١.

(٩) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطة ، ١/ ٢١٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٤٤ ؛ سرور ، النفوذ الفاطمي ، ص ١٢١.

(١٠) السلاجقة : هم طائفة من الأتراك الغز والذين كانوا ملوك السلاجقة منهم ، نزحوا من تركستان الى المناطق التي تقع بين بلاد ما وراء النهر والبلاد التي سكنتها طائفة (الخرلخ) التركية المسلمة ، والسبب في تسميتهم بالسلاجقة ←

طغرلبك[١] الذي قام بدوره بإرساله إلى القائم بأمر الله العباسي ، فطيف به على قناة بغداد وعلق على باب النوبي[٢] كما وأحيط بأمواله ونسائه وكافة حاشيته ، وقتل خلق كبير لا يحصى لهم عدد في هذه الواقعة ، واستطاع دبيس بن مزيد[٣] من الهروب إلى البطيحة [٤] والذي كان مع البساسيري في المعركة ، وتم قطع الخطبة للمستنصر بالله في العراق ، بعد أن خطب له مُدَة أربعين جمعة في بغداد ، ورجعت إلى القائم بأمر الله العباسي كما كانت له سابقاً[٥].

وبذلك حقق السلاجقة النجاح في القضاء على حركة البساسيري ، والتي دقت ناقوس الخطر على كيان الدولة الفاطمية ، وقد عبر(ابن ظافر) عن هذه الحادثة بقوله : ((آخر سعادة لهذه الدولة وأول تناقص أحوالها مثل السراج الذي يلتهب عند انطفائه))[٦].

وشهدت أيضاً حقبة خلافة المستنصر بالله العديد من الأزمات والمشاكل الداخلية والخارجية، فضلاً عن ظهور الصراعات بين القادة والوزراء ، وما نتج عنها من تدهور في الأوضاع السياسية والاقتصادية للبلاد ، فكان لابد من انقاذ هذا الوضع بالاستعانة بالقوة العسكرية التي تستطيع فرض النظام والأمن وصيانة الخلافة وانهاء الفوضى المستشرية فيها ، فإنَّ الخليفة فقد كل سيطرة له عليها فانحصر نفوذه داخل القصر، وقد تم تقسيم أغلب أراضي البلاد من قبل الطامعين والخارجين على القانون ، فعقد المستنصر بالله آماله ، وتطلعاته إلى شخصية عسكرية ألا وهي بدر الجمالي (٤٦٦ ــ ٤٨٧ هــ/ ١٠٧٣ ــ ١٠٩٤ م) [٧] متوسماً فيه إعادة الأمور إلى نصابها ، وعند وصوله إلى مصر

→

يعود الى زعيمهم (سلجوق بن دقاق) أو (تقاق) الذي تولى قيادتهم وتمكن من توحيد كلمتهم . ينظر. القلقشندي ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هــ/ ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م) ، ١ / ٣٦٦ ؛ حلمي ، احمد كمال الدين ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، (دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٧٥م) ، ص ٢١.

(١) هو ابو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دُقاق ، والذي يلقب بــ (ركن الدين) طغرلبك ، وكان اول ملوك الدولة السلجوقية. للمزيد من التفصيل ينظر .ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ / ٦٣ ــ ٦٦.

(٢) هو الباب الذي كان ينزل عنده القادمون على الخليفة ، ويقومون بتقديم شعائر الولاء له . ينظر .النويري ، نهاية الارب ، (مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه ، القاهرة ، د.ت) ، ٢٩ / ٢١٢ : هــ (٢).

(٣) هو نور الدولة دبيس بن مزيد الاسدي ، امير عرب الفرات وقريش وغيرهما . ينظر . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م) ، ٣٠ / ٢٥.

(٤) البطيحة : هي ارض واسعة تقع بين مدينتي واسط والبصرة ، وعرفت قديما بانها عبارة عن قرى متصلة وارضاً عامرة. للمزيد من التفصيل ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البدان ، ١ / ٤٥١ ــ ٤٥٢.

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ / ٥٤ ؛ ابن خلكان ، وفيان الاعيان ، ١ / ١٩٢ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م) ، ٢ / ٢٩٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٥٧.

(٦) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطة ، ١ / ٢١٨.

(٧) هو ابو النجم بدر بن عبد الله الجمالي ، اصله مملوك ارمني وكان مملوكاً لجمال الدولة ابي الحسن علي بن عمار فنسب اليه وتقدم في خدمة الدولة حتى ولي مدينة دمشق في سنة (٤٥٥هــ/ ١٠٦٣م) للخليفة المستنصر بالله ، ثم قام باستدعائه الى مصر فوصل الى مدينة القاهرة في سنة (٤٦٦ هــ/ ١٠٧٣م) ، فولاه تدبير اموره ((وكان وزير السيف والقلم)) ، توفي بدر الجمالي في(ربيع الاخر او جمادى الاولى سنة ٤٨٧ هــ/١٠٩٤ م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٩٤ ــ ٩٧ ؛المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٣٩٤ ــ ٤٠٢ ؛ ابن حجر العسقلاني

←

نجح في القضاء على الفوضى التي انتشرت في البلاد وأعادَ الأمن والرخاء إليها ، فعادت الأمور إلى طبيعتها في مدينة الفسطاط [(١)] والعاصمة ، وأخذ بعد ذلك بالعمل من أجل تدعيم سلطة الدولة والقضاء على الثورات والحركات الاستقلالية في الأقاليم ، وفي سنة (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م) ، اتجه إلى الوجه البحري فتمكن من هزيمة عرب لواته [(٢)] وقتل مقدمهم سليم اللواتي مع ابنه وأخذ أموالهما[(٣)].

وبعد ذلك توجه إلى مدينة دمياط [(٤)] ((وقتل جماعة من المفسدين وأحرقهم وأصلح البر الشرقي . ثم عدا إلى البر الغربي ، فأصلحه وقتل جماعة من الملحية [(٥)] وأتباعهم بالإسكندرية...))[(٦)] ، وعند اكتمال السيطرة لبدر الجمالي على الوجه البحري ذهب إلى الصعيد [(٧)] في سنة (٤٦٩هـ /١٠٧٦م) ليتمكن من القضاء على ثورات عرب جهينة [(٨)] ، والثعالبة [(٩)] ، والجعافرة [(١٠)] لينقض عليهم في مدينة طوخ [(١١)] ، ونجح من هزيمتهم وأكثر فيهم القتل وغرقَ

←

،شهاب الدين احمد بن علي بن محمد(ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) ، رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق : د. علي محمد عمر ، (مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩٨م) ، ص ٩١ ــ ٩٦ ؛ المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٧٠ ــ ٢٧١.

(١) الفسطاط : هي المدينة التي انشأها العرب في مصر ، واختط المدينة عمر بن العاص في سنة (٢٠هـ / ٦٤١م) ، واما السبب في تسميتها بهذا الاسم يعود إلى عمر بن العاص الذي ضرب فسطاطه بهذا المكان . ينظر . ابن الفقيه الهمذاني ، ابي عبد الله احمد بن محمد بن أسحاق (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١ م) ، البلدان ، تحقيق : يوسف هادي ،(ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٩م) ، ص ١١٧ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق، ١ / ٣٢٢.

(٢) لواته : هي قبيلة تنتسب إلى لواته بن بربر بن جابر بن بفيض بن غطفان بن قيس بن عيرن ، وسكنت هذه القبيلة في اعمال الجيزة والبهنسا . ينظر . المقريزي ، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، تحقيق : د. عبد المجيد عابدين ، (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م) ، ص ٤٩ ــ ٥٦ ، ١٣٣ ــ ١٣٤.

(٣) المقفى الكبير ، ٢ / ٣٩٨.

(٤) دمياط: مدينة تقع في شرق النيل بمصر على الضفة الشرقية لفرع النيل المسمى باسمها، بينها وبين مدينة تنيس مقدار نصف نهار ، كما وسميت باسم (المدينة البيضاء) . للمزيد من التفصيل . ينظر . البكري ، المسالك والممالك ، حققه ووضع فهارسه : د. جمال طلبه ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م) ، ٢ / ١٥٤ – ١٠٠ ؛ ابن ظهيرة ، ابو اسحاق برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق: مصطفى السقا – و كامل المهندس ، (مطبوعات دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م) ،ص٥٤.

(٥) الملحية: هي طائفة من طوائف العسكر في عهد المستنصر بالله صاحب مصر ، والتي خرجت عليه ، وكان يقال لكل واحد منهم ملح ومنها جاءت تسميتهم بــ (الملحية) ، وكانت اعدادهم كثيرة. ينظر. ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ، ٣/ ٢٥٤ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٤٣٦.

(٦) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٤١.

(٧) الصعيد: هي بلاد كثيرة وواسعة في مصر، توجد فيها مدن عدة منها اسوان هي الاولى من جهة الجنوب، ثم قوص وقفط وأخميم والبهنسا وغير ذلك، وتنقسم الى ثلاثة أقسام،الصعيد الأعلى وحده اسوان واخره اخميم، والثاني من اخميم الى البهنسا ، والادنى من البهنسا الى الفسطاط . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٤٠٨.

(٨) جهينة : هي جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة ، اصلهم من قبائل اليمن ، ويعتبرون من الاوائل الذين دخلوا الى مصرمن العرب واستقروا في وادي النيل وبعضهم اقام في الصحراء ، وهم الآن اكثر العرب الموجودين في الصعيد ومقر سكناهم في مدينة أخميم . ينظر . المقريزي ، البيان والاعراب ، ص ١٢٢.

(٩) الثعالبة : هم بنو ثعلبة بن غوث بن طيء ، سكنوا في صعيد مصر . ينظر. القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، (مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩م) ، ص ١٢٢.

(١٠) الجعافرة : هم من نسل الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، وجعفر بن ابي طالب ، وقد استقروا في اغلب المناطق في صعيد مصر. ينظر . المقريزي ، البيان والاعراب ، ص ٣٣ ــ ٣٦.

(١١) طوخ : هي قرية في صعيد مصر الأعلى على غربي النيل ، وطوخ الخيل قرية اخرى في الصعيد غرب النيل

←

الهاربين منهم ، وحملت أموالهم إلى المستنصر بالله[١].

كما شهدت الدولة الفاطمية في مصر وفي قرنها الثاني صراعاً شرساً على منصب الوزارة بين رجال الدولة ، فحدثت بين الطامعين والمتغلبين الفتن والحروب على الوزارة الذي تطلع اليه الكثيرين مما أدى بهم إلى الاستعانة بالقوى الخارجية التي تحركت هي الأخرى لإحكام سيطرتها على البلاد، فكانت آخر حلقات هذا الصراع والمنافسة على منصب الوزارة هو ما حصل بين وزير العاضد لدين الله شاور وضرغام (٥٥٨ ــ ٥٥٩ هـــ / ١١٦٢ــ ١١٦٣م) [٢] في سنة (٥٥٨ هـــ / ١١٦٣م) ، واستفحل أمر شاور فاستعد له ضرغام وجمع جمعاً كبيراً واستظهر على شاور وتمكن من قتل ولديه طي وسليمان وأما الثالث فقد وقع في الأسر كما أقصاه عن الوزارة فأصبح وزير العاضد لدين الله ولقب نفسه بالمنصور، وقام بقتل عدد كثيرمن الأمراء المصريين لتخلو له البلاد[٣].

ثانياً : الصراع بين طوائف الجند

كان الجيش قديماً وحديثاً يمثل العمود الفقري والقوة الضاربة لأي دولة ، فيعُد الأساس الذي تستند عليه لحماية سلطانها ومواجهة الأخطار التي تتربص بها ، وقد اكتسب الجيش الفاطمي أهمية خاصة من خلال التركيب الاجتماعي العرقي [٤] ، لذا اعتمدت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب على الكتاميين[٥] الذين كان لهم الدور الكبير في قيام دولتهم وديمومتها وتحقيق الانتصارات ، إذ لولاهم لما

←
يقال لها طوخ بيتر يمون ، كما ويقال لها طوه ايضاً . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٤٦ ؛ ابن عبد الحق البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمد البجاوي ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م) ، ٢ / ٨٩٥ ؛ رمزي ، محمد ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥م ، (الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م) ، ٢ / ٤ : ١٨٧.

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٤٣.

(٢) هو أبو الاشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي المنذري ، الملقب بالملك المنصور ، ويُعد من امراء الدولة وكبار قوادها ، وكان من مقدمي البرقية التي أنشأها الصالح طلائع بن رزيك في ايام وزارته ، فترقى في الخدمة حتى أصبح صاحب الباب ، تولى الوزارة في عهد العاضد لدين الله عندما تمكن من طرد شاور ، قتل في سنة (٥٥٩هـ / ١١٦٣م) عند قبر السيدة نفيسة وطيف برأسه . للمزيد من التفصيل ينظر . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٦ / ٢١١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٨٩.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، (ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، ٢٠٠٣م) ، ٩ / ٤٦٠ ؛ ابو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن أسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : أحمد البيسومي ، (مطابع وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩١م) ، ١ / ٢٥٦ ؛ ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ٥ / ٢٨٩.

(٤) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣٠١ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦٥٧.

(٥) الكتاميين : هي احدى قبائل البربر في بلاد المغرب ، وتميزت قبل الفتح الإسلامي بقوتها وباسها ، وتآلفت من قبائل عدَّة مستقرة تنتمي إلى البرانس . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ٣/ ٨٣ ؛ ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ٦ / ١٩٥ ــ ١٩٧ ؛ بني خالد ، موسى احمد ، دور القبائل البربرية في العلاقات السياسية الفاطمية والأموية بالأندلس ،(مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، أربد ،٢٠٠٤م) ، ص ٤٥ ــ ٥٥.

سمح للفاطميين أن يؤسسوا دولتهم في افريقية [١] ، بل أسهموا إسهاماً فعالاً في زيادة أملاك الدولة الفاطمية ، ومن ثم إحكام السيطرة على مصر[٢] ، وقد أسندت المفاصل المهمة في الجيش الفاطمي إلى الكتاميين ، والذين بلغ عددهم تقريباً خمسين الف من أصل سبعين ألف مقاتل في تعداد الجيش سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٦م)[٣] ، وقد بين القاضي النعمان من خلال حديثه عن الكتاميين المميزات البطولية التي كانوا يتميزون بها في الميدان[٤].

ومهما يكن فإنَّ الاعتماد على طائفة واحدة من العناصر سيؤدي إلى خلق مشاكل للدولة ؛ لأنهم قادرين على الانقلاب والتمرد عليها ، فضلاً عن انعدام روح المنافسة بينهم لتقديم ما هو أفضل ، فضلا عن التنافس في تقديم الخدمة للخليفة أو الحاكم ، فلذا لابد للحاكم أن يعتمد على جنود وعناصر من قبائل وأجناس مختلفة ؛ لكي لا يتمكنون من الاتفاق والتعاون على نصب العداوة والخلاف عليه ، إذ يجلبان له المضرة [٥] ، فقد عملت الدولة الفاطمية على ضرورة الاعتماد على اجناد من أجناس وقبائل مختلفة في مسألة تشكيل الجيوش الاسلامية آنذاك[٦].

كان الجيش الفاطمي يتكون من أربعة عناصر أساسية في المُدَّة الافريقية هي : (الكتاميون ، والصقالبة[٧]، والزويليون[٨]، والجنود العرب)[٩] ، وقد أخذ الفاطميون بعد استقرارهم في مصر بالبحث عن مكونات أخرى يستعملونها في جيوشهم ؛ لكي لا يستبد البربر بهم ، فإنَّ المعز لدين الله منذ أن وصل مصر أخذ بتأسيس جيش خاص به وأفرد له ثكنات في قصره تسمى بـــ (الحجر)

---

(١) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦٥٧ ؛ محمد ، هيفاء عاصم ، صفحات من التاريخ الفاطمي ، (دار ومكتبة عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٤م) ص ٢٩٦.

(٢) ابن خلدون ، ديوان المبتدا والخبر ، ٤ / ٤٩ ؛ مال الله ، المعز لدين الله، ص ٨٩.

(٣) سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦٥٨ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة الفاطمية ، ص ٩٨.

(٤) ينظر . المجالس والمسايرات ، ص ٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٨، ٢٤٥ ــ ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٣٢١.

(٥) ابن الأزرق ، ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد الاصبحي الغرناطي (ت ٨٩٦ هــ / ١٤٩٠م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : د . علي سامي النشار ، (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م) ، ١ / ١٧٦ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ / ١٩٥ ؛ عبد علي ، أساليب الدولة الفاطمية ، ص ٩٨.

(٦) محمد ، صفحات من التاريخ ، ص ٢٩٥؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص ٨٩.

(٧) الصقالبة : هي كلمة اطلقت على الشعوب السلافية ، وتم بيعهم بصفة عبيد الى الأندلسيين من قبل بعض الشعوب الأوربية ، وقد توسع الأندلسيين في استعمال هذه الكلمة فأصبحت بالإضافة الى ذلك تعني الرقيق القادم من اوربا. ينظر . ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد القرطبي (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، (مطبعة سميا ، بيروت ، ١٩٦٥م) ، ص٤٨.

(٨) الزويليون : هم طائفة العبيد السود في الجيش المصري الذين ينسبون الى زويلة ، وهي قاعدة اقليم فزان بالقرب من بلاد الكانم (تشاد حالياً) ، وكانوا يؤلفون فيلقاً خاصاً داخل الجيش الفاطمي تحت قيادة شخص من بني جنسهم ، ويعود استخدام الزويليين السود إلى بداية عهد الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي (٢٩٦ ــ ٣٢٢هــ / ٩٠٩ ــ ٩٣٤م) ، واصبحو قسماً هاماً من مشاة الجيش الفاطمي ، وشاركت فرقة منهم في حملة الفاطميين الاولى على مصر لكنهم أوقعوا في الاسر من قبل جيش مؤنس الخادم . ينظر . سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦٥٩ ؛ محمد ، صفحات من التاريخ ، ص ٢٩٦.

(٩) القلقشندي ، صبح الاعشى ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٤١م) ، ٣ / ٤٨٢ ؛ شلبي ، احمد ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، (ط٢ ، مطابع الدجوي ، القاهرة ، ١٩٦٩م) ، ١٢٥/٥؛ الحدراوي ، اثر الازمات الاقتصادية ، ص ١٠٦.

لتعليم أفرادها الفنون الحربية والقتالية ، وأطلق عليهم (صبيان الحجر) ، أو(غلمان الحجر)[١] ، وكان مكان هذا الحجر بجوار دار الوزارة في مدينة القاهرة [٢] بالقرب من باب النصر[٣][٤].

ومن المحتمل أنَّ هذه الطائفة الخاصة كان أغلبها يتكون من أولاد المصريين ، فلذا عبر (المقريزي) عن ذلك بقوله : ((أنهم أولاد الناس))[٥].

كما واستعمل الحاكم بأمر الله مجموعة من السود والعبيد في الجيش الفاطمي، والذين عرفوا بعبيد الشراء او الشرى ؛ لكونهم عبيد مشترون ، وقد بلغ تعدادهم ثلاثون الف رجل ، وكان لوجود المعاهدة المسماة باسم البقط [٦] دور في استعمال العبيد السود [٧] ، فقد عمل الحاكم بأمر الله على زيادة أعداد السود في جيشه ، واستعان بهم على المشارقة والمغاربة[٨] ، وعندما ازداد نفوذهم اتهموا بحرق مدينة مصر ــ الفسطاط ــ ، فلذا قام المغاربة والمشارقة بإعلان الحرب عليهم لمخافتهم منهم[٩].

---

(١) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٥٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٥٤ ؛ العبادي ، احمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، (دار النهضة العربية ، بيروت ، د .ت) ، ص ٢٦٩ ؛ محمد ، محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات من تاريخ مصر القاهرة ، (مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م) ، ص ٣٤٤.

(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار، ٢ / ٢٣٩ ؛ زكي ، عبد الرحمن ، الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح العربي الى معركة المنصورة، (مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ١٩٧٠م) ، ص ٣٠.

(٣) باب النصر : هي من اهم ابواب مدينة القاهرة ، وكان موضعه في السابق باتجاه ركن المدرسة القاصدية الغربية وبين بابي جامع الحاكم ، وقام امير الجيوش بدر الجمالي بنقل الباب من حيث وضعه جوهر الصقلي إلى حيث ما هو الآن فاصبح بالقرب من مصلى العيد . ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٤٠ ؛ فكري ، احمد ، مساجد القاهرة ومدارسها العصر الفاطمي ، (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ١ / ٢٥ ؛ عبد الجواد ، توفيق احمد ، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، (المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩م) ، ٢ / ٣١.

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٣٥١ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ / ١٩٧.

(٥) المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٢٤٠ . كما تم تقسيمهم على درجات : فالبعض يسمى بـ (الحجرية الكبار) ، والبعض الاخر الحجرية الصغار ، ولعل هذا التقسيم يعود الى سن المجندين ، او إلى التفوق في الشجاعة والتدريب في الحرب ، وهذ الصفات محل تقدير عند الفاطميين . ينظر . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٦٦ ؛ ماجد ،نظم الفاطميين ، ١ / ١٩٨ ؛ تامر ، المعز لدين الله ، ص ١٨١.

(٦) البقط : هي اسم أطلق على الهدنة التي عقدت بين عبد الله بن سعد بن ابي سرح وملك النوبة ، بعد ان غزاها في سنة (٣١هـ / ٦٥١م) ، وكانت هذه المعاهدة بمثابة طابع سياسي واقتصادي بين مملكة النوبة المسيحية ومصر . للمزيد من التفصيل ينظر . البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٦م) ، ١ / ٢٨١ ــ ٢٨٢ ؛ مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ١١٣ ــ ١٢٢.

(٧) ناصر خسرو ، ابومعين حميد الدين ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني المروزي (ت حوالي سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) ، سفر نامة . رحلة ناصر خسرو في لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري ، ترجمة : د. يحيى الخشاب ، (ط٢ ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م) ، ص ١١٠ ؛ ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر التاريخ السياسي ، (ط٤ ، دار المناهل للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٤م) ، ص ٣١٠ ؛ نظم الفاطميين ، ١ / ١٩٩ ــ ٢٠٠.

(٨) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٩ ؛ آيليسيف ، نيكيتا ، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، ترجمة : منصور أبو الحسن ، (مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٦م) ، ص ٣٢٩.

(٩) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٣٤٦ ــ ٣٤٨ ؛ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف قزاؤغلي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق : جنان الهموندي ، (الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠م) ، ص ٣١٢.

ومن الفرق المهمة التي كانت في الجيش الفاطمي فرقة البدو من أهل الحجاز الذين تميزوا بحرب الرماح ، وقد هاجرت هذه الفرقة الى مصر ، واستقرت في مناطق كثيرة مثل الاسكندرية والبحيرة [١] وكانوا من العناصر التي تثير دوماً أعمال الشغب بين صفوف الجيش ؛ لأنَّ أغلبهم كانوا فرقاً غير نظامية تقوم الدولة بالاعتماد عليهم في فترات الحروب ، فبلغ تعدادهم خمسين الف فارس داخل الجيش الفاطمي[٢].

وبعد بيان عناصر الجند التي كان يتألف منها الجيش الفاطمي، فقد كان بعضها يتعارض مع البعض الآخر في : (الجنس ، واللون، والعادات ، والتقاليد ، والأهواء ، والأهداف) ، فيسعى كل واحد منها لبسط سيطرته على كل مفاصل الدولة بل وحتى على الخليفة نفسه ، وكانت الغاية المرجوة من ذلك هو لتحقيق أهدافهم الشخصية في الحصول على المكاسب والامتيازات والمناصب.

ومما يلاحظ هنا انه عندما تظهر فرقة عسكرية من طائفة بعينها ، تعقبها حالة من الصراع ، إذ أن هذه الفرقة تقوى على حساب الطوائف الأخرى، فيحدث التصادم والتباعد والبحث عن المصالح ، وفي ظل هذه الأوضاع تعرضت مصر لكثير من الفتن والاضطرابات ، كما وتعرض أهلها للفساد بشتى أنواعه ، فعُدَّ ذلك عاملاً مهماً من العوامل التي أسهمت إسهاماً كبيراً في انتشار الجرائم في البلاد وزيادتها[٣].

وكانت بداية هذه المحاولات ما قام به الجنود المغاربة من عمليات سلب ونهب بشكل واسع في سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) ، في مواقع من مدينة الفسطاط مستندين في ذلك على قوتهم العسكرية، فثارت الرعية ، وقاتلوا قتالاً شرساً ، مما دعا القائد جوهر الصقلي بإرسال القائد سعادة بن حيان[٤] لردع المغاربة عن أفعالهم فوصل إلى مكان الأحداث ، وأحصى الخسائر التي لحقت بالمصريين ((وغرم جوهر للناس ما نهب لهم ، وقبل قولهم في ذلك))[٥].

---

(١) البحيرة : هي من الأعمال الواسعة للوجه البحري ، وتقع في غرب النيل مما يلي أعمال الجيزة ، وكانت كثيرة القرى فسيحة الارضين ، وتعد دمنهور مقر ولايتها . ينظر : ابن دقماق ،صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، نشر : فولزر ، (المطبعة الكبرى ببولاق ، القاهرة ، ١٨٩٣م) ، ٥ / ١٠١ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣ / ٤٠٦.

(٢) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١١٠ ؛ الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية ، ص ١٠٨.

(٣) شادي ، تيسير محمد محمد ، الفساد في الدولة الفاطمية « سياسياً ـ إدارياً ـ إجتماعياً ـ إقتصادياً »، (الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠١٥ م) ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٤) هو قائد مغربي الأصل والمولد ، وكان غلام المعز لدين الله ، وقد علا شانه في ايام خلافته ، ينسب اليه باب سعادة وهو احد أبواب القاهرة ، والذي ورد من عنده في جيش الى جوهر الصقلي ، كما واسندت الية ولاية الرملة بعد ذلك. ينظر . ابن عبد الظاهر ، محي الدين أبو الفضل عبد الله المصري (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣م) ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق : د . أيمن فؤاد سيد ، (مكتبة الدار العربية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٦م) ، ص ١٣٠ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣ / ٣٥٤.

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ /١٣١.

كما قام المغاربة بشن هجمات على بيوت المصريين في العاصمة، ولاسيما أحياء القرافة[١]، والمعافر[٢] في سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣م) ، فقاموا بإخراج العامة من بيوتهم ونقلوا السكان ، واستقروا في المدينة للسكن ، وعلى إثر ذلك لجأ العامة بالتظاهر، والاحتجاج واستغاثوا بالمعز لدين الله ، فعندها أصدر المعز لدين الله قراراً يقضي بترك المغاربة لهذه البيوت ، وأن يختاروا بديلاً عنها للسكن في منطقة عين شمس[٣][٤].

ولم يخلوا عصر الحاكم بأمر الله من الصراعات التي حدثت بين طوائف الجند ، فقد حدثت المناوشات بين المغاربة والأتراك على إثر تقريب الحسن بن عمار للمغاربة على سائر العامة ، وهذا من شأنه أن يولد أزمات كبيرة وخطيرة في كافة أرجاء البلاد ، فقد ارتكب المغاربة جرائم خطف النساء في الطرقات ، وتعرية الرجال من ملابسهم ، فأدى ذلك إلى انفجار الوضع بين الطائفتين ودخلا في قتال شرس تكلل بالحاق الهزيمة بالمغاربة وفرار ابن عمار من مدينة القاهرة إلى مدينة الفسطاط ، وتعرضت داره واصطبلاته ودار غلامه رشا للسلب والنهب ((واخذوا مالاً لا يحصى كثرة))[٥].

كما ولم يقتصر الامر على المغاربة والأتراك وحدهم في اشاعة الفوضى والجريمة في البلاد ، فقد كان لطائفة السودان نصيبٌ في ذلك ايضاً ، ففي عهد الظاهر لإعزاز دين الله سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤م) خرجوا إلى جبل المقطم [٦] بمجموعة كبيرة بلغ تعدادها حوالي ألف رجل ، وانظم اليهم قطاع الطرق واللصوص ، فأقدموا على السرقة والنهب في مصر ، فالحقوا ضرراً فادحاً في التجارة لقيامهم بسرقة البضائع والمنتجات التي كانت مهيأة للتصدير إلى الخارج ، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا

---

(١) القرافة : هي خطة في الفسطاط بمصر كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعافر ، وقد نزلها بطن من المعافر يسمى قرافة فسميت بهم ، وهي اليوم مقبرة أهل مصر ، ويوجد فيها أبنية جليلة ومحال واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترب للأكابر مثل احمد بن طولون ، كما وتحتوي أيضاً قبر الإمام ابي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي . للمزيد من التفصيل ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٣١٧ ؛ ابن الزيات ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري (ت ٨١٤ هـ / ١٤١١م) ، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى ، نشره : احمد تيمور باشا ، (المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٠٧م) ، ص ١٦٥ ــ ١٦٧ ، ١٧٩ ، ٢١٤.

(٢) المعافر : هو اسم قبيلة من اليمن ، هو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أُدد ، ولديهم مخلاف تنسب اليه الثياب المعافرية ، وكانت لهم خطة في الفسطاط من مصر تدعى القرافة . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ١٥٣/٥ ؛ ابن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ١٢٧٨/٣ ؛ كحالة، معجم قبائل العرب، ٨٨٦/٣.

(٣) عين شمس : هي مدينة تقع في شمال الفسطاط بمصر، وفي جنوبه تقع مدينة منف مما يلي جبل المقطم ، وقد اتخذ فرعون هاتين المدينتين مسكنا ومتنزها لوجود آثار عجيبة بهما . ينظر . ابن حوقل ، ابي القاسم علي بن محمد النصيبي الموصلي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، صورة الارض ،(دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٩٢م) ، ص ١٥٠ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ١ / ٣٢٦.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٤٥.

(٥) المقفى الكبير ، ٣ / ٤٤٠ ؛ اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣.

(٦) جبل المقطم : هو الجبل الذي يطل على مدينة الفسطاط والقاهرة بمصر . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ١ / ٣٥٠ ــ ٣٥٣.

بإشعال النيران في البيوت ، وأصبحت المناطق التجارية تعج بالفوضى ، كما قاموا أيضاً بنهب البيوت واستطاعوا ان يُعطلوا كل جوانب الحياة[١].

واخذ الصراع يزداد بين مكونات الجند الفاطمي في عهد المستنصر بالله ، والسبب في ذلك يعود إلى ضعف الإدارة الفاطمية وكثرة التغيير الذي شمل الموظفين الكبار في الدولة أمثال الوزراء والقضاة وعدم بقائهم في المنصب مُدَّة كافية تؤهلهم لممارسة أعمالهم في إدارة الدولة بشكل طبيعي من أجل تحقيق الإصلاح المنشود ، وهذا الأمر أدى إلى انتشار الضعف والخلل واضطراب الأوضاع في الجهاز الإداري للدولة الفاطمية[٢].

كما وقامت السيدة ام المستنصر بالله بدور كبير في تأجيج الصراع بين طوائف الجند ، فقد أخذت تتحكم بمقدرات الدولة ، ومن أجل ان تقوي سلطتها لجأت إلى شراء العبيد السود من أبناء جنسها وازدادت منهم ، فجعلتهم من خاصتها والمقربين لها، كما وأظهرت كراهيتها للأتراك ، وقامت بضربهم بالعبيد السود ونصرتهم على الأتراك[٣]، فولد هذا احتقاناً ونزاعاً في أوساط طوائف الجند ، واستمر هذا طيلة مُدَّة عهد المستنصر بالله فأدى إلى ظهور وزيادة دور العسكر وتراجع سلطة ونفوذ المدنيين[٤].

إنَّ هذا التمييز الذي وقع بين الأتراك والسودان كانت له نتائج سلبيه تكمُن في اشعال الفتنة وحدوث حروب شرسة بين الطائفتين ، فقد قام أحد الأتراك وهو في حالة سكر بالاعتداء على أحد العبيد ، فاجتمع العبيد على التركي وقتلوه ، وعلى إثر هذه الحادثة قام الأتراك بالاحتجاج عند المستنصر بالله وقالوا : ((إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة ، وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك))[٥] ، فأنكر المستنصر بالله فعل العبيد ، فاجتمع جماعة من الأتراك وقاموا بقتل جماعة من العبيد على إثر معركة شرسة حدثت في سنة (٤٥٤ هـ/ ١٠٦٢م) عند كوم شريك[٦][٧] ، والتي انهزم بها العبيد وزاد من قوة الأتراك ، وكان العبيد يحصلون على الأموال والسلاح من قبل

---

(١) المسبحي ، ابو عبد الله محمد بن عبيد الله بن احمد بن إسماعيل بن عبد العزيز الكاتب (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) ، اخبار مصر في سنتين (٤١٤ ــ ٤١٥ هـ) ، تحقيق : وليم ج . ميلورد ، (الهيأة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م) ، ص ٢٠٨ ؛ الشوربجي ، أمينة احمد أمام ، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي ، (مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م) ، ص ٤٩٢.

(٢) المقريزي ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، دراسة وتحقيق : د. كرم حلمي فرحات ، (مطبعة صحوة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م) ، ص ٩٦ ــ ٩٨ ؛ البراوي ، راشد ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٤٨م) ، ص ٨٨ ــ ٨٩.

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ ، ٢٢ ؛ الحدراوي ، أثر الازمات الاقتصادية ، ص ١١٣.

(٤) طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص ٣٣٦.

(٥) ابن ميسر، المنتقى ، ص ٢٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢١.

(٦) كوم شريك : هي احدى قرى مركز كوم حمادة في محافظة البحيرة ، وعرفت باسم الصحابي شريك بن سمي بن عبد يغوث بن جزء المرادي ، والذي كان على راس جيش عمرو بن العاص عند فتحه لمدينة الإسكندرية . ينظر. النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢١ : هـــ (٣) ؛ رمزي ، القاموس الجغرافي ، ٢ /٢ : ٢٣٩.

(٧) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٢٤ ــ ٢٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٦٥ ــ ٢٦٦.

السيدة ام المستنصر بالله [١].

وبعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ٥٢٤هـ/١١٠١ـ١١٣٠م) أخذت طوائف الجند تتدخل في مسألة الخلافة ، فقد سيطر على أمور الدولة هزار الملوك جوامرد والعادل برغش[٢]، وقاما بمبايعة الأمير أبي الميمون عبد المجيد بولاية العهد وتدبير شؤون المملكة ((كفيلا لحملٍ منتظر في بطن امه))[٣]، وقد تصدت طوائف الجند الى عبد المجيد الذي اتخذ هزار الملوك جوامرد وزيراً له ، وفي يوم توليته وزيرا ثاروا عليه[٤].

كما وعارضت بعض فرق الجيش محاولة الثورة التي قام بها حسن ابن الخليفة الحافظ لدين الله ((٥٢٤ ـ ٥٤٤هـ/ ١١٣٠ ـ ١١٤٩م) من أجل أن يعهد له بمنصب ولي العهد[٥]، فقد قام الأمير حسن بتشكيل فرقة سميت بصبيان الزد والتي كانت تحوي خليطاً من الأجناد ،فضلاً عن كافة أمراء دولته وأجناده[٦]، وكل ما قام به حسن من إجراءات لم يكتب لها النجاح امام أرادة الجيش فتم قتله عن طريق السم في (في جمادى الآخرة من سنة ٥٢٦ هـ / ١٥٣١م)[٧] ، وبمقتله انتهى الصراع والذي أزهق أرواح عشرة آلاف شخص ، وعبر (المقريزي) عن ذلك بقوله: ((أول مصيبة)) [٨].

كما وشهد العصر الفاطمي الأخير استمرار الصراعات بين طوائف الجند ، فقد حدث صراع مسلح في سنة (٥٣٣ هـ / ١١٣٨م) أدى إلى قتل عدد كبير من الجند [٩] ، ووقع صراع أيضاً بين طوائف السودان في سنة (٥٣٩ هـ / ١١٤٤م) ، وتسبب هذا الصراع بتخلخل الأوضاع الأمنية في

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) هما مملوكين اصطفاهما الآمر بأحكام الله ، يقال لاحدهما هزبر الملوك واسمه جوامرد ، والآخر يدعى برغش ونعت بالعادل ، وهو صاحب المسجد الذي يقع قبالة الروضة من بر مصر ، وكان الآمر بأحكام الله يفضل هذا الأصغر لكونه يمتاز بالرشاقة . ينظر . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٢٦ ـ ٢٧ . وذكر المقريزي أسماء مملوكي الآمر بأحكام الله باسم هزار الملوك جوامرد والعادل بزعش . ينظر . اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٣٧.

(٣) عمارة اليمني ، نجم الدين أبو محمد عمارة بن ابي الحسن الحكمي اليمني (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) ، تاريخ اليمن ، حقق نصه وضبط اعلامه وعلق عليه وقدم له : د. حسن سليمان محمود ، (دار الثناء للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ص ١٢٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ٢٣٥/٥ ؛ الشيال ، مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ١٦.

(٤) ابن الطوير، نزهة المقلتين ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٥) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٣٧ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٤١٦ . فقد عدل الحافظ لدين الله عن قراره بإسناد ولاية العهد لولده حسن لكونه عاقا مع ابيه والخلاف الدائم معه ، وأراد إعطاء ولاية العهد إلى ولده الأصغر ابي تراب حيدره . ينظر . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٣٧.

(٦) ساويرس ابن المقفع ، تاريخ بطاركة ، قام على نشره : د. أنطون خاطر ـ و د. أزولد بورمستر ، (مطبعة المعهد العلمي للاثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٨م) ، ٣ / ١ : ٢٨ ؛ ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٥٩ و ١٦٥ . وكان الذي دفعة لهذا المنصب ((لكثرة امواله وتِلاده وحواشيه وموكبه ، بحيث كان له ديوان مُفرد)). ينظر. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٩.

(٧) ساويرس ابن المقفع ، تاريخ بطاركة ، ١/٣: ٢٩ ـ٣٠ ؛ ابن آيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٥١٤/٦ ـ ٥١٥ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٩٥.

(٨) المقفى الكبير ، ٣ / ٤١٦.

(٩) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

مدينة القاهرة[١].

وعند محاولة رضوان بن ولخشي (٥٣١ ــ ٥٣٣ هــ / ١١٣٦ ــ ١١٣٨م)[٢] استرجاع الوزارة في سنة (٥٤٢ هــ / ١١٤٧م) التجأ إلى العساكر؛ لكنَّ الحافظ لدين الله امرَ مقدمي السودان في الهجوم عليه وتم قتله غدراً ، كما وقتل معه أخوه وبعث برؤوسهم إلى الحافظ لدين الله ، الذي قام بإرسال رأس رضوان إلى زوجته ، وعندما وصل إليها قالت: ((هكذا تكون الرجال))[٣].

كما وتصدى العسكر للعادل بن السلار (٥٤٤ ــ ٥٤٨ هــ / ١١٤٩ ــ ١١٥٣ م) [٤]، والذي مالت إليهِ بعض طوائف الجند فأصبحت ((الدماء مسفوحة وأبواب الشر والعناد مفتوحة))[٥].

ووقف الجيش أيضاً مع طلائع بن رزيك (٥٤٩ ــ ٥٥٦ هــ / ١١٥٤ ــ ١١٦١م)[٦] وقدم له الإسناد عندما وصل إلى مدينة القاهرة بناءً على استدعاء نساء القصر الفاطمي له بعد جريمة مقتل الظافر بأمر الله[٧]، فوصل طلائع بن رزيك في سنة (٥٤٩هــ / ١١٥٤م) إلى مدينة القاهرة ، وتمكن من إرجاع الأوضاع إلى طبيعتها[٨]. بعد ان شاع في البلاد التدهور والاضطراب في الأمن وأخذت الجرائم في مدينة القاهرة بالازدياد نتيجة لما حل بها من فقدان الأمن والاستقرار.

---

(١) اسامة بن منقذ ، مؤيد الدولة ابو مظفر اسامة بن مرشد الكناني الشيرزي (ت ٥٨٤هــ / ١١٨٨م) ، الاعتبار ، حرره : فيليب حتي ، (مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت) ، ص ٦ ــ ٧.

(٢) كان أصله من صبيان الركاب عرف بالشجاعة حتى أطلق عليه لقب (فحل الأمراء) ، ولد في (١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧هــ / ١٠٩٤م) اشترك في القاء القبض على ابي علي الأفضل كتيفات سنة (٥٢٦هــ / ١١٣١م) ، تدرج في المناصب فتولى ولاية قوص واخميم سنة (٥٢٨هــ / ١١٣٣م) ، كما وتولى منصب الوزارة في (١١ جمادى الآخرة سنة ٥٣١هــ / ١١٣٦م) ، كانت نهايته قتلاً في سنة (٥٤٢هــ / ١١٤٧م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٤٣ ــ ٥٢ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٧٩ ــ ٨٤ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨/ ٣٠٥ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠.

(٣) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٩٩ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٨٠.

(٤) هو الوزير الملك العادل ، سيف الدين ، ابو الحسين علي بن السلار الكردي ، وزير الظافر بالله في مصر ، كانت نشئته في القصر بالقاهرة ، وتنقلت به الاحوال وولي الصعيد وغيره، قتل في (شهر محرم سنة ٥٤٨ هــ / ١١٥٣م) على يد نصر بن عباس والذي قام بقتل الخليفة الظافر بأمر الله (٥٤٤ ــ ٥٤٩هــ / ١١٤٩ ــ ١١٥٤م) أيضاً . للمزيد من التفصيل ينظر . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، حققه وخرج احاديثه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط ــ و محمد نعيم العرقوسي ، (ط٤ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م) ، ٢٠ / ٢٨١ ــ ٢٨٣ ؛ المناوي، الوزارة، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٥.

(٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٢.

(٦) هو ابو الغارات طلائع بن رُزيك ، لقب بالملك الصالح وزير مصر ، كان والياً بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر ، وصل الى مدينة القاهرة وتولى الوزارة في ايام الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله (٥٤٩ ــ ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ ــ ١١٦٠م) ، واستقل بالأمور وتدبير أمور الدولة في (التاسع عشر من شهر ربيع الاول سنة ٥٤٩هــ / ١١٥٤م) ، وكان سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء ومحباً لأهل الفضائل . للمزيد من التفصيل ينظر. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢٥ / ٥٢٦ ــ ٥٣٠ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، (مكتبة المثنى للنشر ، بيروت ، د.ت) ، ٥ / ٤١ ــ ٤٢.

(٧) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٢٢ ــ ٢٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٩٢ .

(٨) ساويرس ابن المقفع ، تاريخ بطاركة ، ٣ / ١ / : ٤٦ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢١٠.

واستمر الصراع على أشده في أواخر الدولة الفاطمية ، فعندما تولى الوزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٤ ــ ٥٦٧ هـ/ ١١٦٨ ــ ١١٧١م) [١] ، على إثر وفاة عمه أسد الدين شيركوه (٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م) [٢][٣] شعر وأحس جنود الدولة الفاطمية والذين كان أغلبهم من طائفة الجنود السودانيين إلى خطورة أمر تولية الوزارة لصلاح الدين الذي أصبح المتحكم والمهيمن في البلاد والعباد إذ لا يرد أمره في شيء[٤].

شرع صلاح الدين في نقض إقطاع المصريين ليكون محلهم فيها جنود من عساكره ، مما حذا برئيس جند السودانيين في بلاط الخليفة العاضد لدين الله (٥٥٥ ــ ٥٦٧هـ/١١٦٠ ــ ١١٧١م) مؤتمن الخلافة [٥] بتدبير مؤامرة للقضاء على صلاح الدين ، فأخذ بمكاتبة الصليبيين يدعوهم فيها إلى المجيء إلى مصر ، ولما وصلت الأخبار إلى صلاح الدين بذلك اخذَ يتربص بمؤتمن الخلافة الذي كان له قصراً في مدينة قليوب [٦] يقضي فيه أوقات لذته ، وعند خروجه من القصر بعث اليه صلاح الدين جماعةً قاموا بقتله واتوا برأسه إليه في سنة (٥٦٤ هـ /١١٦٨م)[٧].

وعلى إثر مقتل مؤتمن الخلافة ثار الجند السودان واخذتهم الحمية باعتباره كان رئيسهم وكان عددهم يزيد على خمسين الف [٨] ، فأرسل صلاح الدين عسكره اليهم لقتالهم ، فالتقى الجانبان بين القصرين [٩] ، وكثر القتل بين الطرفين وأحرق صلاح الدين محلتهم المعروفة

---

(١) هو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني الأصل ، التكريتي المنشأ ولد في سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) وكان والده متولياً لشحنة تكريت ، قضى طفولته في بعلبك ، وكان والده ايوب في بداية الأمر حاكماً للأمراء الزنكيين ، ثم أصبح لاحقاً لأمراء دمشق ، وأصبح فيما بعد من الشخصيات الإسلامية البارزة .للمزيد من التفصيل ينظر . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ــ و د. محي هلال السرحان ، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤م) ، ٢١ / ٢٧٨ ــ ٢٩١ ؛ العبر ، ٣ / ٩٩ ــ ١٠٠ ؛ جب ، هاملتون أ . ر . ، صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي ، تحرير : د . يوسف ابيش ،(ط٢ ، دار بيسان للنشر والتوزيع والأعلام ، بيروت ، ١٩٩٦ م) ، ص ١١٨ ــ ١٢٢.

(٢) هو أسد الدين ابو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان ، الملقب بالملك المنصور ، ويُعد اول من ولي مصر من الأكراد الايونين ، وهو اخو نجم الدين أيوب وعم صلاح الدين تولى الوزارة في عهد العاضد لدين الله ، توفي ٢٢ أو ٢٣ من شهر (جمادى الثانية سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٤٧٩ ــ ٤٨١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٩٠ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٣ / ١٨٣.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، (ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، ٢٠٠٣م) ، ١٠ / ١٧ ؛ ابي شامة ، عيون الروضتين ، ١ / ٢٩١ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٣٧.

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ١٥٥ ؛ الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية ، ص ١٢١ .

(٥) هو مؤتمن الخلافة جوهر والذي يُعد احد الأستاذين المحنكين في القصر . ينظر : ابو شامة ، عيون الروضتين ، ١ / ٢٩٤ : هـ (٣).

(٦) قليوب : هي من القرى القديمة ، وتُعد قاعدة مركز قليوب واستمرت إلى ان نقل منها ديوان الديرية والمصالح الاميرية الى مدينة بنها في سنة (١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م) ، ثم اعيد اليها في سنة (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) . ينظر . ابن مماتي ، ابو المكارم الاسعد بن مهذب الخطير ابي سعيد بن مينا بن زكريا المصري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) ، قوانيين الدواوين ، جمعه وحققه : عزيز سوريال عطية ، (مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١م) ، ص ١٦٧ ؛ رمزي ، القاموس الجغرافي ، ٢ / : ٥٧ ــ ٥٨.

(٧) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ١ / ٢٩٤ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٣٨ ــ ٢٣٩.

(٨) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ١ / ٢٩٥ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٣٩.

(٩) بين القصرين : هو عبارة عن محلة كبيرة تقع في مدينة القاهرة بين القصرين، وهما القصر الخليفي الكبير او ما ←

بالمـــنصورة [١] على أولادهم وأموالهم ، واستمر القتال بينهم أربعة أيام ، فخرجوا كلهم إلى مدينة الجيزة ، فخرج إليهم اخو صلاح الدين تورانشاه [٢] فقتلهم ، ولم ينجوا منهم إلا القليل ، فكتب صلاح الدين إلى الولاة في البلاد بقتل كل من يجدونه منهم ، حتى تمكن من القضاء عليهم بشكل كامل[٣].

ثالثاً : الفساد الإداري

لا يختلف الفساد الإداري عن الفساد السياسي كثيراً ، فإنَّ السلطة السياسية عندما تقوم بأعمال تخالف القانون والأخلاق في مجال عملها يسمى هذا فساداً سياسياً ، وعندما يقوم الموظفون الحكوميون باستغلال سلطتهم الإدارية واستعمال الطرق المنافية للشرف والأخلاق والقانون مثل طلب الرشوة ، والاختلاس ، والتلاعب الوظيفي ، وقبول الهدايا من أجل انجاز مهام معينة، وغيرها من الأعمال فيسمى هذا فساداً إدارياً ، فإذاً يمثل الفساد السياسي فساد الصفوة ، أو السلطة ، بينما الفساد الإداري يمثل فساد الموظفين في مفاصل مؤسسات الدولة المختلفة [٤]. وقد ساد في الدولة الفاطمية الفساد الإداري الذي أرهق الدولة بكثير من المشاكل المالية والنقدية ، وكان له دور كبير في ارتكاب الجرائم وانتشارها بمختلف أنواعها ، وتمثل الفساد الإداري في الدولة بصور وأشكال متعددة وكما يأتي :

١- الرشوة [٥] وبيع المناصب الحكومية

تُعد الرشوة من أكثر جرائم الفساد الإداري والمالي انتشاراً في المجتمعات البشرية منذ القدم

←

يسمى بالقصر الشرقي الذي بناه جوهر الصقلي ، والقصر الصغير او ما يسمى القصر الغربي الذي أنشئه العزيز بالله وخصص فيما بعد لإقامة ست المُلك ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٠٦ ؛ عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، (الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ م) ، ص ٣٣ ؛ لينبول ، ستانلي ، سيرة القاهرة ، ترجمة : د. حسن ابراهيم حسن – و د .علي إبراهيم حسن ،(ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥١م) ، ص ١٢٤ – ١٢٥.

(١) هي الحارة المنصورية التي كانت كبيرة ومتسعة جداً وفيها عدة مساكن للعبيد السود . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٤٠٥ – ٤٠٧.

(٢) هو الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب ، اخو صلاح الدين ، وكان اكبر منه سناً ، بحيث كان يحترمه ويرى له ، توفي في مدينة الإسكندرية سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م). للمزيد من التفصيل ينظر. الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢١ / ٥٣ – ٥٤.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠/ ١٩ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٣٩ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ٢ / ٧٥.

(٤) شادي ، الفساد في الدولة ، ص ٧٤ – ٧٥.

(٥) الرشوة : لغةً : رشو :الرشو : فعل الرِّشوة ، رَشَوتهُ أرشُوهُ رَشواً . والمراشاةُ : المحاباةُ . والرَّشاة نبات يُشربُ لدواء المشدي . والرِّشاءُ ، ممدود : رَسَنُ الدَّلو ، والجميعُ : أرشيةٌ ، قال :

انى إذا ما القوم كانوا انجيه   واضَطرَبَ القومُ اضطرابَ الارشيه

وأرشِيةُ شَجَر الحنظلِ والبطِّيخ وما يُشبهه : سُيُورُهُ . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٦ / ٢٨١ . واما اصطلاحاً : هي ما يعطى من المال ونحوه لإبطال حق او لإحقاق باطل . ينظر . قلعجي ، محمد ، معجم لغة الفقهاء ، (ط٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص ٢٢٣ . او هي الاموال التي تؤخذ في البلاد من قبل الولاة والقضاة والمحتسبين والعمال بالجور والظلم والقهر والباطل . ينظر . احمد ، احمد عبد الرزاق ، البذل والبرطلة زمن السلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) ، (الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ص ١١.

وحتى الوقت الحاضر، فتمثل جريمة منكرة عقلاً ووضعاً ، فهي تُعد عملاً قبيحاً بكل مقوماتها وعناصر وجودها فيتوجب تجريمها ، فان الاستشراء هو طلب الرشوة ، والارشاء هو إعطاؤها ، والارتشاء هو أخذها ، فهذه كلها صور قبيحة يرفضها العقل والمنطق ؛ لأنها تؤدي إلى فساد أجهزة الدولة والإخلال بواجبات الوظيفة ، كما تؤدي إلى فساد الروابط الإنسانية داخل المجتمع ، فلذا تكون جريمة الرشوة عملاً مخالفاً للطبيعة البشرية ؛ لأنَّها تحيد عن الصواب وتُسهم إسهاماً فعالاً في شيوع وظهور الجرائم الأخرى بكافة أشكالها[١].

فكانت سياسة الفاطميين التي تبنتها الدولة تجاه الموظفين تهدف الى كسبهم والاحتفاظ بولائهم لها ، كما كانت تحرص على جودة العمل ، ورفع مستوى الأداء وكفائتِه وانجازه بما لا يلحق بالضرر على الدولة وكره الرعية ، لذا عَمِلت على منح الموظفين رواتب مجزية وعالية تفوق في بعض الأحيان عن حاجاتهم[٢].

وكان راتب الوزير الفاطمي يبلغ خمسة آلاف دينار شهرياً ، وأما راتب قاضي القضاة فبلغ مائة دينار شهرياً [٣] ، كما منح الكتاب رواتب عالية ، فقد تقاضى صاحب ديوان الإنشاء [٤] في الشهر مبلغ مائة وخمسين ديناراً [٥] واما الكتبة الذين يقومون بمساعدته فكان يستلمون راتباً مقداره ثلاثين ديناراً في الشهر[٦] كما ان الرواتب لم تكون محصورة على الموظف بل شملت العطايا عائلته ايضاً ، فقد وردعن العزيز بالله انه اول من((قرر العطاء لغلمانه وخدمه واولادهم وبناتهم ونسائهم وكساويهم))[٧].

---

(١) احمد ، احمد عبد الله ، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن ٦ ــ ٧ هـ ، ١٢ ــ ١٣م ، (دار الافاق العربية ، القاهرة ، ٢٠١٦م) ، ص ١٤٣.

(٢) صالح ، خولة عيسى ، الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية ، (بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠١م) ، ص ٥٨ ؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص ٧٤.

(٣) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٨٣ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٤٧ ؛ إسماعيل ، سهر سيد دسوقي ، حكاية الأجور والأسعار في العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هــ / ٩٦٨ ــ ١١٧١ م) ، (شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٥م) ، ص ١٩٤.

(٤) ديوان الإنشاء : هو ديوان الرسائل وعرف في مصر في ايام الفاطميين باسم ديوان الإنشاء ، ومتولي امر هذا الديوان يسمى بكاتب الدست ، وكانت وظيفة الديوان هو كتابة كل ما تحتاج اليه امور الدولة من عهود ومراسيم وتوليه وعزل . للمزيد من التفصيل ينظر . قدامه بن جعفر ، ابو الفرج قدامه بن جعفر بن قدامة زياد الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي ، (دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م) ، ص ٣٧ ؛ الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م) ، مفاتيح العلوم ، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الابياري، (ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م) ، ص١٠٠.

(٥) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٨٤ ؛ فيما ذكر المقريزي إلى ان جاري متولي ديوان الإنشاء بلغ مائة وعشرون ديناراً . ينظر . المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٤٩.

(٦) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٨٤.

(٧) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٨٨ ؛ سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد ، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية ، (دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م) ، ص ٥٨.

كما كانت الدولة الفاطمية تقوم بتوفير اللحوم والتوابل والبقوليات ، وغير ذلك من الأطعمة لموظفيها لسد احتياجاتهم من المؤونة ، فضلاً عمّا تقوم به الدولة في المناسبات من توزيع الأطعمة والخبز ويتم الصرف في ذلك من خزائنها[١].

ومنحت الدولة الفاطمية إلى الموظفين القروض إذا تعرض إلى مشاكل مالية او اقتصادية ، فربما يدفعه ذلك إلى اخذ الرشوة ومدّ يده إلى أموال الدولة ، او التلاعب في معاملاتها ، فكانت حريصة على منعه من ذلك ، فقد اصدر العزيز بالله أوامره لأمين بيت المال بمتابعة طلبات طالبي القروض المالية ، وأعطاهم ما يحتاجون ، وتسهيل ترويج معاملتهم وتيسير امر تسديد القرض على شكل أقساط بحسب راتب الموظف وقدرته بغض النظر عن قيمة المبلغ المسدد ومُدَّة التسديد[٢].

كذلك أغدقت على الموظفين مبالغ ماليه كثيرة ، فضلاً عن الخُلع ، والهبات ، والعطايا ، فكانت توزع عليهم الكسوات[٣] على إختلاف درجاتهم من الكبير إلى الصغير ، علماً أنَّ دار الكسوات التي أنشأها المعز لدين الله كانت تَمُدهم بما يحتاجونه في فصلي :(الصيف ، والشتاء)، وفي مختلف المناسبات والأعياد التي تستوجب توزيع الكسوات عليهم[٤].

منح الخلفاء الفاطميين الخُلع والهدايا لرجال الدولة وموظفيها ، فقد خلع المعز لدين الله على نائبه وقائده جوهر الصقلي عندما اتى إلى مصر سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) ، وهي عبارة عن خلعة مذهبه ، وعمامة حمراء، وثمانين تختاً من الثياب، وحمل إليه خمسين ألف دينار ومائتي ألف درهم[٥].

كما أهدى العزيز بالله إلى وزيره يعقوب بن كلس (٣٦٧ ــ ٣٨٠ هـ/٩٧٧ ــ ٩٩٠م)[٦] عند إرجاعه إلى الوزارة بعدما عزلهُ عنها ألفين من الموالي والمغاربة ، وخمسمائة غلام[٧] ، ومنح أيضاً منجوتكين التركي عندما ولي ولاية الشام في سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) مبلغ قدره مائة الف دينار وخلع عليه مائة قطعة من الثياب الملونة وعشرة أحزمة مثقلة تحتوي على أحجار كريمة ، فضلاً عن

(١) ابن المأمون ، جمال الدين ابو علي موسى ابن المأمون البطائحي (ت ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م) ، نصوص من أخبار مصر ، حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها : د. ايمن فؤاد سيد ، (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٣م) ، ص ٩٠ ــ ٩٤ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٨٥.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٩٦.

(٣) الكسوات : الكِسوةُ والكُسوَةُ : هي اللباس ، كَسَوتهُ اكسُوهُ . واكتسى فلانٌ : أي لَبِسَ الكِسوَةَ . واكتَسَتِ الارض بالنبات : أي تغطت به . ينظر . الصاحب بن عَبَّاد ، كافي الكفاة الصاحب إسماعيل (ت ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م) ، المحيط في اللغة ، تحقيق : محمد حسن ال ياسين ، (عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٤م) ، ٦ / ٢٩٦.

(٤) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٦٥ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٥٩.

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٣٩ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة ، ص ٩٤.

(٦) هو ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، هو اول وزراء الدولة الفاطمية ، اصله يهودي من اهل بغداد ، اخذ يتنقل بين العراق وبلاد الشام ، إلى ان وصل الى مصر حيث دخل في خدمة كافور الإخشيدي فاسلم على يديه في سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) ، وعندما قامت الدولة الفاطمية اسند اليه المعز لدين الله امور الخراج في سنة (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) ، وقد بقى يعقوب بن كلس رجل الدولة القوي حتى وافاه الاجل في سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٤٧ ــ ٥٢ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤١.

(٧) المرجع نفسه ، ص ٨٥ ؛ الخربوطلي ، العزيز بالله الفاطمي ، ص ٧٩.

خمسين بنداً كبيراً وعشرة منجوقات[١]، وعشرة أفراس [٢] كما وأرسل له بعد سنتين خمسين حملاً من المال وأربعين حملاً من الثياب ، وخزانة سلاح وخمسمائة فارس[٣] كما ارسل العزيز بالله في سنة (٣٨٤ هـ / ٩٩٤م) إلى واليه بالمغرب [٤] هدايا كثيرة منها فيل ومائة فرس مسرجة ملجمة ، وبغال ، ونوق ، وبخاتي[٥] ، ناهيك عن عشرة افراس من خاص الخليفة[٦].

وخلع على علي بن صفوح بن دغفل بن الجراح الطائي وهو أحد أمراء بني الجراح الطائيين بطوق من ذهب من قبل الحاكم بأمر الله في (شوال سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٥ م) [٧] ، كما قام بإعطاء علي بن جعفر بن فلاح (٤٠٦ ـ ٤٠٩ هـ/١٠١٥ ـ ١٠١٨ م) [٨] ،هدايا كثيرة من بينها خيمة وألفا دينار وثلاثون ثوباً، وسيف وخمسة أفراس بمراكبها التي استعملها في الإنفاق على أصحابه[٩] كما خلع على فاتك العزيزي بعدد من الخيول مسروجه بسروج محلاة من الذهب عندما قلده في سنة (٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م) ولاية حلب[١٠].

وأهدى الحاكم بأمر الله ايضاً ثوباً من الديباج [١١] لونه احمر ، ومنديل [١٢] ازرق مذهب ، إلى الحسين بن جوهر الصقلي (٣٩٠ ـ ٣٩٨ هـ / ٩٩٩ ـ ١٠٠٧ م) [١٣] ، عندما عينه مدبراً للأمور

---

(١) المنجوقات : هي لفظة تطلق على نوع من انواع الرايات ومفردها منجوق . ينظر . دوزي ، رينهارت ، تكملة المعاجم العربية ، نقله الى العربية وعلق عليه: جمال الخياط، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠م) ، ١٠/ ١١٨.
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٦٩ ؛ محمد واخرون ، الخلع والتكريم في كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) (٢٩٧ ـ ٤١١ هـ / ٩٠٩ ـ ١٠٢٠م) ، مجلة كلية التربية ـ جامعة واسط ، العدد السابع عشر ، السنة ٢٠١٤م ، ص ١٣١.
(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٧٤.
(٤) الوالي هو منصور بن يوسف بلكين بن زيري الصنهاجي ، امير افريقية ، تولى من بعده ولده باديس بن منصور ، كان ملكا شجاعاً كريماً . ينظر . أبي الفدا ، المختصر ، ٢ / ١٣١.
(٥) البخاتي : هي نوع من الإبل ، وقيل الجد من الابل . ينظر . الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣٠.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة الفاطمية ، ص ٩٤.
(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٢ ؛ الكعبي ، زهراء كاظم لعيبي ، الهبات والهدايا عند الخلفاء الفاطميين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠١٦ م ، ص ٤٥.
(٨) هو ابو الحسن علي بن جعفر بن فلاح الكتامي ، يُعد من أكابر الأمراء والوزراء في عهد الحاكم بأمر الله ، اصبح اميراً على مدينة دمشق في سنة (٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) من قبل اخيه سلمان بن جعفر، لقب بوزير الوزراء ذي الرياستين الأمر المظفر، قتل في مدينة القاهرة على يدي فارسان متنكران . ينظر . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م) ، ٤١ / ٢٩٣ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٤ / ٢٦٩؛ الباشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، (الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩م) ، ص ٦٩.
(٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٣.
(١٠) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٣٢٦ ؛ عبد علي ، أساليب الدولة الفاطمية ، ص ٩٥.
(١١) الديباج:هي الثياب المتخذة من الابريسم، فارسي معرب، وقد تفتح دالة. ينظر. ابن منظور، لسان العرب، ٢٦٢/٢.
(١٢) منديل : هو نوع من العمائم تنسج بخيوط من الذهب وبطانتها من قماش الكتان الرقيق المعروف بـ (الشرب) . ينظر . ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢ / ٥٢.
(١٣) هو ابو عبد الله الحسين بن جوهر الصقلي ، لقبه الحاكم بأمر الله (قائد القواد) في سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩ م) ، فعرف بهذا اللقب حتى انه اطلق على حاره كان يسكنها ، وقد قتلهُ مع صهره (عبد العزيز بن محمد بن النعمان) في (جمادى الثاني سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠ م) . ينظر . يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٤٩ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٤٩٥ ـ ٤٩٧ ؛ الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٩٦ ـ ٩٧ ؛ الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار العربية ، (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦م) ، ٢ / ٨٨٩ .

في دولته وقلده سيفاً مموه بالذهب ، فضلاً عن هدايا عدَّة من ضمنها أفراس بسروج ولجم، كما وأعطاه خمسين ثوباً من أفضل الأقمشة(١).

كما وبعث الظاهر لإعزاز دين الله هدية إلى المعز بن باديس(٢) نائبه على المغرب في سنة (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) ، احتوت على عشرين بنداً مذهباً(٣).

وكانت الألقاب تمثل أيضاً الخلع الذي يقوم بها الخليفة بمنحها إلى الموظفين مثل الوزراء والولاة وغيرهم ، فقد لقب الحسن بن عمار بـــ لقب (أمين الدولة) عندما تولى الوساطة ، ومنح الحسين بن جوهر لقب قائد القواد عندما تولى الوساطة أيضاً ، ولقب الحسين الوزان (٤٠٣ ــ ٤٠٥ هـ / ١٠١٢ ــ ١٠١٤م) (٤) بلقب (أمين الأمناء) عندما عينه بالوساطة ، كما أطلق على أبي الخير زرعة بن عيسى بن نسطورس (٤٠١ ــ ٤٠٣ هـ / ١٠١٠ ــ ١٠١٢ م)(٥) لقب الشافي على إثر تقلده منصب الوزارة (٦) ، وعلى الرغم من جميع هذه الوسائل الرادعة التي تبنتها الدولة الفاطمية وخلفائها من أجل منع المسؤول من وزير أو قاضٍ أو إداري أو غيرهما من طلب الرشوة ألا انها شاعت وتفشت وكذلك بيع المناصب الحكومية في أغلب وزراء العصر الفاطمي ، إذ تمكن أبو الفتوح (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) (٧) وزير الظاهر لإعزاز دين الله ان يجمع ثروة طائلة مع العلم انه لم يبقَ في الوزارة إلا أشهر قليلة ، فوجدَ عندما القي القبض عليه في شهر (شوال سنة ٤١٣هــ / ١٠٢٢م) ستمائة وعشرون ألف دينار من العين ، وهذا بحد ذاته مبلغ طائل إذا قيس في المُدَّة القليلة التي قضاها في

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ٢٩/٢ ؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٢٧٣ ؛ محمد، الخلع والتكريم ، ص ١٢٥.

(٢) هو ابو تميم المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ، ولد في المنصورية (من اعمال افريقية) سنة (٣٩٨ هــ / ١٠٠٧م) ، لقب من قبل الحاكم بأمر الله بشرف الدولة ، في سنة (٤٤٠هــ / ١٠٤٨ م) ، قطع خطبة الفاطميين وجعلها للعباسين ، فارسل اليه المستنصر بالله الاعراب من قبائل الحجاز الذين نجحوا في احتلال القيروان والتغلب عليه ، توفي في مدينة المهدية سنة (٤٥٤هــ / ١٠٦٢م) ، وهو اول من حمل العامة على مذهب مالك في افريقية. ينظر. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ / ٢٣٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣٢ ؛ البغدادي ، إسماعيل باشا ، هدية العارفين ، (مطبعة وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ، ١٩٥٥ م) ، ٢ / ٤٦٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٧ / ٢٦٩ ــ ٢٧٠.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣٢.

(٤) هو ابو عبد الله الحسين بن طاهر الوزان، كان متوليا لبيت المال ،خلع عليه الوساطة في عهد الحاكم بأمر الله ،والذي قتله في سنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤م) . للمزيد من التفصيل . ينظر. ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٥٩ ــ ٦١ ؛ المناوي، الوزارة ، ص٢٤٨ ــ ٢٤٩.

(٥) هو زرعة بن عيسى بن نسطورس ، تولى الوزارة في عهد الحاكم بأمر الله ، وهو من القلائل الذين نجوا من غضبه ، كان محبوباً من الجند والكتاب ، وبقى في المنصب الى حين وفاته . ينظر . ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص٥٩ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٨.

(٦) ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٥٦ ، ٥٨ ـ ٥٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥ ـ ٦ ؛ الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٩٦.

(٧) هو بدر الدولة ابو الفتوح موسى بن الحسن ، يُعد من كبار موظفي الدولة الذي تقلد مناصب مختلفة ، فتولى الشرطة السفلى ، ثم أصبح والياً في سنة (٤١٢هـ/١٠٢١ م) على الصعيد ، كما تولى ديوان الانشاء عوضا عن ابن خيران، خلع عليه الوساطة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله، وبقى فيها حتى اعتقاله في شهر (شوال سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م)، قتل في الفج صباح اليوم التالي. ينظر. ابن الصيرفي، الإشارة، ص٦٦ ؛ المناوي، الوزارة، ص٢٥١.

الوزارة والبالغة تسعة أشهر[١].

واخذ وزيرا الفائز بنصر الله والعاضد لدين الله الصالح طلائع بن رزيك في كسب الأموال وتطلع جاهداً في الحصول عليها تحت أي سبيل ، فقد مال على المستعملين في الأموال ، وأخذ أموالهم وسلب نعم الأعيان وأرباب البيوت ، كما وباع الولايات للأمراء وقرر لها أثمان بلغت مُدَّتها ستة أشهر، الأمر الذي ألحق ضرراً بالعامة من خلال قدوم الولاة عليهم في كل ستة أشهر[٢]، وقد كان هؤلاء الولاة يتبعون المنهج نفسهُ مع مرؤوسيهم ، فأدى ذلك إلى انتشار الفساد والاختلاس والرشوة وإرهاق الشعب المصري بفرض الضرائب ، مما ألحق ضرراً كبيراً بطبقة الفلاحين[٣].

كما ولجأ بعض الولاة في العصر الفاطمي إلى ابتزاز الأموال من العامة ، فقد قاموا بإعتقال الأبرياء منهم ومساومتهم بدفع الأموال مقابل إطلاق سراحهم من السجون ، وكتب الوزير المأمون البطائحي (٥١٥ ـ ٥١٩ هـ/١١٢١ ـ ١١٢٥م) [٤]، من أجل الردع والتصدي لهذه الظواهر الشاذة في سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) لكافة العمال بمطالعة كل والٍ منهم في بداية كل شهر بما حواه السجن والسبب الموجب للاعتقال ، وكان سبب هذا الإجراء يعود إلى أَنَّهُ رفع إليه أَنَّ بعض الولاة كانوا يعتقلون من لا يجب عليه اعتقال قاصدين من وراء ذلك ابتزازه والمطالبة بالرشوة فتطول مُدَّة سجنه من دون ارتكابه أي جرم[٥].

٢ ـ استغلال أهل الذمة للمناصب الإدارية وتلاعبهم فيها

عرف في العصر الفاطمي التوسع في استعمال الموظفين من أهل الذمة في شؤون الإدارة والأعمال المناط بها مؤسسات الدولة ، فلذا رأى الفاطميون أنهم بحاجة ماسة إلى من يقدم لهم المساعدة في تثبيت سلطتهم وتعزيزها في البلاد، فقربوا إليهم أهل الذمة ؛ وذلك لخبرتهم الإدارية ومعرفتهم في الأعمال الكتابية والحسابية وتحرير الرسائل وخاصةً القبط منهم ، ثم أخذ الخلفاء الفاطميون بالتوسع في استعمالهم في كافة الأقسام الإدارية الأخرى ،حتى أسندَ اليهم منصب الوزارة [٦].

---

(١) المناوي ، الوزارة ، ص ٨٧ ؛ احمد ، البذل والبرطلة ، ص ١٧.

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢٩٨ ــ ٣٠٠ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٩٣ ، ١٥٢ ؛ احمد ، البذل والبرطلة ، ص ١٧.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٢١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١٥٢ ؛ شادي ، الفساد في الدولة ، ص ٢١٨.

(٤) هو محمد بن ابي شجاع المأمون بن نور الدولة كان وزير الآمر بأحكام الله ومدبر دولته استمر على ذلك مُدَّة اربع سنين ، ثم القي القبض عليه من قبل الآمر في سنة (٥١٩هـ / ١١٢٥م) ، وبعدها قتل في شهر(رجب سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨م) ، وتم صلبه بظاهر مدينة القاهرة . ينظر . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، ٣٦ / ٧٨ ــ ٧٩.

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٠١.

(٦) قاسم ، قاسم عبدة ، اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو العثماني ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص ١٠ ــ ١١ ؛ عامر، فاطمة مصطفى ، تاريخ اهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي) ، (مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ت) ، ١ / ١٧٤- ←

قامَ أهل الذمة بمحاباة بني ملتهم من النصارى واليهود واسندوا لهم المناصب المهمة في الدولة ، وفي مقابل ذلك كان إقصاء دور المسلمين وتهميشهم عن تولي هذه الوظائف ، فأدى ذلك إلى زيادة النقمة والشعور بالكراهية بينهم وبين المسلمين(١).

وحصل أهل الذمة على كثير من المحاباة والاهتمام من قبل عيسى بن نسطورس (٣٨٣ ــ ٣٨٦ هــ/٩٩٣ ــ ٩٩٦م)(٢) فعند تقلده الوساطة انحاز إلى جانب النصارى وأسند إليهم الوظائف المهمة في الدواوين ، وأبعد الكتاب المسلمين من وظائفهم (٣) ،وأصبح يخاطب بسيدنا الأجل بعد ان قوي نفوذه ومركزه في الدولة (٤) ، كما وأناب العزيز بالله يهودياً اسمه منشئ بن إبراهيم الفرار في بلاد الشام ، فاخذ يتعامل مع اليهود كتعامل عيسى بن نسطورس مع النصارى في مصر (٥) ، فأدى هذا الوضع إلى تفاقم الخطر وإلحاق الأذى في مصالح المسلمين في مصر وبلاد الشام ؛ وذلك لأَنَّ أغلبية السلطة والنفوذ كانت بأيدي اليهود والنصارى الذين أعلنوا العداء السافر ضد المسلمين(٦).

وامتدت مظاهر النفوذ والسيطرة لأهل الذمة ، فضلاً عن العداء الذي كان يكنونهُ للمسلمين ، فقد أرسل أحد رؤساء المصريين إلى عيسى بن نسطورس يُعاتبه على سوء معاملته للمسلمين ، فرد عليه قائلاً: ((ان شريعتنا متقدِّمة، والدولةُ كانت لنا ثم صارت إليكم . فَجرتم علينا بالجزية والذِّلَّة، فمتى كان منكم إلينا إحسانٌ حتى تطالبونا بمثله ! ان ما نَعنَاكم قاتلتمونا ، وان سالَمنَاكم أهنتمونا ، فإذا وجدنا لكم فرصة فماذا تتوقَّعُون أن نصنع بكم)) (٧)، ثم تمثل في بيتين بآخرها :

بنتُ كَرمٍ غصبوها أمّها ... ثم داسُوهَا ، هواناً ، بالقدم

ثم عادوا حكّمُوها فيهمُ ... وأناهيك بخِصمٍ قد حكم!(٨).

فشعر المسلمون بالتسلط والأذى الذي لحق بهم من قبل أهل الذمة ، قاموا بدفع امرأة مبرقعة في طريق موكب العزيز بالله تحمل في يدها ظلامة جاء فيها : ((يا أمير المؤمنين بالذي اعز النصارى

→
.١٧٥

(١) محاسنة ، محمد حسين ، أحوال أهل الذمة في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، مجلة مؤته للبحوث والدراسات ، المجلد ٢٥ ، العدد ، ١ ، السنة ٢٠١٠م ، ص ٢١٣ ــ ٢١٤.

(٢) هو ابو الفضل عيسى بن نسطورس النصراني ، وزير العزيز بالله ، استمر في هذا المنصب حتى سنة (٣٨٦ هــ / ٩٩٦ م) ، تميز بالجلادة والكفائة ، ضبط الأمور ووفر الكثير من الخراج ، انحاز الى النصارى بتقليدهم الأعمال والدواوين ، قتله ابن عمار في (محرم سنة ٣٨٧ هــ / ٩٩٧م) . للمزيد من التفصيل ينظر. ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٩١ ــ ١٩٢ ؛ المناوي ، الوزارة ، ٢٤٤ ــ ٢٤٥.

(٣) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٩١ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٠٤.

(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٢٨ ؛ عامر ، تاريخ أهل الذمة ، ١ / ١٨٣.

(٥) ابن ظافر ،أخبار الدول المنقطعة ،١٩١/١ ؛ النويري، نهاية الإرب، ١٠٤/٢٨ ؛عامر، تاريخ اهل الذمة ،١٨٣/١.

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ،١ / ١ : ١٩٦ ؛ عطية ، ـ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ١١.

(٧) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٠٥؛ محمود ، سلام الشافعي ، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول ، (مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٥٩م) ، ص ٨٨ ــ ٨٩.

(٨) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٠٥ ؛ محمود ، أهل الذمة ، ٨٩.

بابن نسطورس ، واعز اليهود بمنشأ بن إبراهيم ، وأذل المسلمين بك ، إلا نظرت في أمري وكشفت ظلاَمتي))[(١)] ، وبعدها أدرك العزيز بالله التدهور الذي حصل في البلاد من جراء استئثار كبار موظفي أهل الذمة في معظم السلطات[(٢)]، فقرر إصدار الأوامر بإلقاء القبض على ابن نسطورس والكتاب النصارى ومنشأ بن إبراهيم وجامعي الضرائب اليهود في بلاد الشام ، ومصر ، كما وأمر بتعيين الكتاب المسلمين في وظائف الدولة وإدارة مفاصلها ، وعدم تعيين أي شخص من أهل الذمة في الدواوين[(٣)].

وعاد عيسى بن نسطورس بعد ذلك إلى ممارسة عمله ، وبقي على هذا الحال حتى أوائل عهد الحاكم بأمر الله ، حتى قُتل في سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) من قبل الحسن بن عمار بعد أن ((رسم أيام نظره رسوماً جائرة في المكوسات[(٤)]، وأحدث مكوساً زائدة على ما جرى الرسم بأخذه ، فحذف ابن عمار جميع ذلك ورد الأمور إلى ما كانت عليه))[(٥)].

وفي عهد الحاكم بأمر الله استغل ابو العلاء فهد بن إبراهيم (٣٩٠ ــ ٣٩٣ هـ/٩٩٩ ــ ١٠٠٢م)[(٦)] منصبه الإداري والذي اشتكت منه الرعية لتقريبه النصارى وسيطرتهم على الدولة وتعصبهم ، فكان له دور في تقوية وإسناد أمر الأموال والدواوين لهم وانه كان ((آفة على المسلمين وعدة النصارى)) [(٧)] ، فقتل فهد وأحرق في شهر (جمادى الآخرة سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢م) [(٨)] وبعد فترة قصيرة من قتله قتل أيضاً أخاه أبي غالب الذي كان متولى ديوان النفقات [(٩)]، فقد كان مكروهاً

---

(١) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٩١ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٠٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/ ٢٩٧ .

(٢) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٩١.

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣ ؛ دعكور ، عرب حسين ، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضاراتهم ، (دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠١٠م) ، ص ٥٤ ــ ٥٥.

(٤) المكوسات أو المكوس : هي ضريبة الأسواق ، وكانت تفرض على البضائع والتجارة ، وعرفت بهذا الاسم منذ العصر الجاهلي ، وهي إحدى الضرائب الغير شرعية . ينظر. ابن خلدون ، المقدمة ، ٢ / ٦٩٠ ؛ الصاوي ، احمد السيد ، مجاعات مصر الفاطمية اسباب ونتائج ، (دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص ١٤٢ ؛ كاشف ، سيدة إسماعيل ، مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ، (الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م) ، ص ٥٧.

(٥) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٣٨ ؛ عامر ، اهل الذمة ، ١ / ١٨٤.

(٦) هو كاتب نصراني قلده برجوان الكتابة له ، وبعد مقتل برجوان اسند اليه الحاكم بأمر الله منصب الوساطة ، فبقى فيها حتى مقتله. ينظر. ابن الصيرفي، الاشارة، ص٥٧ ــ ٥٨ ؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٢٧٢ــ ٢٧٣.

(٧) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٩ ؛ المناوي ، الوزارة، ص ١٦٧ ؛ محمود ، أهل الذمة ، ص ٩١.

(٨) ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٥٨.

(٩) ديوان النفقات : هو الديوان الذي ينظر في كل ما ينفق ويخرج في الجيش ، أو في غيره ، أي انه ينظر في المصروفات كافة ، ويتصل هذا الديوان في عمله أتصالاً وثيقاً في بيت المال . ينظر . الجهشياري ، أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هــ / ٩٤٢م) ، الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وآخرون ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ، ١٩٣٨م) ، ص ٣ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، النظم الاسلامية ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٨م) ، ص ١٧٠.

غير محبوباً من الرعية لقبح سياسته[١].

ومن النصارى الذين تقلدوا المناصب الحكومية في الدولة الفاطمية الكافي ابو نصر منصور بن عبدون (٤٠٠ ـ ٤٠١ هـ / ١٠٠٩ ـ ١٠١٠ م) الذي كان على حد تعبير (ابن القلانسي) ((رجلاً نصرانياً خبيثاً جلداً)) [٢]، فقد تولى ديوان بلاد الشام ، فقام الحاكم بأمر الله بإلقاء القبض عليه وعلى عدد كثير من الكتاب المسلمين والنصارى [٣]، وتولى منصب الوزارة من قبل الحاكم بأمر الله بعد عزل الوزير صالح بن علي الروزباري (٣٩٨ ـ ٤٠٠هـ / ١٠٠٧ ـ ١٠٠٩ م) [٤]، واستمر ابن عبدون يدير الأمور حتى عزله الحاكم بأمر الله وقتله بعد مُدَّة وجيزة من عزله وقبض ماله في سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)[٥].

كما ظهر لأهل الذمة دور أيضاً في عهد المستنصر بالله الذي كان يحبهم ويعطف عليهم، ويكثر من مجاملتهم ، ويعتمد عليهم كثيراً في إدارة شؤون الدولة وتنظيمها [٦] ، فلذا نجد أَنَّ أبا سعيد التستري اليهودي كان مدبر أمور الدولة الفاطمية ، فقام باستغلال نفوذه وصلته بقصر الخلافة، فأسند كثيراً من مناصب الدولة إلى اليهود ، وأعطاهم الوظائف الكبرى ، فلحق من جراء ذلك الظلم والأذى للمسلمين على يديه ، لدرجة أنهم كانوا يقولون ((وحق النعمة على بني اسرائيل)) [٧] ، وقال احد الشعراء هذه الأبيات :

يهودُ هذا الزمانِ قد بَلغُوا	غاية آمالهم وقد مَلَكُوا
العزُ فيهم والمالُ عندهمُ	ومنهم المستشارُ والمَلِكِ
يا أهلَ مصرٍ اني نصحتُ لكم	تهوَّدوُا قد تهوَّد الفلَكُ[٨].

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٩ ــ ٦٠ ؛ محمود ، اهل الذمة ، ص ٩١ . ذكر المقريزي السنة التي حدثت فيها مقتل ابو العلاء فهد ابن ابراهيم واخيه ابي غالب فجعله سنة (٣٩٢ هـ/١٠٠١م) فهو يختلف عن اغلب المؤرخين الذين يجعلونها سنة (٣٩٣ هـ/١٠٠٢م) . اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٤.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦١.

(٣) المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٧.

(٤) هو صالح بن علي الروزباري ، عراقي الاصل ، التحق في خدمة الفاطميين حتى تقلد ديوان بلاد الشام ، تولى الوزارة في عهد الحاكم بأمر الله بعد عزل الحسين بن جوهر عنها . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٢ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧.

(٥) يحيى بن سعيد، تاريخ الانطاكي، ص ٢٨٦ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ٨٥/٢ ؛ المناوي، الوزارة، ص٢٤٧.

(٦) عامر ، أهل الذمة ، ١ / ١٨٧.

(٧) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٨ ؛ محمود ، أهل الذمة ، ص ٩١.

(٨) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩٧ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن ابي بكر بن محمد الشافعي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م) ، ٢ / ٢٠١؛ كاشف ، ــ و آخرون ، تاريخ مصر الإسلامية ، اعدها للنشر : أ.د.عبد العظيم رمضان ، (الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م) ، ص ٢٧٣.

وفي عهد المستنصر بالله أيضاً شارك النصارى مع اليهود في مصر بتقلدهم أهم المناصب في الدولة ، مستأثرين بأغلب السلطة والنفوذ ، فكان أمرهم نافذاً ، فانغمسوا في جمع الثروة والعيش في حياة اتسمت بالترف والبذخ[١]، واستمر أهل الذمة في المناصب الإدارية في عهد الآمر بأحكام الله ، الذي اعتمد عليهم اعتماداً كبيراً ، فكان منهم عمال الدواوين والكتاب من دون الوزراء[٢]، وذكر القلقشندي استعمال النصارى في عهد الآمر بأحكام الله في الديار المصرية فيقول : ((امتدت أيدي النصارى، وبسطوا أيديهم بالخيانة، وتفننوا في أذى المسلمين وإيصال المضرة إليهم))[٣] ، فاستخدم منهم كاتب يعرف بالراهب ، وكان مقدم دين النصرانية ويلقب الأب القديس وأبي الإباء وسيد الرؤساء ، فاستغل منصبه واخذ بمصادرة عامة من كان في الديار المصرية من ((كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر)) ، فامتدت يدهُ على اختلاف طبقات العامة[٤].

فارتفع شأنهُ عند الآمر بأحكام الله الذي كان يعمل له ملابس من الصوف الأبيض منسوجة من الذهب ، ويجلس بالجامع العتيق [٥] ويطلب العامة للمصادرة [٦] ، وفي بعض الأيام استدعى رجلا يعرف بابن الفرس فأوقع به الاهانة والاخراق ، فوقف في يوم الجمعة في الجامع وقال: ((يا أهل مصر ، انظروا عدل مولانا الآمر في تمكينه هذا النصراني من المسلمين ! فارتج الناس لكلامه وكادت تكون فتنة ، فدخل جماعة على الآمر ، وخوفوه العاقبة ...))[٧].

فاستدعى الآمر بأحكام الله الراهب وعند حضوره انشد الآمر :

ان الذي شُرِّفَت من أجله　　　　يزعمُ هذا انه كاذب

فقال الآمر بأحكام الله للراهب : ((يا راهب ، ماذا تقول ؟ فسكت . فأمر حينئذ والي مصر بأخذه إلى الشرطة وضربه بالنعال حتى يموت))، فأرسل إلى شرطة مصر ، واستمر ضربه بالنعال حتى مات في سنة (٥٢٣ هـ / ١١٢٨م) [٨] ، وعلى إثر هذه الحادثة اشتد غضب الآمر بأحكام الله على كل أهل الذمة ومنعهم من تسنم الوظائف في مفاصل الدولة ، كما طبق عليهم أحكام الإسلام وتشدده

---

(١) محمود ، أهل الذمة ، ص ٩٢.
(٢) عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ١ / ١٩١.
(٣) صبح الأعشى ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٨م) ١٣ / ٣٦٩.
(٤) المصدر والجزء والصفحة نفسها.
(٥) هو جامع عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط ، والذي تم بناؤه في سنة (٢١ هـ / ٦٤١م) ، وسمي بتاج الجوامع في عهد ازدهاره ، وعندما تقادم به العهد وازدادت إلى جوانبه جوامع الفسطاط والقطائع والقاهرة أطلق عليه اسم الجامع العتيق ، كما وسميت مدينة الفسطاط كذلك ولازالت تسمى مصر العتيقة . ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٦٤ : هـ (١) ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ٢٣٩ ؛ احمد ، محمود ، جامع عمر بن العاص بالفسطاط من الناحيتين التاريخية والأثرية ، (المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ، ١٩٨٣ م) ، ص (ط) المقدمة .
(٦) ابن ميسر، المنتقى، ص١٠٨ ؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة،٢٣٦/١ ؛ النويري، نهاية الإرب، ١٩٠/٢٨.
(٧) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٠٨ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٩٠.
(٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٢٦ ؛ عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ١ / ١٩٦.

بالالتزام بها[١].

إنَّ هذه السياسة القاضية بعدم استعمال الذميين في مفاصل الحكم والإدارة في الدولة الفاطمية، لم تستمر طويلاً فسرعان ما ظهرت من جديد في عهد الحافظ لدين الله عندما استوز احد الذميين إلا وهو بهرام الأرمني (٥٢٩ ــ ٥٣١هـ/ ١١٣٣ ــ ١١٣٥م)[٢]، الذي كان نصرانياً أرمينياً أتى مع الأرمن الذين جاءوا إلى مصر منذ عهد الوزير بدر الجمالي وولده الأفضل (٤٨٧ ــ ٥١٥هـ / ١٠٩٤ ــ ١١٢١م) [٣] بعد أن وضعت الدولة البيزنطية يدها على أرمينية في منتصف القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي ، مستغلين التسامح الديني الذي كان سائداً عند الفاطميين في تلك المُدَّة[٤].

واخذ بهرام الأرمني يتدرج في وظائف الدولة الفاطمية ، فكان قائداً في الجيش ومن ثم أصبح حاكماً على الغربية [٥] ، وقد تميز برجاحة عقله ، والذكاء وحسن التدبير في أثناء خدمته لهذه الولاية ، ولهذا وقع الاختيار عليه من قبل الحافظ لدين الله وقلده منصب الوزارة في سنة (٥٢٩هـ / ١١٣٤م) ، فأصبح أول نصراني تقلد منصب وزارة التفويض للفاطميين[٦].

وسر الحافظ لدين الله باستعمال وزير نصراني وظن انه لا يستبد به مثل ما فعل به الوزراء المسلمين ، ولم يشاركه في هذا الفرح كبار رجال الدولة ، وقد أشاروا عليه بأن لا يوليه الوزارة باعتباره نصراني وهذا لا يقبل به المسلمون ، كما ان وزير التفويض يتدخل في القضاء والدعوة ، فإن القضاة هم نواب الوزراء منذ عهد بدر الجمالي ، وهو يرقى مع الإمام المنبر في الأعياد ليزرد عليه المزرة (الستارة) التي تمنعه عن العامة ، فلم يأخذ بمشورتهم ، واستطاع أن يحل هذه المشكلة بأن جعل لنفسه تولية القضاة والدعاة ، وجعل القاضي ينوب عنه في صعود المنبر ، ولم يعود اليه

---

(١) عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ١ / ١٩٦.

(٢) هو الأمير تاج الدولة بهرام الارمني ، استوزره الحافظ لدين الله في سنة (٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م) ، بعد مقتل ابنه حسن فتمكن في البلاد واستخدم الأرمن على العامة، وقام بعزل المسلمين واساء السيرة معهم، فعزله الحافظ لدين الله في سنة (٥٣١هـ / ١١٣٦م) ، وسجنهُ في القصر ، فبقى فيه مُدَّة ، ثم ترهب وخرج من السجن . ينظر . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٢٩٦ ــ ٢٩٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٧٥ ؛ ابي الفدا ، المختصر ، تقديم : د.حسين مؤنس، تحقيق: د.محمد زينهم عزب - ويحيى سيد حسين، (مطابع دار المعارف ، القاهرة، د.ت) ،١٨/٣ ــ ١٩.

(٣) هو ابو القاسم شاهنشاه ابن السيد الاجل امير الجيوش بدر المستنصري ، اشترك مع ابيه في تدبير الامور منذ سنة (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م) ، تولى الوزارة في سنة (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) ، على إثر اشتداد مرض ابيه بدر ، لقب بـــ ((السيد الاجل الافضل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الامام ناصر الدين خليل امير المؤمنين)) ، انتهت حياته بالقتل في سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م) علي يد مجموعة من النزارية . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،٢ / ٤٤٨ ــ ٤٥١ ؛ ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٩٧ ــ ١٠٠ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٧١ ــ ٢٧٢ .

(٤) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٥١٤ ؛ طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص ٤٠٧.

(٥) الغربية : هي الولاية التي استحدثت في عهد الدولة الفاطمية ، واطلق عليها الغربية نظراً لوقوعها في غرب فرع النيل الشرقي ، وتعد مدينة المحلة الكبرى عاصمة لإقليم الغربية حتى سنة (١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م) ، وبعدها نقلت الى مدينة طنطا . ينظر . رمزي ، القاموس الجغرافي ، ٢ /٢ : ٨.

(٦) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٤٥ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٩٥ ــ ١٩٦ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٥١٣ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٥٩.

شيئاً من الأمور الشرعية[١].

طلب بهرام من الحافظ لدين الله أن يوافق له على جلب إخوته وأهله من تل باشر[٢]، وبلاد الأرمن ، فوافق على طلبه ، وقد بلغ عدد الأرمن في عهده حوالي ثلاثين ألف إنسان في الديار المصرية ، مرفوعة عنهم الجزية ، لكون منهم جماعة كانت تسنده وتشد من أزره ، فاستطالوا على المسلمين ولحق منهم الجور والأذى الكبير ، فقد عمدوا على الاستكثار من بناء الكنائس والأديرة ، حتى أصبح لكل رئيس من الأرمن ان يبني له كنيسة ، وزادت من كثرتها حتى أصاب المسلمين القلق من جراء ذلك ((وخاف اهل مصر منهم ان يغيروا الملة الإسلامية))[٣].

وفي ضوء هذه السياسة التي اتبعها النصارى في المُدن المصرية ، فقد أصبح أغلب ولاة الدواوين منهم [٤]، كما قام بهرام بتعيين أخيهِ المعروف بالباساك على مدينة قوص[٥] ، فتقوى بأخيهِ وأخذ يتمادى في ظلم المسلمين ومصادرة أموالهم وبالغ في أذيتهم[٦] ، فرفعوا شكواهم إلى الحافظ لدين الله ، وطلبوا من رضوان بن ولخشي والي الغربية بالقدوم إليهم ومساعدتهم في تخليصهم من سيطرة النصارى ، فوافق رضوان على طلبهم ، وكون جيشاً تعداده ثلاثين ألف فارس من العربان وسار بهم من منطقة سخا [٧] لقتال بهرام والقضاء عليه وردع النصارى من الأرمن في تطاولهم على أهل البلاد من المسلمين[٨].

واحتدم النزاع بين الطرفين وبالأخص عندما تقابلا على مشارف مدينة القاهرة ، وانضم اتباع بهرام إلى رضوان بعد أن رفع المصاحف على أسنة الرماح ، وعلى إثر ذلك بعث بهرام إلى الحافظ لدين الله يطلعه على ما جرى ، فخاف عليه من هذه المواجهة وأشار إليه أن يذهب إلى مدينة قوص

---

(١) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٤٤ ؛ ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٤٥ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٩٥ ــ ١٩٦ ؛ الحدراوي ، اثر الازمات الاقتصادية ، ص ٩٨ ــ ٩٩.

(٢) تل باشر : هي قلعة حصينة وكورة واسعة تقع في شمال حلب ، بينها وبين مدينة حلب يومان ، وأهلها نصارى ارمن ، وتعد من المدن العامرة التي يوجد بها ربض واسواق . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٠.

(٣) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٩٦ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٥١٤.

(٤) سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٦١. يُعد صنيعة الخلافة ابو الكرم الاخرم بن أبي زكريا النصراني اهم من تولى الدواوين في عهد بهرام من النصارى عن ديوان النظر والذي حصل عليه عن طريق الضمان . ينظر . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٧٩ ــ ٨٠.

(٥) قوص : هي مدينة كبيرة تقع في صعيد مصر ، حفلت بالأسواق المشعة والمرافق الكثيرة ، بينها وبين مدينة الفسطاط اثنا عشرة يوماً ، وعُدَّت المدينة ملتقى الحجاج ومحط التجار اليمنيين والهنديين وتجار أراضي الحبشة . ينظر . ابن جبير ، محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤م) ، ص ٤٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٤١٣.

(٦) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٢٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٥٩.

(٧) سخا : هي كورة بمصر تقع قصبتها في أسفل مصر ، وهي الآن قصبة كورة الغربية ومقر دار الوالي . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ١٩٦.

(٨) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٤٤ ــ ٤٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٢٩٦ ــ ٢٩٧ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٥١٤.

ويحتمي بأخيه الباساك [١] ، وقبل وصوله إلى مدينة قوص ثار المسلمون بها ، فألقوا القبض على أخيه الباساك وقتلوه ورموهُ في النهر ، إلا أَنَّ بهرام قد خرج بالفعل بعدما استولى على كثير من خزائن الدولة ، وعلى وقع خروجه من البلاد اضطربت الأوضاع ، إذ قام العامة من اهل البلاد بنهب سائر ديار الأرمن فتم نهب كنيسة الزُّهري[٢]، وكانت الأوضاع المضطربة التي شهدتها مدينة قوص بعد مقتل الباساك غير مناسبة لإقامة بهرام ، فلذا نجده يهرب إلى مدينة أسوان [٣] فوصل إلى أحد الأديرة المحصنة التي تقع في غرب مدينة أخميم [٤] ، وكان بمفرده بعد أن تفرق جنده الأرمن وتركوه وحيداً قاصدين الذهاب إلى مدنهم[٥]. وقد كان لهذه الأحداث التي شهدتها المُدن المصرية الأثر البالغ في إختلال الأمن والنظام وانتشار جرائم السرقة والنهب وغيرها . مما أدى إلى تضعضع الحياة الاقتصادية والمعيشية للسكان.

---

(١) ساويرس ابن المقفع ، تاريخ بطاركة ، ٣ / ١ : ٣٠ ــ ٣١ ، ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٢٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٦٠؛ عامر ، اهل الذمة ، ١ / ١٩٧.

(٢) كنيسة الزهري : هي الكنيسة التي كانت تقع في بر الخليج الغربي، وتقع غرب باب اللوق ، في المكان الذي عرف ببركة الناصرية جوار حكر اقبغا ما بين السبع سقايات وقنطرة السد ، وتعرضت الكنيسة للهدم في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٢١ هــ / ١٣٢١ م) . ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٦١ : هــ (٢).

(٣) اسوان : هي اكبر مدن الصعيد – من الاعمال القوصية – وتُعد من الثغور المهمة لمصر على بلاد النوبة ، وتميزت بكثرة النخيل وغزارة الغلات من التمور . ينظر . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤١، ١٤٨ ؛ شيخ الربوة ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هــ / ١٣٢٦ م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، نشر : أ . مهرن ، (لا مط ، لايبزك ، ١٩٢٣ م)، ص ٢٣٢.

(٤) أخميم : هي من اقدم المدن المصرية والتي تقع على شاطئ النيل الشرقي ،وتوجد بها المساجد والاسواق والحمامات ، فضلاً عن المباني والآثار . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١/ ١٢٣؛ رمزي ، القاموس الجغرافي ، ٢ / ٤ : ٨٩.

(٥) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٤٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٦١.

المبحث الثاني : الدوافع الإقتصادية

لاشك أَنَّ الأوضاع الاقتصادية المتردية والصعبة ، التي تمر بها أي دولة من الدول ، سوف تؤدي إلى كثرة المنازعات والأحداث ، وقد شهدَ العصر الفاطمي أزمات اقتصادية كبيرة ، كان لها دور كبير في انتشار معدل الجرائم وغيرها من الأمور وهي كما يأتي :

أولاً : الحظر على الأسواق

شهدت الأسواق في مصر وخصوصاً أسواق مدينة القاهرة قيوداً وحظراً على بعض السلع والبضائع السائدة فيها ، وكان ذلك بناءً على أوامر تصدر من قبل السلطات الحاكمة ، والتي لجأت إلى فرض العقوبات التي اتسمت بالشدة على كل من يخالف أوامرها في الأسواق من الباعة والتجار[١].

افتتحت الدولة الفاطمية سياستها الاقتصادية تلك في سنة (٣٦٠هـ / ٩٧٠م) ، فقد ذكر (المقريزي) ((وفي جمادى الأولى منع جوهر من بيع الشواء مسموطاً ، وان يسلخ من جلده))[٢].

وفي عهد الحاكم بأمر الله الذي عرف عنه ان كان متشدداً في الكثير من الأمور ، فاصدر قراراً بمنع تناول بعض المأكولات والمشروبات التي كانت تلحق أضراراً صحية في سنة (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) [٣]، ويذكر (ابن خلكان) عن هذه المسالة فيقول : ((نهى عن بيع الفقاع [٤]، والملوخيا[٥] ، والسمكة التي لا قشر لها))[٦].

كما تشدد الحاكم بأمر الله في تطبيقه لسياسة الحظر على الأسواق ، باعتبارها وسيلة من وسائل الضغط الاقتصادي على التجار في الأسواق ، فاخذ يهدد الذين يخالفون قراراته بأقصى

---

(١) سلطان ، الاسواق في العصر الفاطمية دراسة وثائقية ، (مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥م) ، ص ١٠٤ ؛ المسعودي ، فرح علي نجم ، السياسة الاقتصادية للدولة الفاطمية واثرها في اسواق القاهرة (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٣م ، ص ٦٠.

(٢) اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٢٨.

(٣) عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٧٢ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٦.

(٤) الفقاع : هو شرابٌ يُتخذُ من الشعير ، وسمي بذلك لأنه يرتفعُ في رأسه ويعلوهُ من الزَّبد . ينظر . الزبيدي ، تاج العروس ، ١١ / ٣٤٩. ولم يكن العامل الصحي وحده دفع الحاكم بأمر الله بمنع من تناوله ، بل هناك عوامل مذهبية ساهمت في منعه ، فمنع العامة من شربه ؛ وذلك لان عرف عن الإمام علي (عليه السلام) ، كراهية شربه ، لأنه مادة مسكرة وضارة . ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٣ ؛ زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة وتعليق : د. حسين مؤنس ، (مطابع دار الهلال ، مصر ، ١٩٥٨م) ، ٤ / ١٤١.

(٥) الملوخيا : هي نبتة مشهورة في مصر ، تتميز بكونها كثيرة اللزوجة . ينظر . ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد بن عبد الله (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م) ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م) ، ٤ / ٤٥٩ ؛ آل ياسين ، محمد حسين ، معجم النباتات والزراعة ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦م) ، ١ / ٣٧٦ . وبين ابن ظافر السبب الذي دفع الحاكم بأمر الله ان يمنع تناول هذه الأكلة الشهيرة عند المصريين ، هو ميل معاوية بن ابي سفيان (٤١ ــ ٦٠ هـ/ ٦٦١ ــ ٦٧٩م) اليها ورغبته فيها . ينظر . أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٩٣؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٧٣.

(٦) وفيات الأعيان ، ٥ / ٢٩٣.

العقوبات ، فقد ذكر (ابن اياس) ذلك بقوله : ((انه اطلع يوماً على جماعة يأكلون ملوخية ، فضربهم بالسياط ، وطاف بهم في القاهرة ، ثم ضرب أعناقهم عند باب زويلة [(١)]))[(٢)].

ومنع الحاكم بأمر الله العامة من تناول وبيع الجرجير[(٣)]، واصدر أمراً آخر في سنة (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) منع من خلالها ذبح الأبقار السليمة ، وبهذا الصدد أشار (المقريزي) إلى ذلك بقوله : ((والمنع من ذبح البقر التي لا عاقبة لها ، إلا في أيام الأضاحي ، وما سواها من الأيام لا يذبح منها إلا ما لا يصلح للحرث))[(٤)].

كما واصدر قراراً في سنة (٤٠٢هـ / ١٠١١م) منع بموجبه بيع الزبيب على اختلاف أنواعه ، ونهى التجار من جلبه إلى مصر ، وبعد ذلك جمعَ منه جملة كثيرة واحرق جميعها[(٥)]. ويبدو خشية الحاكم بأمر الله من استعماله في صناعة الخمر دفعه إلى اتخاذ إجراء المنع .

وأشارت المصادر التاريخية ان الحاكم بأمر الله اصدراً مرسوماً في سنة (٤٠٤هـ / ١٠١٣م) وجاء فيه منع النساء من الخروج في الليل والنهار ، وقد ترتب على ذلك منع الاساكفة[(٦)] من عمل الخفاف لهن فأغلقت حوانيتهم ، فاستمر منعهن من الخروج طيلة سبع سنوات ، إلى ايام خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله[(٧)]. ويبدو أَنَّ الحاكم بأمر الله كان يقصد من وراء هذا المنع هو عدم اختلاط النساء بالرجال لكي لا تحدث بينهم غواية ومفسدة .

وكان لسياسة المنع هذه آثار سلبية في سوق الخفافين ، وغيرها من السلع والمواد الأخرى، فقد تأذى التجار من جراء ذلك واشتكوا إلى الحاكم بأمر الله ، فأمرهم ان يحملوا ما يبيعونه في الأسواق ويتجولون به في الدروب والطرقات ، لكي يبيعونهُ على النساء على ان يكون في يدي المرأة المغرِفة [(٨)] حتى تتمكن من تناول ما تشتريه من الرجل[(٩)].

---

(١) باب زويلة : هي عبارة عن بابين ، عندما بنى جوهر الصقلي مدينة القاهرة ، واللتان كانتا تجاور مسجد سام بن نوح ، وفي سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢ م) ، بنى بدر الجمالي وزير المستنصر بالله باب زويلة الكبير . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢/ ٩٨.

(٢) بدائع الزهور ، ١/١ : ١٩٩.

(٣) الجرجير : هو بقلة مشهورة في مصر ، عرفت باسم بقلة عائشة . ينظر. ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية ، ١ / ٢١٩ . ويعود السبب في منع تناول هذه البقلة في عهد الحاكم بأمر الله في مصر ؛ لأنها منسوبة إلى عائشة بنت ابي بكر . ينظر . ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٩٤ ؛ القرماني ، أبو العباس احمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م) ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تحقيق : د. احمد حطيط - و د. فهمي سعيد ، (عالم الكتب ، بيروت ، د.ت) ، ٢ / ٢٣٨.

(٤) اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٣.

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ٢٩٣.

(٦) الاساكفة : جمع اسكاف وهم الذين يقومون بصناعة الخفاف . ينظر. الزبيدي ، تاج العروس ، ١٢ / ٢٧٨.

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥ / ١٠١ ؛ الدُميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ م) ، حياة الحيوان الكبرى ، (ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ١ / ٣٥٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠٢ـ ١٠٣ ؛ الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ، (ط٢ ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، د.ت) ، ١ / ١٥٢.

(٨) المغرفة : المقدِمة . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٣ / ٤١ ؛ ابن سيدة ، المخصص ، ١ / ٥ : ٥٥.

(٩) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٢١.

وفي عهد الظاهر لإعزاز دين الله استمر العمل بسياسة الحظر ، فقد اصدر امراً في (سابع عشر جمادى الآخرة سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م) ، بمنع ذبح الأبقار لأي سببٍ كان ، ومن يخالف هذه الأوامر سوف يحل دمه وماله ((لأن الناس عدموا العوامل [١])) [٢]، كما كتب بذلك كتاباً قرئ على العامة جاء فيه ((إن الله تعالى بتتابع نعمته ، وبالغ حكمته ، خلق ضروب الأنعام ، وعمل فيها منافع الأنام ، فوجب ان تُحمى البقر المخصوصة بعمارة الأرض ، المذللة لمصالح الخلق ؛ فإنَّ في ذبحها غاية الفساد ، وأضراراً للعباد والبلاد))[٣].

وأدى هذا القرار إلى إلحاق الضرر بالجزارين جراء تطبيق هذه السياسة ، فقد خرجوا يستغيثون بالظاهر لإعزاز دين الله ، لغرض الغاء هذه السياسة ، إلتي أثرت بالسلب على أسواق اللحوم في مدينة القاهرة ، وأشار (المسبحي) إلى ذلك بقوله : ((فطلع الجزارون يستغيثون في منعهم من ذبح الأبقار وان عندهم منها ما ابتاعوه وأنفقوا عليه في علفه حمل الدنانير ، وليس هو ما يعمل ، ولا يصلح للزراعة ، فإنَّ الرأس من البقر يقوم عليهم بمائة دينار وأكثر))[٤].

ومن جراء هذه الاستغاثة حدد الظاهر لإعزاز دين الله ثلاثة ايام لذبح رؤوس البقر إلتي بحوزتهم ، فتمكنوا في هذه المُدَّة بذبح كميات كبيرة ، وبيع لحوم الأبقار كل رطل بدرهم واحد ، فأدى ذلك إلى ازدحام العامة على شرائها ، لكن سرعان ما فقدت هذه اللحوم من الأسواق بعد انتهاء المُدَّة التي حددها الخليفة [٥]. وكان من وراء هذه السياسة التي اتبعتها الدولة الفاطمية حصول عدد من المشاكل التي أسهمت في اضطراب الأوضاع الاقتصادية ، وتخلخلها وهذا بطبيعته سوف يؤدي إلى إرتكاب عدد من الجرائم في المجتمع آنذاك.

ثانياً : **فرض الضرائب وارتفاع الأسعار**

كانت الضرائب من الموارد المالية المهمة للدولة الفاطمية ، وشملت جبايتها جميع الصادرات والواردات من البضائع والسلع ، وقد عرفت في العصر الفاطمي وبالتحديد في مصر بأسماء متنوعة ، منها المكس ، وعشر[٦] ، وسواحل [٧] والتي فرضت بأنواعها على المنتوجات من البضائع والسلع

---

(١) ويقصد بالعوامل ما يكون صالحاً منها للسقي والحرث ، وغير ذلك من مهام الفلاحة . ينظر . المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٤٤ : هـ (١) ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٤٩ : هـ (١) .
(٢) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٤٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٤٩.
(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٢٥٢.
(٤) اخبار مصر ، ص ٢٤٤.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٤٩ ــ ١٥٠.
(٦) عشر : هي ضريبة شرعية تفرض على بضائع التجار المسلمين وتجار الروم الذين يفدون ببضائعهم الى دار الاسلام ، فكانوا يدفعون عشر قيمتها. ينظر. ابي يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م) ، الخراج ، (دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م) ، ص ١٣٢ ــ ١٣٣؛ ماجد ، نظم الفاطمين ، ١ / ١١٨ ؛ العبادي ، من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، العدد١ ، السنة ١٩٨٠م ، ص ١٢٩.
(٧) سواحل : هي ضريبة تدخل ضمن موارد الدولة المالية تستأدى من مناطق الثغور الساحلية مثل مدينة الاسكندرية
←

التي ترد الى الاسواق ، ويشير (ابن خلدون) في حديثه عن ضرب المكوس في آواخر الدولة بقوله : ((فيستحدث صاحب الدولة انواعاً من الجباية يضربها على البِياعات ، ويفرض لها قدراً معلوماً على الأثمان في الأسواق ، وعلى أعيان السلع في أموال المدينة ، وهو مع هذا مضطر لذلك بما دعاه إليه ترف العامة من كثرة العطاء من زيادة الجيوش والحامية ، وربما يزداد ذلك في أواخر الدولة))[١].

وفرضت الدولة الفاطمية الضرائب وبكثرة ، لمعالجة النفقات التي تتمثل بدفع الرواتب إلى الموظفين والأجناد ، وقد سارت الدولة في عملية التنظيم المالي ، فخصصت لكل ايراد نفقةٍ معينة ، فتم تخصيص الخراج للإنفاق على الأجناد وأرباب الوظائف في الدولة ، وبسبب النقص الذي لحق بالإيراد ، دفع الدولة إلى اللجوء إلى المكوس بدلاً من الخراج لتامين نفقاتها[٢].

وكانت لهذه السياسة إلتي اتبعتها الدولة الفاطمية ، آثارٌ سلبية كبيرة حلت في الأوضاع الاقتصادية للأسواق ، وبالأخص أسواق العاصمة ؛ بسبب فرض الضرائب الثقيلة على التجار والباعة ، وهذا من شانه أن ولد حالة من فقدان البضائع والسلع والذي أدى إلى كساد الأسواق ، وإيقاف عملية البيع والشراء ، وإنَّ الزيادة الكبيرة للضرائب يؤدي حتماً إلى جملة من الأمور من بينها كساد الأسواق ، وفساد الآمال ، وتدهور العمران وهذه كلها أمور كفيلة بإلحاق الضرر على الدولة ويزداد ذلك الأمر إلى ان يصيبها الأفول ، وحصل هذا الشيء كثيراً في أمصار المشرق في أواخر عهد الدولة العباسية والفاطمية[٣].

وعندما تلغى أو تخفف الضرائب عن الأسواق ، يؤدي ذلك إلى وفرة الغلال والبضائع والسلع بكميات كبيرة ، وفي سنة (٤١٥ هـ/١٠٢٤م) ، أمر الظاهر لإعزاز دين الله برفع المكوس ، وقد أشار (المسبحي) إلى هذا الشأن بقوله : ((وفي يوم الاثنين آخر النهار ، نزل دواس بن يعقوب متولي الحسبة [٤] من القاهرة ومعه سجل قد كُتب بحطيطة جميع المكوس من سواحل مصر عن سائر

→

، ودمياط ، والبرلس ، والفرما ، ولها ديوان خاص بجبايتها يسمى ديوان الثغور . ينظر . القلقشندي ، ٣ / ٤٩٥ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ١٤٢.

(١) المقدمة ، ٢ / ٦٩٠.

(٢) ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ / ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ٢ / ٦٩٠.

(٤)الحسبة : الحسبة لغةً: الحسبة بكسر الحاء هي اسم من الاحتساب وبمعنى ادخار الاجر ، أي : بمعنى الاعتداد بالشيء ، ويكون الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر فيه ، وقولهم فلان حسن الحسبة في الامر أي : حسن التدبير والنظر، وان هذا المعنى اللغوي للحسبة يكون قريباً من معناها في العرف . ينظر. ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م) ، معالم القربة في احكام الحسبة، تحقيق : د. محمد محمود شعبان ــ و صديق احمد عيسى المطيعي ،(الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ص ٢٣ ؛ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، (دار العلم للجميع ، بيروت ، د.ت) ، ١ / ٥٥ . واما الحسبة اصطلاحاً : هي أمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتُعد من صور القضاء في الإسلام . ينظر . ابي يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن احمد الفراء (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) ، الاحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه ، محمد حامد الفقي ، (دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠٠م) ، ص ٢٨٤ ؛ الشيزري ، عبد

←

أصناف الغلات عن اهلها رفقاً من امير المؤمنين ، وأن توضع مكوسها عما يرد منها الى سواحل مصر... ، فأصبحت الأخباز كثيرة متوافرة في الأسواق ، وبيع القمح حساب ثلاثة دنانير غير ربع للتليس[١]، والخبز السميذ[٢] رطلين بدرهم وربع وظهر الخبز والدقيق في الأسواق))[٣].

ومن الآثار الايجابية لهذه السياسة الاقتصادية ، هي استقرار الأوضاع في الأسواق ، وتوفر الغلال والسلع والبضائع فيها[٤].

أما عملية فرض الضرائب على الأسواق فأنها تؤدي إلى ارتفاع الأسعار ، إذ بلغت واردات الضرائب المفروضة على أسواق مدينة القاهرة في مصر في كل سنة مائة الف دينار[٥].

ومما لا ريب فيه أَنَّ لفرض الضرائب الباهظة على كافة السلع والبضائع الواردة إلى الأسواق ، سوف يؤدي إلى ارتفاعها ، ويقع الضرر على البائع والمشتري على حدٍ سواء ، فإِنَّ البائع مجبر على رفع قيمة السلع والبضائع ليتمكن من دفع الضرائب إلى الدولة ، وهذا سيؤثر بصورة كبيرة في المشتري الذي يلجأ إلى الاقتصار على شراء الحاجات الضرورية كالأقوات[٦].

وإِنَّ هذه العلاقة العكسية بين الأسعار والضرائب يؤكدها (ابن خلدون) بقوله : ((كانت الأسعار في الأمصار أغلى من الأسعار في البادية ، إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم او معدومة ، وكثرتها في الأمصار لاسيما في آخر الدولة))[٧]. ومن خلال هذا النص يبدو أَنَّ المُدن كانت بحاجة لمصاريف أكثر مما تحتاجه البادية ، فلذلك من الطبيعي أن تكون الأسعار في المُدن مرتفعة .

كان من نتيجة فرض الضرائب هو ارتفاع الأسعار ، فظهر إلى العلن ما يسمى في الوقت الحاضر بـ (السوق السوداء) ، فضلاً عن ذلك قيام التجار والباعة بالاعتماد على الغش في الموازين

→

الرحمن بن نصر بن عبد الله(ت ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ــ واحمد فريد المزيدي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت) ، ص ٢١٣ ؛ الصالح ، صبحي ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، (أمير ، قم ، ١٩٩٧م) ، ص ٣٢٨ . كما وعُدَّت الحسبة من مصطلحات القانون الإداري ، والتي لها معنى خاصاً بها وهو الشرطة ،وأصبحت تطلق على الشرطة المعنية في مراقبة الأسواق والآداب العامة . ينظر. ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص٢٣.

(١) التليس : هوكيس يعبأ به القمح ، او الدقيق ، وكان يزن مائة وخمسون رطلاً، والرطل المصري يزن مائة واربع واربعون درهم . ينظر . ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٧٩ : هـ (٢) ؛ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٦٥ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٤٤٥.

(٢) الخبز السميذ : هو نوع من الخبز اليابس ، وقد يحلى في وضع مادة حلوة فيه ويعجن بالدهن او الزيت ، كما وتوضع فيه بعض المواد مثل السمسم لإعطائه نكهة خاصة . ينظر . علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (ط٢ ، منشورات جامعة بغداد ، بغداد ،١٩٩٣م) ، ٧ / ٥٧٣ ــ ٥٧٤.

(٣) اخبار مصر ، ص ١٩٦.

(٤) ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٧٩ : هـ (٢).

(٥) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ١ / ٢٩٧.

(٦) قاسم ، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك ، (مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٨م) ، ص ٤٤.

(٧) المقدمة ، ٢ / ٨٠٧ ــ ٨٠٨.

والمكاييل ، تعويضاً عن الأموال التي يدفعونها إلى الدولة كضرائب من جانب ، ومن جانب آخر الرغبة في الحصول على المزيد من الأرباح [١]. وهذا بحد ذاته يُعد من إحدى الجرائم الاقتصادية التي ترتكب في الدولة.

وحصلت هذه الأمور في أسواق الدولة الفاطمية ، إلتي لم تتوانَ في وضع حدٍ لهذه المخالفات، فقد تبنت إجراءات صارمة بحق التجار، والباعة الذين يتبعون هذا الأسلوب المضُر ، فقد نفذ العزيز بالله الإجراءات الكفيلة التي من شأنها ردع المخالفين ، فلذا اشار (المقريزي) في حوادث سنة (٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م) إلى ذلك بقوله : ((كثر بخس الباعة في البيع من المكاييل والموازين ، فكُتب سجلٌ في الأسواق بالنهي عن ذلك ، وخُوِّفوا بأن من وجدت عنده صنجة او كيل او ميزان بعد ثلاثٍ وفيها عيبٌ حلَّت به العقوبة ، كائناً من كان من ساكنٍ في عقار الدواوين الخاصة والأملاك ، في رباع أحدٍ من خواص الدولة ، أو ظهر عليه بأنه بخس الناس أو غشَّ)) [٢]. ومن خلال هذا النص يبدو أَنَّ العزيز بالله كان جاداً بالضرب بيد من حديد بحق المتجاوزين والمتلاعبين في الأسواق ووضع حد للجريمة الاقتصادية.

فضلاً عن هذا فأنه كان يحدث أثناء الارتفاع في أسعار الحبوب والمواد الغذائية كثير من الأزمات الاقتصادية والمجاعات في الدولة الفاطمية ، فقد شهدت مصر عدداً من المجاعات وكان من أشدها تلك التي ضربت مصر في عهد المستنصر بالله ، والتي امتدت إلى سبعة سنوات في سنة (٤٥٧هـ / ١٠٦٤) ، والتي عرفت بالشدة العظمى ، فاضطر العامة فيها إلى اكل الميتة والجيف على وقع اشتداد الجوع بهم [٣] ، كما قام العامة بأكل لحوم الكلاب والقطط ، وبلغ سعر الكلب خمسة دنانير والقطط بثلاثة دنانير ، وأزداد سوء الحال حتى لجأ العامة إلى أكل بعضهم بعضاً[٤].

وعندما تطورت الأزمة على الأفراد ، انهارت القوة الشرائية للنقود ، وأصبحت الأموال والممتلكات لا قيمة لها أمام حاجة العامة الملحة في الحصول على الغذاء تحت أي وسيلة ، حتى ان حارة في الفسطاط تم بيعها بطبق من الخبز ، وكل دار داخلة في هذه الحارة ، والتي بلغت عشرين داراً برغيف ، فلذلك تم إطلاق اسم حارة الطبق عليها[٥] ، كما وخرجت امرأة من الطبقة المترفة لتقوم ببيع عقداً من اللؤلؤ في سبيل الحصول على الطعام ، فلم تجد من يشتريه منها فألقته على

---

(١) قاسم ، أسواق مصر ، ص ٤٣ ــ ٤٤.
(٢) اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٨٠.
(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ٢٨٨ ؛ البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٩٤.
(٤) المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ٩٨ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ٢١٦ ؛ ابن الوكيل ، يوسف الملّواني (ت ١١٣١هـ / ١٧١٩م) ، تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق : محمد الششتاوي ، (دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م)، ص ٥٦.
(٥) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٣٧١ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ٢١٧.

الأرض وقالت : ((إن لم تنفعني وقت الحاجة فلا حاجة لي بك)) ، وقامت امرأة أخرى ببيع عقدها الذي بلغ ألف دينار ، لكي تحصل على القليل من الدقيق ، إلا انه نهب منها من قبل العامة ، وهي تسير في الطريق ، وبقى حفنة واحدة نهبتها مع الناهبين فخبزتها قرصة، ووقفت امام قصر المستنصر بالله ورفعت يديها إذ يراها العامة ، ونادت بأعلى صوتها ((يا أهل القاهرة ، ادعوا لمولانا المستنصر ، الذي اسعد الله الناس بأيامه ، واعاد عليهم بركات حسن نظره ، حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار))[١]، وعلى إثر هذا النداء استدعى المستنصر بالله الوزير والوالي وهددهما بالشنق إن لم يوفرا في البلاد الاخباز ، فأشرف الوزير شخصياً على محاربة الاحتكار[٢] الذي شاع في البلاد في تلك المُدَّة ، وأخذ بمصادرة مخازن التجار الجشعين ، كوسيلة منه للقضاء على هذه الأزمة ، التي انفرجت بعد حين بتوافر كثرة الخبز في الأسواق والدكاكين[٣].

ومن شدة الجوع الذي عم العامة في تلك الحقبة ، حدثت عدد من الجرائم الوحشية ، فقد قام أحد الطباخين بذبح عدد من النساء والصبيان وطبخ لحومهم فأكل منها وباع الباقي للناس[٤] ، وكان في مصر طوائف أهل الفساد يسكنون في بيوت قصيرة السقوف ، فيقومون بسلب وخطف من يسير في الطرقات ، فإذا مرَّ بهم أحد حملوه ، ثم يقومون بضربه بالأخشاب ويشرحون لحمه ويأكلوه[٥].

ومن حوادث الجرائم التي برزت في تلك المُدَّة جريمة أكل لحوم البشر، فقد قام أحد الأشخاص بخطف امرأة سمينة ، فادخلها بيتاً وكان فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتل ، فأوثقها واخذ يشرح من أفخاذها ويأكل أكلاً كثيراً، وبعدها سكر فتمكنت من الهروب منه ولجأت إلى الوالي الذي كبس على الدار وضرب عنقه ، واستمرت الجروح في أفخاذها سنة كاملة إلى ان شفيت وبقت عليها آثار الحفر[٦].

وكان الكلب يدخل إلى الدار فيأكل الطفل الصغير وهو في المهد ، فلا يتمكنان والداهُ من القيام بالذود عن ولدهما من شدة الجوع وعدم القوة[٧] ،وقامت العامة ايضاً من جراء شدة الجوع بالاستيلاء على بغلة وزير المستنصر بالله الفارقي (٤٥٥ ــ ٤٦١ هـ / ١٠٦٣ ــ ١٠٦٨ م)[٨] وأكلها ، ولكن

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ /٤٠٠ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٤٩ ــ ١٥٠ ؛ المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص ٩٩ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ /١ : ٢١٧ ــ ٢١٨.
(٢) الاحتكار : هو جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه وانتظار وقت الغلاء به . ينظر . ابن سيدة ، المخصص ، ٣ / ٣ : ٢٧١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٤ / ٢٠٨ . والاحتكار : هو حبس السلعة والامتناع عن بيعها بهدف ارتفاع سعرها . ينظر. فتح الله، أحمد ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (مطابع المدخول، الدمام، ١٩٩٥م) ، ص ٣١.
(٣) المقريزي ، إغاثة الامة ، ص ١٠٠ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١/ ١ : ٢١٨.
(٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥/ ١٨.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٩٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٩٦ ــ ٢٩٧ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ٦٧.
(٧) ابن آيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٣٧١ ؛ الحدراوي ، اثر الأزمات الأقتصادية ، ص ١٧٦.
(٨) هو الوزير الأوحد سيد الوزراء مجد الاصفياء قاضي القضاة وداعي الدعاة خليل أمير المؤمنين ، أبو علي ، أو
←

هؤلاء تقرر شنقهم لما ارتكبوه ، فقامت النساء بالاجتماع عليهم واكلهم[١].

واستمرت المجاعات في العصر الفاطمي ، فقد عاشت البلاد مجاعة في عهد الآمر بأحكام الله في سنة (٤٩٧هـ / ١١٠٣م) ، كان سببها نقصان ماء النيل مما ولد ارتفاعاً في الأسعار وفقدت الاقوات ووقع القحط ، مما دفع كثيراً من اهل البلاد بأكل لحوم الموتى من الآدميين ، وفي شدة هذا الغلاء هرب العامة من مصر إلى المغرب والحجاز واليمن وبلاد الشام[٢]. ويبدو الرواية التي ذكرها السيوطي والمتعلقة بأكل لحوم الموتى من الآدميين غير دقيقة ومبالغٌ فيها .

وفي عهد الحافظ لدين الله وقعت مجاعة في سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧م) في عهد الوزير رضوان بن الولخشي ، فأمر الحافظ لدين الله بفتح الأهراء[٣] ، والبيع منها بأوسط الأثمان على العامة ، إلا أنَّ الوزير رفض القرار، وأخذ بإهانة حواشي الخليفة والطعن في مذهبه لكونه سنياً ، فانزعج الحافظ لدين الله من ذلك واخذ يعمل في القضاء عليه[٤].

وشهد عصر الفائز بنصر الله ارتفاعاً في الأسعار وبلغ اشده في سنة (٥٥١هـ / ١١٥٦ م) واشتد مرة أخرى في سنة (٥٥٤هـ / ١١٥٩م) في وزارة الصالح طلائع بن رزيك ، فقد بلغ إردب[٥] القمح خمسة دنانير ، فتمكن الوزير طلائع بما امتلك من حسن تصرف وتدبير الأمور من القضاء على الأزمة ، فأعطى حصصاً معينة للطحانين وبأسعار مدعومة لمن ينهي احتكار التجار للغلة ، وقام بمطاردة التجار الجشعين وصادر مخازنهم التي احتوت على الغلال ووزعها على مجموعة من الفقراء والمحتاجين[٦].

←

أبو أحمد أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي ، تولى القضاء تارةً والوزارة تارةً أخرى ، أو الجمع بينهما ، أشتهر بلقب (جلال الملك) ، كما تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله مرات عدة ، توفي في بلاد الشام . ينظر . ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٢٧ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٦١.

(١) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٩٩.

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ٢٩٢.

(٣) الأهراء : هي الأماكن التي تخزن فيها الغلال والاتبان الخاصة بالخليفة او السلطان ، والتي يتم فتحها عند الضرورة ، فيوضع بها الغلال والاحطاب والاتبان التي تستهلك على مدار السنة . ينظر . المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ١٠٣ : هـ (٢).

(٤) اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٦٥ ــ ١٦٦ .

(٥) الإردب : هو مكيال أهل مصر ، ويبلغ اربعة وعشرون صاعاً ، ويساوي (٢٠٤٠ × ٢٤ = ٤٨٩٦٠ غرام). ينظر . المقريزي ، الأوزان والأكيال الشرعية ، حققه وعلق عليه : سلطان بن هليل بن عيد المسمار ، (دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ٢٠٠٧م) ، ص ٨٠.

(٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣٦ ؛ المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣.

المبحث الثالث: الدوافع الإجتماعية

إنَّ طبيعة المجتمع المصري الذي يتكون من طبقات وأديان ومذاهب مختلفة ، فرض على العصر الفاطمي مجموعة من السلوكيات حتى تتوازن في إسلوب إدارة البلاد ، فكانت تقام احتفالات دينية ، او وطنية ، او الاهتمام بمظاهر الترف والإسراف ، وغيرها من السلوكيات التي انتشرت في تلك المُدَّة ، وهذه كلها من دون ريب تؤدي إلى صرف وإنفاق الأموال في غير محلها ، وتدفع بخزينة الدولة إلى الإفلاس في حين أَنَّ هناك فئات كثيرة مستحقة لهذا المال . واتخذت الدوافع الاجتماعية لارتكاب الجرائم في العصر الفاطمي أوجه عدة وهي كما يأتي :

أولاً : الاحتفالات والأعياد

تمتعت الدولة الفاطمية بثراء عريض وواسع ، لم تعرفه الدول الإسلامية المعاصرة لها ، فأثَّر هذا الثراء في البذخ والإسراف في مظاهر الاحتفالات في الأعياد والمواسم ، فقد أطلق الفاطميون العنان للبذخ في المناسبات الدينية، أو المذهبية، أو العامة، فقاموا بالإكثار من الاحتفالات التي تنثر فيها الأموال على العامة ، وتقام فيها الموائد الضخمة ، وكان يشارك في أغلب الاحتفالات الخليفة وكبار رجال الدولة ؛ وفقاً لتقاليد ثابتة ، أخذت طابعها منذ وصول الفاطميين إلى مصر ، والتي رسخت مع مرور الوقت في المجتمع المصري، وأصبحت الأساس لأغلب الاحتفالات التي قامت في الدول التي خلفت الفاطميين في حكم مصر ، ومازالت آثار بعض هذه الأعياد قائمة حتى الآن ، لتكون شاهدة على عظمة الدولة الفاطمية ومدى تأثيرها في المجتمع المصري[1].

لقد شارك الفاطميون رعاياهم في مناسباتهم الدينية والوطنية والأسرية ؛ لأنها تُعد فرصة لهم للتعبير عن جوهر دولتهم وانتماءاتهم الدينية ، فضلا عن ذلك التزاماتهم الوطنية ، علاوةً على ذلك التقرب من الرعية والمشاركة في أفراحهم وأحزانهم[2].

فشارك الخلفاء الفاطميون المجتمع في المناسبات الدينية ؛ فكان رأس السنة الهجرية من أفضل الاحتفالات في العصر الفاطمي ، إذ يبدأ الاستعداد لها في العشرة الأخيرة من شهر ذي الحجة ، فتخرج الأسلحة والنفائس والخيول المشتركة في الموكب العظيم الذي يخرج صباح يوم الاحتفال ، كما يستعان بالأسلحة والألوية التي كان يحملها الجند في الحفل ، فضلاً عن الطبول والسروج التي تعلو الخيول المخصصة لاستعراض كبار رجال الدولة بحسب مكانتهم ، ويستمر الاستعداد لهذه

---

(١) سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١١٩ ــ ١٢٠ ؛ علاوي ، عمار مرضي ــ و داود ، منى علي ، جوانب من الحياة الاجتماعية في مصر الفاطمية . في ضوء كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين لابن الطوير، مجلة مداد الآداب ، العدد السابع عشر ، د.ت ، ص ٤٥١.

(٢) البهادلي ، خلود عبد غركان ، التسامح في ظل الحكم الفاطمي في مصر (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ٢٠١٦م ، ص ٤٤.

المناسبة لغاية يوم التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة ، واما الخليفة فانه يظهر في هذه المناسبة وهو يرتدي الملابس البيضاء ، وعليه عمامة كبيرة ، تعلوها جوهرة عظيمة تسمى اليتيمة ، فيحيط به نحو الف رجل من صبيان الركاب ويمر موكب الخليفة بالطريق الواصل إلى الجامع العتيق ، وعندما يصل يقوم الخطيب بإعطائه نسخه من القرآن الكريم فيقبلها عدَّة مرات ثم يرجعه إليه ، فيأمر بإعطاء الخطيب مبلغ ثلاثين دينار يقسمها مع المؤذنين في الجامع ، وعندما يكمل الخليفة صلاته يذهب إلى قصره(١)، وكان الخلفاء الفاطميون يعدون لمناسبة رأس السنة الهجرية عند الاحتفال بها صناديق الإنفاق ، والتي كانت تحوي على الدنانير والدراهم المضروبة في السنة الجديدة والتي تسمى الخراريب ليتم توزيعها على رجال الدولة والموظفين والعامة ابتهاجاً بحلول رأس السنة الهجرية(٢)، كما يشهد الاحتفال توزيع الأطعمة من لحوم الخراف، وأنواع الألبان والحلوى، وتحصل العامة الساكنين في مدينة القاهرة والفسطاط على الحصة الاكبر منها(٣).

وأما الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، فإنَّ الخليفة يأمر بتوزيع الصدقات ، والأطعمة والحلوى، ويتم توزيعها على طبقات عدَّة في المجتمع مثل قاضي القضاة والخطباء وقراء الحضرة وغيرهم(٤).

كما كان يقام في الدولة الفاطمية الاحتفال بليالي الوقود وهي ليالي ((توسعة وبر ونفقات)) ، ويبدأ الاحتفال بها في أول رجب ونصفه ، وأول من شهر شعبان ونصفه(٥)، وفي سنة (٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م) ، احتفل في ليلة النصف من رجب ، وحضر القاضي محمد بن النعمان (٦) إلى الجامع الأزهر وبرفقته الشهود ووجوه البلد ، فقدمت إليه سلال الحلوى والطعام فجلس بين يديه القراء والمنشدون ، كما وقام بتوزيع الأطعمة على العامة وبخّرهم وعاد إلى بيته في منتصف الليل (٧) ، وان العامة كانوا يجتمعون في هذه الاحتفالات في الهواء الطلق لغرض (اللعب ، والمزاح) لإدخال الفرح والبهجة عليهم وعلى أسرهم(٨) ، وقد تم إلغاء الاحتفال بليالي الوقود في عهد الحاكم بأمر الله الذي اقتصر على

---

(١) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٦٢ ــ ١٦٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٨٨ ــ ٩٣ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٢٤ــ ١٢٥.

(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢/ ٢٤٦ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٢٣.

(٣) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٤٨.

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٥٠٣.

(٥) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٢٩٢.

(٦) هو محمد بن النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي القيرواني ، ولد بالمغرب في الثالث من شهر (صفر سنة ٣٤٠ هـ /٩٥١ م) ، جاء إلى مدينة القاهرة برفقة والده مع المعز لدين الله ، ناب عن اخيه علي بن النعمان في آخر امره ، اسند اليه العزيز بالله القضاء بعد وفاة اخيه في سنة (٣٧٤هـ / ٩٨٤م) . للمزيد من التفصيل ينظر. الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٩٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٤٢٢ ــ ٤٢٦.

(٧) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،٢ / ٢٩٠ ــ ٢٩١ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٢٩.

(٨) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٢٩١ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٣٠.

توزيع الصدقات على المحتاجين والفقراء والعبّاد في مقبرة القرافة[١].

أما بالنسبة لشهر رمضان فكان يشهد إنفاقاً من قبل الدولة الفاطمية على رعايها، فكان الخليفة يبعث بطبق فيه حلوى وبوسط الطبق صرة من ذهب إلى كل شخص من أرباب الرتب والخدم وأولاده ونسائه ، ولا يقتصر الأمر على هذه الطبقة بل ان هذا البذل يعم سائر أهل الدولة ، وكان هذا الإنفاق تحت عنوان رسم غرة شهر رمضان [٢]، كما كانت توزع الهبات على الحاضرين في صلاة الجمعة في شهر رمضان [٣] ، وشهد ايضاً عيد الفطر وجوه عدَّة من الخيرات ، مثل تفرقة الفطرة والكسوة وإعداد السماط [٤] الذي يُمدّ في قاعة الذهب تحت سرير الملك[٥].

وأما في عيد الأضحى فكانت العادة منذ عهد العزيز بالله ان يذهب الخليفة إلى المذبح بعد الانتهاء من صلاة العيد مرتدياً ثوباً احمراً بصحبة الوزير وقاضي القضاة الذي يقدم للخليفة حربة مسنونة بعد وصوله إلى المذبح ، وعند آذان المؤذن يقوم الخليفة بذبح الأضاحي ، ويستمر هذا الأمر على مدى ثلاثة ايام ، ثم يأمر بتوزيع اللحوم على موظفي الدولة ودعاتها كداعي اليمن وطلبة العلوم والدارسين في الجامع الأزهر ، كما وتوزع اللحوم على العامة[٦].

ولم تخلوا الاحتفالات التي كانت تقام في عيد الأضحى من حدوث بعض الجرائم ، ففي سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) حدثت جريمة نهب بعدما مدَّ سماط عيد الأضحى بحضرة الظاهر لإعزاز دين الله ، وقد ضم هذا السماط عدد من الأمراء وكبار رجال الدولة ، وقد ذكر (المقريزي) هذه الحادثة بقوله: ((كبس العبيد القصر وهم يصيحون : الجوع ، نحن احق بسماط مولانا عليه السلام، ونهبوا جميع ما على السماط وضرب بعضهم بعضاً والصقالبة تضربهم فلا يبالون . فكان امراً صعباً وحَسبُ الحاضرين أن نَجَوا سالمين))[٧].

كما واحتفل الفاطميون بعيد الغدير وهو من الأعياد التي أدخلها الفاطميون معهم في مصر بعد قدومهم من المغرب سنة (٣٦٢هـ / ٩٧٢م) ، فكان يتم فيه توزيع الصدقات ونحر الذبائح لتوزيع اللحوم على العامة[٨] فأقيم الاحتفال بهذا العيد منذ دخول المعز لدين الله إلى مصر، وكان يحتفل به في المغرب على نحو ضيق ، وأما في مصر احتفل به العامة فنال استحسان وابتهاج المعز لدين الله[٩] ،

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠٢ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٣٠.
(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٥١.
(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ١٠٤ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٣٨.
(٤) السماط : هو ما يُمد عليه الطعام . ينظر . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٢ / ٣٦٦.
(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٥٢٧ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٥٥.
(٦) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٨٤ ــ ١٨٥ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ٢٧٦/١ ، البهادلي ، التسامح، ص٦١.
(٧) اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٦٧ .
(٨) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢/ ٣٥٥ ؛ علاوي ، ــ و داود ؛ جوانب من الحياة الاجتماعية ، ص ٤٥٨.
(٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٤٢ ؛ الاميني ، محمد هادي ، عيد الغدير في عهد الفاطميين ، (بنكوتن ، طهران ، ١٩٩٧م) ، ص ٧٠ ــ ٧١ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٥٧.

وأصبح الاحتفال به على نطاق واسع في زمن العزيز بالله ، فقد اجتمع عدد من المتشيعين في الجامع الأزهر ومعهم القراء والفقهاء والمنشدين ، فأقاموا احتفالاً كبيراً تضمن قراءة القرآن والوعظ والإنشاد واستمر هذا الاحتفال حتى الظهر ، وعندما ذهبت الجموع إلى القصر اخرج لهم العزيز بالله الهبات[١].

وأحيى الفاطميون يوم عاشوراء وهو يوم استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وجمع من أصحابه وأهل بيته في واقعة الطف الأليمة سنة (٦١ هـــ / ٦٨٠م) على يد السلطة الأموية ، وكان أول إحياء لهذه المناسبة في مصر خلال العصر الفاطمي سنة (٣٦٣هـ / ٩٧٣م) ، وكان اتباع الدولة الفاطمية يُحيونَ المناسبة بالنياحة والبكاء على الامام الحسين (عليه السلام) ، ويقومون بسب كل من يفتح دكانه ويمارس العمل من العامة[٢].

وكانت تحدث في إحياء يوم عاشوراء بعض المشاكل والحوادث التي كان لها أثر كبير في حدوث بعض الجرائم ، وكذلك كانت تتحول إلى صدامات مروعة ؛ لأنَّ المصريين قد تحفزوا لرد عدوان الجند المغاربة الذين قاموا بتكسير ((أواني السقائين في الأسواق ، وشققوا الروايا ، وسبو من ينفق في هذا اليوم)) ، فثارت اليهم جماعة ، وكان لتدخل القائد الحسن بن عمار دور حاسم في إخماد الصراع بين للطرفين قبل وقوع الفتنة[٣].

كما حصل في سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) بعض المشاكل عند إحياء يوم عاشوراء ، فقد تجمع في مشهد السيدة نفيسة [٤]، الرعاع والعامة وقاموا بسب الصحابة ، وتهديم بعض القبور ، فسير الأفضل إليهم وصدهم عن هذا العمل ، وقام والي القاهرة ذخيرة الملك ابن علوان بتأديب وضرب جماعة منهم[٥].

ومن الأعياد والاحتفالات الشيعية التي أقامها الفاطميون في عهد الحافظ لدين الله، عيد النصر والذي كان يحيى فيه ذكرى خلاص الحافظ لدين الله من السجن الذي اعتقل على يد الوزير أبي علي

---

(١) سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٥٩.

(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٢١٢ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٥٢.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٤) السيدة نفيسة : هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ، ولدت في مكة ونشات في المدينة ، وصلت إلى مصر مع زوجها إسحاق المؤتمن بن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) سنة (١٩٣هـ / ٨٠٨م) ، وأقامت بها إلى حين وفاتها في سنة (٢٠٨هـ / ٨٢٣م) ، ودفنت في بيتها وهو المكان الذي به قبرها الآن المعروف بمشهد السيدة نفيسة والذي يقع في مدينة القاهرة بمنطقة تعرف تاريخياً بدرب السباع بين منطقة القطائع والعسكر والتي كانت تعرف بكوم الجارح. للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢ / ٢٣٢؛ ابراهيم ، محمد زكي ، مراقد اهل البيت في القاهرة ، راجعه وعلق عليه : محي الدين حسين يوسف الاسنوي ،(ط٦ ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م) ، ص ٨٩ ـ ٩٦.

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٠ ـ ٢١ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٥٦.

أحمد بن الأفضل (٥٢٤ ــ ٥٢٦هـ/ ١١٢٩ ــ ١١٣١م) [١][٢]، ومن مظاهر هذا الاحتفال إنَّ الحافظ لدين الله كان يحتفل به في مجلس الغناء والطرب ، وتفد عليه الجواري لتقديم التهنئة له ، وقد غنت إحدى الجواري في هذه المناسبة للحافظ لدين الله ، وهي تضرب بعود بأبيات من شعر أبي العتاهية :

أتتـــه الخلافـــة منقـــادة ــــــ إليـــــه تجـــــرر أذيالهـــــا

فلـــم تـــك تصـــلح إلا لـــه ــــــ ولـــم يـــك يصـــلح إلا لهـــا

ولـــو رامهـــا أحـــد غيـــره ــــــ لزلزلـت الأرض زلزالهـا[٣].

كما أقام النصارى في مصر عيد الصليب ، والذي يعتقدون فيه ان مثل هذا اليوم من سنة (٣٢٨م) وجدت الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين[٤] الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح (عليه السلام) ، فقامت الملكة بإنشاء غلافٍ للصليب من ذهب ، وأصدرت أمراً ببناء كنيسة القيامة في بيت المقدس ، ووضعت فيها الصليب، وكان المصريون الأقباط يخرجون عن الحد في الاحتفال بهذا العيد من خلال الإقدام على شرب الخمر وارتكاب الفسوق والمحرمات ، وهذه كلها من الجرائم التي يحاسب عليها الشرع ، مما أدى بالعزيز بالله أن يصدر الأوامر بمنع النصارى من الاحتفال بالعيد وتحريم الخروج، إذ كانوا يعلنون مباذلهم، كما أمر صاحب الشرطة بمراقبة الطرق التي تؤدي إلى ضواحي مدينة الفسطاط ، وكان ذلك في شهر (رجب سنة ٣٨١هـ/٩٩١م)[٥].

وفي (١٤ رجب سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م) ، سمح للنصارى من إحياء هذا العيد ، لكون ما عرف عن العزيز بالله سياسة التسامح التي أبداها تجاه أهل الذمة ، وأشار (المقريزي) إلى ذلك بقوله : ((فجرى الناس في الاجتماع فيه للهو على ما كانوا عليه))[٦].

---

(١) هو ابو علي احمد بن الأفضل بن بدر الجمالي ، الملقب بشمس المعالي كتيفات ، كان من اصغر أولاد الأفضل ، تولى الوزارة في عهد الحافظ لدين الله انتهت حياته بالقتل . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المقفى الكبير ، ١ / ٣٩٤ ــ ٣٩٨ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٧٧.

(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٤٩ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٦١ ــ ١٦٢.

(٣) القيرواني ، ابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط٤ ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، ١٩٧٢م) ، ٢ / ٣٨٣ ؛ ابن حجة الحموي ، تقي الدين ابي بكر علي (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) ، خزانة الادب وغاية الارب ، (دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت) ، ص ٢١١ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٦٤.

(٤) هو ابن قسطنش بن وليطنوش بن ارشهميوش بن دقبون بن كلوديش بن عايش بن كتبيان اعسب الأعظم والملقب قيصر ، ويُعد أول من ثبت دين النصرانية ، وقرر قطع الأوثان وهدم هياكلها وبنيان البيع ، وامن بالسيد المسيح الملوك ، ونشئ في مدينة الرها مع أمه هيلانه فتعلم العلوم ، وكان في غاية السعادة ، ومنصور على كل من عاداه. ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ١ / ٧٣٩.

(٥) اتعاظ الحنفا ، ٢٧٢/١ ؛ المواعظ والاعتبار ، ١ / ٧٣٨ و ٧٤١ ؛ الشرقي ، مها عبد الله نجم ، المراسيم الدينية للدولة الفاطمية في مصر (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧١م) ، أطروحة دكتوراه غير منشوره ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٧م ، ص ١٦٧.

(٦) اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٧٦ ؛ الشرقي ، المراسيم الدينية ، ص ١٦٧.

واصدر الحاكم بأمر الله في (سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١م) ، أمراً بعدم الاحتفال بهذا العيد ، وقرئ ذلك في سجل في الجامع العتيق (جامع عمر بن العاص) ، وفي الطرقات ، كما واحتوى السجل أيضاً على منع النصارى من التجمع لإحياء العيد والابتهاج به ، وعدم إظهار الزينة ، فضلاً عن عدم الاقتراب من الكنائس ، ((ثم بطل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البته))[١]. ويبدو أَنَّ الحاكم بأمر الله منع الاحتفال بهذا العيد ؛ لأنه حدث فيه عدد من الجرائم الأخلاقية والمجتمعية.

ومن الاحتفالات التي كانت موضع اهتمام العامة والخاصة في العصر الفاطمي ، هي الاحتفالات الأسرية (الاحتفال بسابع المولود) ، وكان يقدم في هذا الاحتفال الطعام وتقام الألعاب والغناء بحسب ثراء المحتفل وموقعه الاجتماعي ومن المتعارف عليه إحياء هذه المناسبة بإقامة الولائم[٢].

ففي سنة (٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م) ، ولد للآمر بأحكام الله ولد سماه ابا القاسم الطيب ، والذي جعله ولياً للعهد ، وفي هذه المناسبة زينت مصر والقاهرة ، ووزعت الهبات والهدايا على كبار رجال الدولة وأصحاب الوظائف والرتب ، ومُدَّت الأسمطة التي تحتوي على كميات كبيرة من الفاكهة ، وأقيمت الأغاني والموسيقى والملاهي عند قاعات القصر لكبار رجال الدولة والخاصة ، وعلى أبوابه ليراها العامة ؛ لكي يعم الفرح والسرور ، وبقيت هذه الاحتفالات والأفراح مستمرة لمُدّة أربع عشر يوماً[٣].

ثانيــاً : البذخ والترف والإسراف

يُعد الثراء والغنى الذي تمتع به خلفاء الدولة الفاطمية من أهم مظاهر انتعاش الاقتصاد في عصرهم ، فقد تضخمت ثروات هؤلاء الخلفاء إلى الحد الذي جعل من مؤرخي تلك المُدَّة يصفونهم من اغنى خلفاء وحكام العالم الإسلامي على الإطلاق[٤] ، وقد بينَ (ابن كثير) ذلك بقوله : ((وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً))[٥].

كانت الثروة في مصر خلال العصر الفاطمي، تجتمع بين أيدي الحكام من الخلفاء وأقاربهم والولاة، ومساعديهم من الوزراء وسائر رجال الدولة ، في حين كان الشعب المصري يتعرض إلى ضائقات وأزمات اقتصادية ومالية واجتماعية ، كانت تمر على البلاد من وقت إلى آخر ، وهذا يعود

---

(١) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ١ / ٧٤١.
(٢) الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، مطالع البدور في منازل السرور ، (مطبعة إدارة الوطن ، القاهرة ، ١٨٨٢م) ، ٢ / ٤٤ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٩٩.
(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٢٨.
(٤) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية، ص ٢٤٣.
(٥) البداية والنهاية ، ١٦ / ٤٥٦.

إلى فساد الإدارة وسوء توزيع الثروة وعدم دفع الخطر قبل وقوعه[١].

عرف عن الظاهر لإعزاز دين الله شغفه وحبه للغناء ، وشراء المماليك والعبيد ، كما اتخذ خزانة للبنود كان يعمل بها ثلاثة آلاف صانع ، فاستكثر من شراء المجوهرات ، حتى عُدَّ البذخ والترف والإسراف الميزة البارزة في عهده [٢]. على الرغم من تعرض البلاد للأزمات الاقتصادية بين سنتي (٤١٤ ـ ٤١٥ هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٢٤م).

وكان يأتي من بعد الخليفة أهله الذين يعدون من أرفع الناس وأعظمهم شأناً ، فقد كانت توزع لهم الرواتب من بيت المال والرسوم والهدايا والمواد الغذائية ، فضلاً عن الإقطاعات التي يقطعونها من دون ان تكون لهم أي مسؤولية في تحمل أوزار الحكم وأعبائهِ ، ومن جراء ذلك أصبح بعضهم من أهل الترف والبذخ والإسراف من خلال الأموال والثروة والمبالغ الكبيرة التي حصلوا عليها والتي استعملوها في حياة اللَّهو والمجون وشرب الخمر ومعاشرة النساء وشراء الجواري والمغنيات بمبالغ كبيرة وباهظة، فضلاً عن ذلك شراء هدايا تكريمية كبيرة [٣].

وليس أدل على ذلك ما حدث للأمير تميم بن المعز لدين الله ، فقد اشتريت له جارية من بغداد بمبلغ جزيل ، وبعدما طرب الامير واصحابه على غنائها ، طلبت منه ارسالها الى بغداد لتغني فوافق على ذلك مضطراً برفقة رجلين ، فتمكنت من الهروب منهما ولما علم تميم بالأمر ندم عليها كثيراً[٤].

كان الخلفاء الفاطميون يغدقون على وزرائهم الهبات السخية والإقطاعات التي كانت تدر عليهم مبالغ كبيرة فأصبحوا يمتلكون ثروات ضخمة من جراء ذلك ؛ فعاشوا حياة اتسمت بالترف والثراء والإسراف والبذخ والأبهَّة ، ومن أشهرهم كان الوزير يعقوب بن كلس الذي خلف وراءه ثروة هائلة من الأملاك والقياسر والضياع والرباع والأموال ، فضلاً عن الخزائن الموجودة في قصره التي فاضت عن آخرها بالتحف النادرة والطرائف والطيب والجوهر[٥] ، كما احتوت خزائن كتبه على العديد من الكتب النادرة والمصاحف الشريفة التي لا تقدر باي ثمن [٦] ، كما وجد له من العبيد والمماليك والغلمان أربعة آلاف غلام ، وثمانمائة حظية غير جواري الخدمة [٧]، وعلى الرغم من هذه الثروة الطائلة التي امتلكها ابن كلس ، فقد أشار (ابن الصيرفي) إلى أَنَّهُ توفي وعليه للتجار دين بمبلغ ست عشرة ألف دينار تحملها عنه العزيز بالله من بيت المال [٨] .

---

(١) أيوب، ابراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، (الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٧م)، ص ١٠٦.
(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٩٦ .
(٣) أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٢٠.
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥ / ٣٩٢ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١ .
(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ٣٠ ؛ الحدراوي ، اثر الازمات الاقتصادية ، ص ١٥٢.
(٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ٢٩ ؛ عماد الدين القرشي ، عيون الاخبار ، ٦ / ٢٣٢ ــ ٢٣٣.
(٧) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٢٦ ؛ ايوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ١١٤.
(٨) الإشارة ، ص ٥٢ .

ومما يذكر على مقدار ترف هذا الوزير أَنَّهُ في سنة (٣٦٩ هـ / ٩٧٩م) ولد لابن كلس مولود ذكر فبعث اليه العزيز بالله بهدية ضمت مهدان من خشب الصندل المرصع ، وثلاثمائة ثوب ، وعشرة آلاف دينار ، وخمسة عشر فرساً مسرجة ملجمة ، بضمنها لجمان من الذهب الخالص ، وعدد كبير من الطيب ، وبلغ قيمة هذه الهدية المرسلة من قبل العزيز بالله مائة ألف دينار[(١)].

وكان من شدة البذخ والإسراف الذي عرف عن الوزير ابن كلس أَنَّهُ أنفق على إعداد جهاز ابنته مبلغ مائتي ألف ألف دينار ، فأدى هذا الثراء الذي امتلكهُ إلى تولد الحقد والحسد لدى البعض وأخذ بعضهم يحاول في الإيقاع بينه وبين العزيز بالله ، وفي اليوم نفسهِ سبق طائر ابن كلس طائر العزيز بالله ، فاستغل أعداء ابن كلس ذلك وقالوا للعزيز بالله :((انه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ولم يبق منه إلا أدناه حتى الحمام))، فهذا الاتهام يمثل جريمة خطيرة باستغلال سلطته ونفوذه من اجل الإثراء الفاحش واستغلال موارد الدولة لمصالحه الشخصية ، فكانوا يهدفون من جراء ذلك التآمر عليه وإيغال صدر العزيز بالله عليه ، وعندما أحس ابن كلس بهذه الوشاية كتب إلى العزيز بالله:

قل لأمير المؤمنين الذي　　　له الكلا والنسب الثاقب
طائرك السابق لكنه　　　جاء في خدمته الحاجب

فسر العزيز بالله بهذه الأبيات، وتيقن ما يفعله بعضهم بهدف الإيقاع بينه وبين وزيره[(٢)].

كما تمتع وزير الحاكم بأمر الله الحسن بن عمار بالسيطرة على أمور الدولة من دون الحاكم بأمر الله مستغلاً بذلك صغر سنه وقلة خبرته ، فتمكن من إحكام السيطرة على الأموال، وبسط يده في الإطلاق والعطاء والصلات والأموال ، وقد جمع ابن عمار لنفسه ثروة طائلة تم نهبها عندما حدثت الاضطرابات بين المغاربة والأتراك[(٣)].

وترك الوزير أبو الفتوح برجوان الذي تولى الوساطة للحاكم بأمر الله بعد مقتله في سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) ثروة طائلة ، أشار إليها عدد من المؤرخين ومنها ((مئة منديل شروب ملونة معممة كلها على مائة شاشية[(٤)] ، وألف سراويل دبيقية بإلف تكة حرير ، ومن الثياب الصحاح الرفيعة الطائلة والصياغات وآنية الذهب والفضة مالا يحصى كثرةً ، ومن الخيل الجياد مئة وخمسون فرساً، ومن بغال المثقل ثلاث مئة بغل، ومن السروج الثقيلة الحلي مئة وخمسون سرجاً، ومن الكتب

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٥٢.
(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ٣١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٨ / ٨٩ ــ ٩٠ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية، ص ٢٥٣.
(٣) ابن ميسر، المنتقى، ص١٨١ ؛ النويري، نهاية الإرب، ١٠٦/٢٨؛ شادي، الفساد في الدولة الفاطمية،ص٢٥٤.
(٤) الشاشية : هي ما يُلبس على الرأس من دون عمامة . ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٠.

المصورة وغيرها ، وكتب الأغاني شيئاً كثيراً))[١] وهذا دليلٌ على مقدار ثروة برجوان الطائلة التي استمرت الدولة بنقلها في كل يوم وجبتان من حارة برجوان [٢] إلى قصر الزمرد [٣] على مدى أربعين أربعين يوماً على مائتي جمل [٤]، وقد دفعته الثروة التي امتلكها إلى الميل نحو الرفاهية واللَّهو وحب الغناء إذ اخذ يجمع المغنيين والمغنيات حوله[٥].

وأدى الثراء الذي تميز به بعض الوزراء إلى أنهم أصبحوا قادرين على إقراض الخليفة لكي يتمكن من الإنفاق على الجند في أثناء الأزمات الاقتصادية ، فعند وفاة الظاهر لإعزاز دين الله سنة (٤٢٧ هـ/١٠٣٥م) كانت خزينة الدولة في حالة إنهيار؛ نتيجةً لإسراف الخليفة المستمر ، فأصبح ولده المستنصر بالله عاجزاً عن الوفاء بتسديد أرزاق الجند ، وهذا ولد اندفاع لدى الوزير أبي القاسم علي بن احمد الجرجرائي (٤١٨ ــ ٤٣٦ هـ / ١٠٢٧ ــ ١٠٤٤م) [٦] الذي قام بجلب الأموال من قصره لتوزيعها على الجند ؛ لكي يتقي شرهم ، وهذا في حد ذاته دليل على إمتلاك الوزير ثروة ضخمة إذ تمكن من إنفاقها على الجند [٧].

وبعد وفاة الوزير الجرجرائي في سنة (٤٣٦ هــ / ١٠٤٤م) وجد عنده سبعمائة صينية من ذهب وفضة ، ومائة ألف مثقال من العنبر ، وغير ذلك من الأموال[٨]، وعلى الرغم من هذا الثراء الفاحش فإنَّ الخزانة كانت فارغة والجند لا يستلمون رواتبهم، فلذا كانت هناك فوضى وفساد كانت بدايته سياسياً، والذي تمثل في عدم قدرة الخليفة على إيجاد التوازن بين الإسراف والبذخ، فتحول إلى فساد اجتماعي ألحق ضرراً كبيراً بالرعية من العامة[٩].

وتميز وزير المستنصر بالله أبو محمد الحسن اليازوري (٤٤٢ ــ ٤٤٩ هـ / ١٠٥٠ ــ ١٠٧٥م)[١٠] بشدة الرخاء ، والثراء الواسع ، ((وكان قد جمع له ما لم يجمع لغيره من تقلد الوزارة

---

(١) الرشيد بن الزبير، رشيد الدين ابو الحسين احمد بن علي بن ابراهيم الاسواني (ت ٥٦٣هـ / ١١٦٧م) ، الذخائر والتحف ، تحقيق : د. محمد حميد الله ، قدم له وراجعه : د . صلاح الدين المنجد ، (مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٥٩م) ، ص ٢٣٢ ؛ ابن آيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٦٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ،٢ /٣٠.

(٢) حارة برجوان : هي الحارة المنسوبة إلى الأستاذ الأمير أبي الفتوح برجوان الخادم ، الذي كان خصياً تام الخلقة ولاه العزيز بالله امر القصور . للمزيد من التفصيل ينظر . المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٧٣ ــ ٣٧٥.

(٣) قصر الزمرد : هو من جملة القصر الكبير ، كما وعرف بقصر قوصون وقصر الحجازية ، اما تسميته بالزمرد لكونه بجوار باب الزمرد . للمزيد من التفصيل ينظر . المصدر نفسه ، ٢ / ١٥٥.

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ١٩٨.

(٥) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٤.

(٦) هو الوزير الأجل الأوحد صفي أمير المؤمنين وخالصته أبو القاسم علي بن احمد الجرجرائي ، كان أصله عراقي ، لقب بالجرجرائي نسبةً إلى قرية جرجرايا في سواد العراق ، تولى منصب الوزارة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله والمستنصر بالله . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٦٨ ــ ٦٩ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٨٤ ــ ١٨٥.

(٨) المصدر نفسه ، ٢ / ١٩٠.

(٩) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٤.

(١٠) هو ابو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري ، أصله من الفلاحين في مدينة يازور من اعمال الرملة ←

والحكم بديار مصر والشام))[١]، ومن شدة رخائه ورفاهيته أَنَّ مائدته كانت مثل موائد الملوك في الأعياد والمناسبات، ولا يباع إلى مطبخه من الطير ما هو معرق[٢] ولا مصدر ومائدته لا يقدم فيها إلا الفائق ، وكان المستنصر بالله يعجب عندما يحضر مائدة اليازوري العامرة في كل يوم ثلاثاء لما كانت تضم فيه من أصناف ، وكان يسأل صاحب مطبخه بقوله : ((ويلك يكون راتب مائدة الوزير الدجاج الفائق ومائدتي دون ذلك ...)) ، وكان يحضر على مائدته كل قاضي فقيه ، وأديب عظيم القدر فإذا نصبت المائدة كأنها الرياض في حسنها وسعة نفسه[٣].

كما كانت ملابس الوزير اليازوري من أفضل الملابس ، فقد أعجب المستنصر بالله يوماً بثوب كان يرتديه فاضطر الخليفة إلى ان يزحف عن سرير الملك فمدَ يده إلى الثوب ليتلمسه ، وهذه ليست من عادة الخلفاء إذا أنعموا على احد استحال التظاهر بإحسانهم حسداً وملاً[٤].

عاش الوزير اليازوري وأولاده حياة تميزت بالرخاء والسعة ، وقد أشار المؤرخون إلى أَنَّ ولده خطير الملك محمد عندما ذهب في إحدى الحملات العسكرية إلى بلاد الشام سنة (٤٤٨هـ /١٠٥٦م) حمل معه طيناً مزروعاً فيه سائر من أنواع البقول في أحواض خشبية لتكون برسم مائدته ، فضلاً عمّا كان يحمله من خزائن الأموال والأسلحة والآلات والأمتعة ما يفوق الوصف[٥].

وتمتع وزراء العصر الفاطمي الثاني أيضاً بالثراء والبذخ والترف ، وبالأخص عندما استقرت الأمور على يد الوزير بدر الجمالي فأخذت مظاهر الازدهار الاقتصادي تظهر من جديد في البلاد [٦]. وهذا من شأنه قد ساعدَ على زيادة نفوذهم واستفرادهم وسيطرتهم على الأموال والثروات الضخمة مما أدى إلى حدوث جرائم السيطرة على الأموال والثروات ونهبها في مقابل ذلك كانت أغلبية من الأفراد والعامة لا يمتلكون قوت يومهم.

→

بفلسطين ، والتي عين فيها قاضياً ، ولكن بعد مُدَّة تم عزله ، فرحل إلى مصر واستقر فيها ، وفي سنة (٤٣٩ هـ / ١٠٤٧م) عين للعمل في ديوان والدة المستنصر بالله ، ومن خلال عمله هذا اصبح له نفوذ كبير في الدولة ، كما وعين في منصب قاضي القضاة مضافاً اليه منصب الدعوة للمذهب الإسماعيلي في سنة (٤٤١هـ / ١٠٤٩م) ، تقلد منصب الوزارة في عهد المستنصر بالله ، عزلَ من منصبه ، والقي القبض عليه بسبب المؤامرات التي حيكت ضده ، قُتل في سنة (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) . للمزيد من التفصيل ينظر. ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٧٣ ــ ٨٠ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٤ ــ ٨٥ ؛ ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٣٦٠ ــ ٣٦١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١٤٥ ــ ١٤٦ ، ٢٥٧ ؛ مرهج ، ريم هادي ، دور الوزير الفاطمي اليازوري وسياسته الداخلية والخارجية لمصر ، مجلة التراث العلمي العربي ، العدد الرابع ، السنة ٢٠١٧م ، ص ٣ ــ ٥.

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٦.

(٢) وقد بلغ سعر المعرق من الطيور كل ستة بدينار والمصدر اربعة بدينار والمسمن ثلاثة بدينار والفائق اثنان بدينار . ينظر. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٣٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٣٩ ــ ٢٤٠ ، ٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٣٩.

(٥) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٣٣ ــ ٢٣٤.

(٦) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥.

ومن مظاهر البذخ والترف التي عاشها بدر الجمالي وحاشيته في تلك المُدَّة أَنَّهُ اشترى أحد كُتّابه سمكة من عنبر بألف دينار حرقها في جلسة واحدة [١] ، كما وأعطى مبلغ عشرة آلاف دينار من ماله إلى أحد الشعراء الذين مدحوه يدعى علقمة بن عبد الرزاق العلمي[٢] ، فضلاً عن ولعه في اقتناء الجواهر الثمينة ، وعندما توفي ترك من الجواهر والياقوت أربعة صناديق ، ومن القصب والذهب والفضة والمراكب ما يعجز عن ذكره ، وخلف أيضاً ألف قصبة زمرد؛ لكونه كان مغرماً فيه ، والتي كان يجمعها من جميع أنحاء العالم آنذاك[٣].

وعرف الأفضل بن بدر الجمالي بأَنَّهُ من أصحاب الثروات والأموال الوفيرة ، حتى أَنَّ الآمر بأحكام الله استمر مُدَّة اربعين يوماً في دار الأفضل ، أو دار الوزارة في مدينة القاهرة وفي غيرها من قصور الأفضل يشرف شخصياً على تدوين ما تم نقله من الذخائر والتحف النفيسة إلى القصر بعد وفاته[٤].

فقد وجد له ((ستة آلاف ألف دينار عيناً ، وفي بيت الخاصة ثلاثة آلاف دينار ، وفي البيت البراني ثلاثة آلاف ألف ومائتان وخمسون ديناراً ، وخمسون أردباً دراهم ورق وثلاثون راحلةً من الذهب العراقي المغزول برسم الرقم ... وترك من الأبقار والجاموس والأغنام ما بلغ ضمان ألبانها ونتاجها اربعين الف دينارفي السنة ... وخلف من الكتب خمسمائة الف مجلد))[٥].

وتضخمت الثروة التي امتلكها الأفضل مما أدى إلى زيادة البذخ والإسراف وكذلك الفساد ، فقد كان له مجلس شراب به ثمانية تماثيل جوامد متقابلات ، أربعة منهن بيض من كافور ، وأربعة سود من عنبر وضع عليهن أفضل الثياب ، وتم تزينهن بأغلى المجوهرات ، وعندما يدخل من باب مجلس الشراب تنحني تلك الصور تعظيماً له ، فإذا جلس استوين قائمات [٦]. فلذا جاء البذخ والترف والإسراف من العوامل التي أسهمت في إرتكاب الجرائم ، وزيادة انتشارها في العصر الفاطمي.

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر، ص ٩٥ ؛ الحدراوي ، اثر الازمات الاقتصادية ، ص ١٥٦.
(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٤٠١ ـ ٤٠٢.
(٣) اتعاظ الحنفا ، ١ / ٣٣٠.
(٤) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٧٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٦٩.
(٥) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٨١.
(٦) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٨٢ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٦.

الفصل الثاني

أنواع الجرائم فـــــي العصر الفاطمي

المبحث الأول: الجرائم التي تهدد سلطة الدولة والحكم

أولاً : التمرد والعصيان على سلطة الدولة

ثانياً : المؤامرات والخروج على طاعة الدولة

ثالثاً : التهديدات والأخطار الخارجية

رابعاً : التجسس وإفشاء أسرار الدولة

المبحث الثاني : الجرائم ضد الأفراد

أولاً : القتل

ثانياً : السب والشتم

المبحث الثالث:الجرائم ضد الأموال والممتلكات العامة والخاصة

أولاً : السرقة والنهب وقطع الطريق

ثانياً : خيانة الأمانة واختلاس الأموال

المبحث الرابع : الجرائم ضد الأخلاق والآداب العامة

أولاً: الزنا والبغاء وغواية النساء

ثانياً : جرائم السكر وشرب الخمر واللّهو وسّماع المُغنى

ثالثاً : الكفر والردة عـــن الإسلام

أنواع الجرائم فــي العصر الفاطمي

تعرضت الدولة الفاطمية إلى العديد من أشكال الجرائم ، والتي كانت تُرتكب من قبل الأفراد ، أو الجماعات ، أو التآمر الداخلي والخارجي ، والتي كانت تشكل خطراً كبيراً على بقاء الدولة واستمرارها آنذاك . فلذا حاولت الدولة أن تحمي نفسها من خلال محاربة كل أشكال الجرائم التي حصلت ومكافحتها ودحرها والرد عليها بطريقة مناسبة سواءً كان الرد يتم بطريقة سياسية ، أم عسكرية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو غير ذلك.

المبحث الأول : الجرائم التي تهدد سلطة الدولة والحكم

كانت الدولة وسيلة لتنظيم السلوك البشري الذي يأخذ نسقاً معيناً بما تفرضه من قواعد يمكن من خلالها تنظيم حياة الأفراد وضمان استتباب واستقرار الامن والطمأنينة وسيادة القانون ، فإنَّ أحكام القانون الوضعي والشريعة الإسلامية نظمت سلطة الدولة على الأفراد وولائهم لسلطانها وارتباطهم بها ، فإنَّ الدولة تبقى دائماً تعبر عن ثبات الأمة واستقرارها ، إنَّ الهدف الأساس لأي نظام قانوني ، او شرعي تتبناه القوانين الوضعية او أحكام الشريعة الإسلامية انما يهدف في الأساس إلى حماية المصالح الأساسية في المجتمع ضد أي عدوان يحصل في الداخل أو الخارج ، فالجرائم التي كانت ترتكب ضد كيان الدولة في الخارج يطلق عليها الجرائم الواقعة على أمنها الخارجي ، في حين أَنَّ الجرائم التي كانت ترتكب ضد كيانها الداخلي يطلق عليها الجرائم التي تصيب أمنها الداخلي(١).

لذا حفل العصر الفاطمي بالعديد من الجرائم التي كان لها دور كبير في تهديد سلطة الدولة وزعزعتها وأمنها ، وبالآتي فقدها السيطرة على زمام الأمور في البلاد ، ومن الجرائم التي كانت تهدد سلطة الدولة وأمنها في العصر الفاطمي هي :

أولاً : التمرد والعصيان علـى سلطة الدولة

عرف عن الفاطميين أَنَّهم كانوا يعيشون حياة فطرية ومتواضعة بسيطة عندما حكموا بلاد المغرب في القيروان، إلا أَنَّ عندما انغمسوا في الترف وسكنوا القصور الضخمة في مدينة القاهرة وتمتعوا بكافة أنواع الملذات في الحياة وأناطوا إلى وزرائهم وخدمهم أمور الرعية وشؤون دولتهم فاستأثر أولئك في مناصب الخلفاء وبمقدرات الدولة شيئا فشيئاً ، في حين ان رؤسائهم كانوا منزوين في قصورهم بعيدين

(١) عطية ، ــ وعبد الحسين ، الجرائم ، ص ١٦ ؛ عرشوش ، سفيان ، الجرائم الماسة بأمن الدولة الداخلي دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة محمد خيضر ــ بسكرة ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر، ٢٠١٦م ، ص١.

عن شؤون الحكم والدولـة فصـاروا العوبـة بأيديهم ، وينطبق هذا الحـال علـى حكـام بنـي العبـاس الـذين أصبحوا ألعوبة في أيدي مواليهم أيضاً من الترك والبويهيين والسلاجقة[١].

فكان من حوادث العصيان على سلطة الدولة الفاطمية تلك التي حدثت في مدينة الإسكندرية من قيام أبي الحسين علي بن بدر الجمالي الملقب بمظفر الدولة ، شرف الملك ، ناصر الدين ، عمدة المؤمنين ، ذي الرياسات [٢] والذي عرف بالأوحد [٣] من إعلان العصيان على والده بدر في سنة (٤٧٧هـ / ١٠٨٤م) وقد شاركه احد الأفراد و يسمى جمال الدولة الذي كان له دور في دفع الأوحد نحو هذا العصيان[٤].

وعلى إثر ذلك بعث إليه بدر الجمالي أبا الفرج المغربي ليردعه عما يجول في ذهنه ، إلا أَنَّ الأوحد لم يستجيب فسار إليه الأفضل أخوه الأصغر فخاطبه ولاطفه ؛ لكنه لم ينجح أيضاً في الرجوع عن هذا ، فعندئذٍ ذهب إليه بدر شخصياً على رأس جيش كبير ، فوصل إلى مدينة الإسكندرية التي فرض عليها حصاراً، ثم اندلع القتال الذي استمر بين الطرفين لمُدَّة شهرين ، ثم توصلا إلى الصلح ، فخرج الأوحد من مدينة الإسكندرية إلى والده ، فدخل بدر إلى المدينة وجلب شهودها ومقدميها فوجه لهم التوبيخ قائلاً لهم :((انتم ساعدتم ولدي على المخالفة ، وحسنتم له ذلك ، وقتلتم رجال الخليفة وجنوده ، وخسرتموه الأموال ، فعاقبهم بقتل أربعة أمراء، وفرض على جميع أهل الإسكندرية مسلمين وقبط مائة وعشرين ألف دينار حملت إليه))[٥].

كما وأمر بدر الجمالي بتجديد بناء جامع العطارين[٦] تعبيراً عن الشكر لله الذي من عليه بتحقيق النصر من ((أموال أخذها من أهل البلد ، ... وأقيمت فيه الجمعة واستمرت إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي ، فأمر ببناء جامع ، ونقل الخطبة من جامع العطارين إليه))[٧].

---

(١) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ص ١٧٩.
(٢) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥٩) ، ص ١٩٥.
(٣) ابن ميسر ، المنتقى، ص٤٦ ؛ النويري، نهاية الإرب، ١٥٢/٢٨ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١١٧/٥.
(٤) ساويرس ابن المقفع ، تاريخ بطاركة ، ٢ / ٣ : ٢١٧.
(٥) المصدر نفسه ، ٢ / ٣ : ٢١٧ ـ ٢١٨ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٣٩٩.
(٦) جامع العطارين : هو من أقدم الجوامع في مدينة الإسكندرية ، وكان يقوم في موضعه مسجد قديم اقيم في فجر الإسلام على أساس كنيسة القديس اثناسيوس ، وعند وصول بدر الجمالي إلى مدينة الإسكندرية في سنة (٤٧٧ هـ / ١٠٨٤م) في طلب ابنه العاصي أمر بتجديده وترميمه ، كما وعرف هذا الجامع بجامع الجيوشي نسبة إلى أمير الجيوش بدر الجمالي ، وبجامع العطارين لكونه يقع في سوق العطارين . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن ميسر ، المنتقى، ص٤٦:هـ(١٨٩) ؛ عبد الوهاب ، حسن حسني ، تاريخ المساجد الأثرية، (دار الكتب المصرية للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م)، ١/ ٦٧ ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب العربي الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر (العصر الإسلامي) دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، (مطبعة م.ك ، الإسكندرية ، ١٩٦٦م) ، ص٦١ ـ ٦٢.
(٧) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٥٢ ـ ١٥٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٢١.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى التمرد والعصيان على سلطة الدولة الفاطمية بحسب ما أشار إليه المؤرخون هو الانشقاق الداخلي الذي حصل بين أنصار المذهب الإسماعيلي ، فقد حاربت النزارية المستعليه [١] و حاربت الطيبية الحافظية [٢] مرةً بالسيف ومرةً أخرى باللسان ، وترك العداء الشديد الذي حصل بين هذه الفرق الأثر الخطير في حياة الدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية وبدلاً من أن تعتمد عليهم الدعوة في تقوية نفسها ، اخذوا بالتفرقة والانقسام على أنفسهم ، فلذا انشغلت الدولة في القضاء على المؤامرات والمشاكل التي أثارها أنصار الفرق المذكورة ، فلم تلتفت إلى تعزيز نفوذها في بلاد الشام واليمن فخرجت عن طاعة الدولة الفاطمية بلاد الشام كما ذهبت بلاد اليمن في الطريق نفسهِ خصوصاً وان ملكة اليمن الحرة الصليحية (٤٩٢ ــ ٥٣٢ هـ /١٠٩٥ ــ ١١٣٨م)[٣]عدَّت الحافظ لدين الله غاصباً للخلافة ، وإنَّ الخليفة الشرعي هو الطيب بن الآمر بأحكام الله ، فقد تلقت كتاباً من الآمر بأحكام الله يبشرها بمولد ولده وولي عهده الطيب وعلى وقع هذا الصراع انصرف عدد كثير من العامة عن المذهب الإسماعيلي الذي ضعفت ثقتهم به وسار على ذلك كثير من رجال الدولة[٤].

وكان ضعف الخلفاء في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي وعدم قدرتهم على تصريف شؤون الدولة دور كبير في حدوث التمرد والعصيان على سلطة الدولة ، فكان هذا سبباً في تدخل وزراء السيف او التفويض واستئثارهم بالمناصب ، فقد تمكن الوزراء العظام من السيطرة على مقاليد الأمور وقاموا بتسيير شؤون الحكم والدولة بحسب رغبتهم من دون تدخل الخلفاء وقد أشار المؤرخ (ابن الأثير) إلى حالة الدولة الفاطمية في تلك المُدَّة بقوله : ((وكانت

---

(١) النزارية والمستعلية : النزارية هي الفرقة او الجماعة التي تعتقد بأحقية نزار الابن الأكبر للخليفة المستنصر بالله بالخلافة بعد وفاة والده إلا أَنَّ الأفضل بن بدر الجمالي قام بإزاحته فولى أخيه الأصغر أبو القاسم احمد ولقبه المستعلي بالله سنة (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) ، مستغلاً بذلك صغر سنه للسيطرة عليه فضلاً عن صلة القربى التي تجمع بينهما فهو ابن اخت الأفضل فهرب نزار إلى مدينة الإسكندرية وتسمى بالمصطفى لدين الله فسانده أهلها وتمت مبايعته بمساعدة ناصر الدولة افتكين ، لكن الأفضل تمكن من إلقاء القبض على نزار وأتباعه فحبس في القصر وبنى عليه حائط ، كما قتل افتكين وعدد كبير من أصحابه ، وذكر المؤرخين السبب في إزاحة نزار لكونه كان رجلاً كبيرا وله حاشية كثيرة فرغب في الطفل الصغير لكي يسهل السيطرة عليه فضلاً عن الخلاف الدائم الواقع بينهما . وأما المستعليه فهي الجماعة أو الفرقة التي تؤيد تولي المستعلي بالله الحكم بعد أبيه المستنصر بالله . للمزيد من التفصيل ينظر. ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٩٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢/ ٤٥٠ ؛ ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٨١ ، ٣٦٠.

(٢) الطيبية والحافظية : الطيبية : هي الجماعة أو الفرقة التي تقول بأحقية الطيب ابن الخليفة الأمر بأحكام الله بالخلافة بدلا من الحافظ لدين الله ، لان الطيب كانت ولادته بعد وفاة والده الآمر سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) ، إلا أَنَّ أصحاب الحافظ لدين الله (الحافظية) يرون أن الخليفة الآمر بأحكام الله خلف بنتا وليس ولداً والحافظ لدين الله يكون أحق بالخلافة. للمزيد من التفصيل ينظر. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٢/٨ ؛ ابن ميسر، المنتقى ، ص ١٠٩ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٢٨/٣ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣١/٥ ؛ المناوي، الوزارة، ص١٤٠.

(٣) هي أروى بنت احمد بن جعفر بن موسى الصليحي، السيدة الحرة، وتنعت بالحرة الكاملة وبلقيس الصغرى، ملكة يمانية حازمة ومدبرة وهي آخر ملوك الصليحيين . للمزيد من التفصيل ينظر: الزركلي، الأعلام ، ١/ ٢٨٩ــ٢٩٠.

(٤) بيومي ، علي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر ، (دار الفكر الحديث للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٢م) ، ص ٣٧ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١٣٧ ــ ١٤٠.

الوزارة في مصر لمن غلب ، والخلفاء وراء الحجاب ، والوزراء كالمتملكين ، وقل من وليها أحداً بعد الأفضل الا بحرب ، وقتل ، وما شاكل ذلك))[١].

فلجأ الوزراء إلى اختيار الخلفاء من صغار السن ؛ لكي يتم السيطرة عليهم وانقيادهم لهم ، لذا نجد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي يقصي نزار ابن المستنصر بالله من حقه في الخلافة ليحل محله أخوه الخليفة المستعلي بالله (٤٨٧ ـ ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١٠١م) ليكون رهن اشارته [٢]، واما الوزير طلائع بن رزيك الذي أراد أن يولي شخصاً مجربا بعد مقتل الفائز بنصر الله ؛ ولكنه تعرض إلى ممانعة من قبل أصحابه واعتراض من قبل أصحابه فعندئذٍ اضطر إلى ان يعدل عنه ويولي العاضد لدين الله والذي كان طفلاً لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره [٣]، فيذكر المؤرخ ابن الأثير إلى أَنَّ طلائع قد استعرض قبل ان يختار العاضد لدين الله من كان موجوداً في القصر فتم اختياره لكونه كان أصغرهم عمراً ، وعندما هلل وفرح من كان بالقصر لاختيار الخليفة قال ابن رزيك : ((كأني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ، ما مات الأول حتى استخلف هذا ، وما علموا أني كنت في ساعة استعرضهم استعراض الغنم ...))[٤].

إنَّ هذا الأمر لم يضمن الاحترام والتبجيل لمنصب الخلافة والأمن للخلفاء ، فقد سلبوا سلطانهم وأصبحوا أسرى جبروت الوزراء وجيوشهم ، كما لم يضمن الأمن للعامة وإبعاد شبح المجاعات والأزمات عن مصر؛ فتقهقر حكم المنطق والعقل والحكمة أمام سلطان وقوة الوزراء المستبدين والأجناد الذين أحكموا السيطرة على كل شيء في البلاد ، فضلاً عن ذلك أَنَّ أكثر الوزراء لم يكونوا على مذهب الدولة نفسها فبدلاً من أن يقوموا بخدمة المذهب الإسماعيلي فقد أساءوا له ، بل عملوا على أضعافه ؛ فكان الأجدر بهم أن يعملوا على تقويته ، فقد قام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بإغلاق دار الحكمة [٥] التي أسسها الحاكم بأمر الله بحجة انحراف بعض الدارسين فيها وتضليلهم الأفراد ، كما تخلى عن المذهب الإسماعيلي وأعطى للعامة الاذن في إظهار عقائدهم وألغى الاحتفال

---

(١) الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.
(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٤٣ ـ٢٤٤ ؛ بيومي ، قيام الدولة الأيوبية ، ص ٣٧.
(٤) الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٥٠.
(٥) دار الحكمة : وتسمى دار العلم والتي فتحت في عهد الحاكم بأمر الله سنة (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) في مدينة القاهرة فجلس فيها الفقهاء ، وحملت اليها من القصور المعمورة الكتب فدخلها العامة ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه ، فضلاً عن قراءة الشيء الذي وجد فيها ، فجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والاطباء ، بعد ان فرشت وزخرفت الدار وعلقت الستور على جميع الممرات والأبواب ، وحمل إلى هذه الدار من خزائن الحاكم بأمر الله من الكتب التي ضمت سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله لأحد من الملوك وأباح ذلك إلى العامة على طبقاتهم ممن لديهم الرغبة في قراءة الكتب والنظر فيها ، فاستمرت دار الحكمة على هذه الشاكلة إلى ان أغلقها الأفضل بن بدر الجمالي ، ثم أنشأت دار أخرى جديدة في سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣ م) . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار، ٢ /٢٧٤ ـ ٢٧٨ ؛ اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٦: هـ (٢).

بالمولد النبوي الشريف وولادة الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام)[١].

كما قام الوزير أبو علي بن الأفضل (٥٢٤ ــ ٥٢٦ هــ/ ١١٢٩ ــ ١١٣١ م) [٢] بالتمرد على سلطة الدولة الفاطمية فقد كان إمامياً خطب للأمام المهدي المنتظر (عج) فاسقط من الآذان عبارة ((حي على خير العمل ، محمد وعلي خير البشر)) ، فضلاً عن تعيين بعض القضاة من المذهب السني بدلاً من القضاة الشيعة ، فلذا عُدَّت وزارته حقبة ضعف مرت بها الدولة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية [٣] وأما الوزيران يانس الأرمني (٥٢٦هـ/١١٣١م) [٤] وبهرام الارمني فأخذا في الأرض فساداً والعمل على منع المسلمين من الوظائف وإحلال الأرمن عوضاً عنهم حتى ضاق المسلمين ذرعاً منهما [٥]، كما قدح الوزير رضوان بن الولخشي بصورة علنية بمذهب الحافظ لدين الله وأمام رجال قصره وأراد ان يخلعه فأنشأ مدرسة في مدينة الإسكندرية أخذت على عاتقها نشر المذهب السني في المدينة[٦].

وسعى الوزير العادل بن السلار (٥٤٤ ــ ٥٤٨ هــ/ ١١٤٩ ــ ١١٥٣م) [٧] إلى إرجاع المذهب السني من خلال إنشائه في مدينة الإسكندرية مدرسه خاصة بالمذهب الشافعي[٨] ، كما حمل طلائع بن رزيك الذي كان إمامياً العداء للمذهب الإسماعيلي فنالت الدعوة الإسماعيلية على يده الأذى الكبير لكونه كان أديباً يقرض الشعر ويؤلف الكتب للنيل من المذهب [٩].

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى، ٣ / ٤١٣ ــ ٤١٤ ؛ الخربوطلي، غروب الخلافة الإسلامية، (مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، د.ت) ، ص ١١٣.

(٢) هو ابو علي احمد بن الأفضل بن امير الجيوش بدر الجمالي الملقب بشمس المعالي كتيفات ، تقلد الوزارة في عهد الحافظ لدين الله ، فاستبد بالسلطة وضرب السكة باسمه ونقش عليها ((الله الصمد . الامام محمد)) ، كانت مُدَّة وزارته سنة وشهرين ، انتهت حياته بالقتل في سنة (٥٢٦هــ/ ١١٣١م) . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المقفى الكبير ، ١ / ٣٩٤ ــ ٣٩٨ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٧٧.

(٣) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١١٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٣.

(٤) هو ابو الفتح يانس الارمني ، تولى الوزارة في عهد الحافظ لدين الله في (السادس عشر من المحرم سنة ٥٢٦هــ / ١١٣١م) وعزل منها في (السادس والعشرين من ذي الحجة من السنةِ نفسِها) ، وهو مولى ارمنياً لباديس جد عباس الوزير فأهداه إلى الأفضل بن أمير الجيوش ، فترقى في خدمته ، ثم ولى الباب وهي أعظم الأمراء ، لقب بالأمير السعيد ، ساءت علاقته بالحافظ لدين الله حتى تمكن من قتله عن طريق السم . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١١٧ ؛ المقريزي ،اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٤ ــ ١٤٦ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص٢٧٧ ــ ٢٧٨.

(٥) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٧٧ ــ ١١٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩.

(٦) اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٦٦ ــ ١٦٧.

(٧) هو ابو الحسن علي بن السلار الملقب بالملك العادل سيف الإسلام ، كان كردياً زرزارياً، تولى الوزارة في عهد الظافر بالله وبلغت مُدَّة وزارته ثلاث سنوات وسبعة أشهر، تربى في القصر بالقاهرة فتقلبت به الأحوال في الولايات بالصعيد ، قطع رأسه وحمل إلى الظافر بالله في سنة (٥٤٨ هــ/ ١١٥٣م) . للمزيد من التفصيل ينظر. أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٨٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤١٦ ــ ٤١٩ ؛ المناوي ، الوزراة ، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٥.

(٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٩٨.

(٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٥٢٦ ؛ الطيار ، هيفاء عاصم محمد ، مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ/ ٩٦٨ ــ ١١٧١م) دراسة في النظم السياسية والمعالم الحضارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، ٢٠٠٥ م ، ص ٩٧.

ثانياً : المؤامرات والخروج على طاعة الدولة

لقد حاك بعض الأفراد المؤامرات والقيام بالخروج على طاعة الدولة الفاطمية ، وكان الهدف منها هو إشاعة (الفوضى ، والخراب ، والانقسام ، واستنزاف موارد البلاد) ، ففي سنة (٣٥٩هـ / ٩٦٩م) خرج على طاعة الدولة تبر الإخشيدي [١] في الوجه البحري ، ودعا للعباسيين وقام بمهاجمة المدن المصرية مثل مدينة الفرما[٢] فوقع عامل المدينة في الأسر على يده فاستولى على أمواله و ((ملك الأرض السفلى)) [٣][٤] وعلى إثر ذلك قام جوهر الصقلي بتجهيز جيش وبعثه لحرب تبر ، وعندما أحس بقدومه هرب إلى بلاد الشام ، فالقي القبض عليه في مدينة صور [٥] ومن ثم بعث إلى مدينة القاهرة ((فأدخل على فيل ، وشهر في البلد ، وسجن بالقيود ثمانية أشهر ، وصودرت أمواله وودائعه، وطولب بالأموال ، فلما اشتد عليه الطلب جرح نفسه بعد عدة أيام ، فسلخ جلده ، وحشي تبناً وصلب))[٦].

وشهد صعيد مصر خروج على طاعة الدولة الفاطمية في سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م) ووصف هذا الخروج بأَنَّهُ من أخطر الحركات التي وقعت ضد سلطة القائد جوهر الصقلي في ذلك الوقت ؛ وذلك لحكم وقوعها في منطقة بعيدة عن معسكرات الجيش ، فضلاً عن كون المنطقة صالحة للتنظيم والتجمع والإعداد [٧] ، فلقد خرج على الطاعة عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي[٨] في الصعيد ولبس السواد ، ودعا للعباسيين ، وعلى إثر هذا وما كان يحمله من خطر بعث جوهر الصقلي بجيش بري تحت قيادة أزرق ، وكذلك قوة بحرية عن طريق النيل تتكون من اربعين مركباً بقيادة بشارة النوبي ، فتمكنت هذه الحملة من القضاء عليه ، فادخل عبد العزيز الكلابي إلى مدينة القاهرة وهو مصفداً بالأغلال داخل قفص حديدي ، ثم ((طيف به وبمن معه)) من الأسرى في شوارع مدينة القاهرة[٩].

---

(١) هو احد الأمراء الكبار في أيام الأستاذ كافور الإخشيدي ، كانت نهايته القتل في سنة (٣٦٠هـ / ٩٧٠م) . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٢٨ ؛ المقفى الكبير ، ٢ / ٥٨٥.

(٢) الفرما : هي مدينة تقع على الساحل من ناحية مصر ، على بعد يوم من قطيَةَ ، ويوجد بها قبر جالينوس الحكيم . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٥٥ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٣٨٦.

(٣) الأرض السفلى : هي من عمل مصر ، وتقع في شمال مصر ، والذي يعرف بالوجه البحري ، ويقابله : مصر العليا ، أي الجنوبية عند اسوان وبلاد النوبة . ينظر. يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٤٤ : هـ (٥).

(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٤٤ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٨٣.

(٥) صور: هي مدينة مشرفة على بحر الشام داخله في البحر ، كانت من ثغور المسلمين ، سكنها خلق من الزهاد والعلماء . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٤٣٣.

(٦) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٤٤ـ ١٤٥ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٥٨٥.

(٧) عمارة ، محمد ، عندما أصبحت مصر عربية إسلامية ، (دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧م) ، ص ١٠٨.

(٨) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته.

(٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٣١ ؛ عمارة ، عندما اصبحت مصر عربية ، ص ١٠٨ ؛ خلف ، محمود محمد ، ثورات المصريين في العصر الفاطمي (٩٦٩ ـ١٠٣٥م) ، (الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٢م) ، ص ٦٤ ـ ٦٥.

كما وخرجت على طاعة الدولة الفاطمية في سنة (٣٦٢ هـ / ٩٧٢م) مجموعة من أهالي مدينة تنيس[١] ؛ فرفعوا السواد شعار العباسيين ، فتم معالجتهم من قبل الدولة عن طريق إتباع القوة العسكرية ، فقتل عدد منهم وشُهّر آخرين وأُسر عدد منهم بلغ مائة وثلاثة وسبعين[٢].

وحصل في عهد العزيز بالله خروجاً على طاعة الدولة الفاطمية متمثلاً بخروج حمزة بن بعلة الكتامي متولي مدينة أسوان في سنة (٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م) ، مستغلاً بذلك المسافة البعيدة بين عاصمة الفاطميين في مدينة القاهرة وأسوان ، فضلاً عن انشغال العزيز بالله بحروبه في بلاد الشام، وكان الغاية من ذلك الاستقلال بالبلاد التي تحت سلطته[٣].

ولكنَّ العزيز بالله لم يتوانَ عن هذا الأمر ، فأرسل إليه جيشاً ضخماً بقيادة جعفر بن محمد بن أبي الحسين الصقلي[٤] ، والذي نجح في القضاء عليه وأخذه أسيراً إلى مدينة القاهرة مع كل ما يملك من أموال وجواهر ، كما وأمر القائد افتكين[٥] بقتل حمزة بن بعلة والذي قتله شر قتله[٦] . ويبدو أَنَّ العزيز بالله كان جاداً في كبح أي خروج على طاعة الدولة الفاطمية من خلال سرعته في إرسال الحملات العسكرية إليه.

وكردة فعل من قبل أهالي مدينة دمشق وتذمرهم طلبوا من افتكين القائد التركي مساعدتهم ليتمكنوا من إزاحة الفاطميين من مدينتهم وتولي حكمها[٧]، فقبل طلبهم وحصل على تعهدات بمساعدته وأن يكونوا تحت طاعته ، وفي مقابل ذلك يتعهد بحمايتهم وكف الأذى عنهم [٨]، ولهذا شكل هذا الحدث خطراً يهدد الوجود الفاطمي في بلاد الشام بعد أن أخرج ممثل الدولة من دمشق (ريان الخادم) بحد السيف ، وتمكن من بسط السيطرة عليها ومُدَّ النفوذ إلى ظاهرها في سنة (٣٦٤هـ /

---

(١) تنيس : هي جزيرة في مصر تقع على ساحل البحر المتوسط ، قريبة من البحر ما بين الفرما ودمياط ، وتصنع فيها الثياب الملونة والفرش البوقلمون . ينظر. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٥١ ؛ ابي الفدا ، تقويم البلدان ، (مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م) ، ص ١٣٣.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٤٢ ــ ١٤٣ ؛ مال الله ، ــ و الحدراوي ، التشهير ، ص ٢٧٠ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة الفاطمية ، ص ١٢٩.

(٣) خلف ، ثورات المصريين ، ص ٩٠.

(٤) هو جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي الصقلي ، تولى إمارة جزيرة صقلية للمُدَّة من (٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م) إلى حين وفاته في سنة (٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) . ينظر . النويري ، نهاية الإرب ، تحقيق : د. حسين نصار ، (مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ م) ، ٢٤ / ٣٧٥ ؛ المقريزي ، المقفى ، ٣ / ٦٠ ــ ٦١ ؛ الدوري ، تقي الدين عارف ، صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي . من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي ، (دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ م) ، ص ١٢٦ ــ ١٣٤.

(٥) هو أبو منصور افتكين التركي الشرابي ، احد موالي معز الدولة احمد بن بويه في بغداد ، تميز بالشجاعة والثبات والعزيمة في الحروب ، وقد تولى قيادة جند الأتراك في بغداد . ينظر . ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١ ــ ١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٥٥ ــ ٣٥٨.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٥٤ ؛ المقفى الكبير ، ٣ / ٦٠ ؛ خلف ، ثورات المصريين ، ص ٩١.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ /٢١٩ ؛محاسنة ،محمد حسين ، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي ، (مطبعة البيان ، دمشق ، ٢٠٠١ م) ،ص ٩٨.

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٥٥ ؛ محاسنة ، تاريخ ، ص ٩٨.

٩٧٤ م)[١]، ولم تفلح كل محاولات المعز لدين الله التي استندت على اللين والقسوة لاصطناعه ؛ لأنه تخوف من الفتك به [٢]، فدارت الحرب مع جيش العزيز بالله في مدينة الرملة فتمكن من إلحاق الهزيمة به والتوجه إلى مدينة القدس [٣] ، فقبض عليه وأتى به إلى حليف الدولة في فلسطين حسان بن مفرج بن الجراح الذي بعثه مقيداً إلى العزيز بالله ليذله [٤] ، وعندما وصل إلى مصر ومعه جنوده أسارى أحسن إليه العزيز بالله وعفى عنه وأعطاه مالا كثيرا وخلع عليه[٥].

كما وخرجت في عهد العزيز بالله أيضاً بلاد الحجاز على طاعة الدولة الفاطمية ، فانقطعت الخطبة ورجعت إلى العباسيين ؛ بسبب التهديدات التي أطلقها الطائع لله العباسي (٣٦٣ ــ ٣٨١ هـ / ٩٧٣ ــ ٩٩١م) لأهل الحجاز، لكنَّ العزيز بالله لم يبقَ مكتوف اليد تجاه هذه التطورات ، فسرعان ما أرسل قائده باديس بن زيري[٦] أميراً للحاج المصري سنة (٣٧٦هـ /٩٨٦م)، فتمكن باديس من إحكام السيطرة على الحرمين الشريفين ، وإعلان الخطبة في هذه البقاع المقدسة باسم العزيز بالله ، كما نجح في بسط الأمن للحجاج على إثر قيامه بالضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق بعدما جمعهم لارتكابهم جريمة الفساد في الأرض[٧].

ومن المؤامرات التي حدثت في تلك الحقبة قيام منير الخادم[٨] ، وهو أحد رجالات الدولة الفاطمية بالميل إلى جانب العباسيين أعداء الفاطميين، وصاحب حلب(ابي المعالي بن سيف الدولة) ورغبته في خطب ودهم [٩]، فبعث اليه العزيز بالله القائد منجوتكين ، في سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١م) ، على رأس جيش كبير، الذي تمكن من هزيمته فهرب إلى مدينة حلب ، إلا أَنَّهُ تم قطع الطريق عليه من قبل مجموعة من الأعراب وجاءوا به إلى منجوتكين في دمشق[١٠] ، وأرسل إلى مصر بعد ذلك فخرجت العامة تنظر إليه ومعه سبعمائة رأس من رؤوس أتباعه مرفوعة على رماح فطيف به

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١ ــ ١٢ ؛ الحياري ، الامارة الطائية ، ص ٤٦.
(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٥٦ ؛ الحياري ، الإمارة الطائية ، ص ٤٦.
(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٤٣.
(٤) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ١٨٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٤٣.
(٥) اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٤٥.
(٦) هو أبو مناد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ، تولى حكم بلاد المغرب من قبل الحاكم بأمر الله ومنحه لقب نصير الدولة سنة (٣٨٦ هــ / ٩٩٦م) ، كان شجاعا وشديد البأس إذا هز رمحاً كسره ، يجيد السياسة والتدبير ، توفي فجأة ودفن في القيروان. ينظر. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ٢٦٥ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٠ / ٤٢ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، حققه وخرج احاديثه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط – و د. محمد نعيم العرقوسي ، (ط١١ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٩٦م) ، ١٧ / ٢١٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ؛ ٢ / ٤١.
(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٨٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ١٥ / ٣٨٦ ــ ٣٨٧ ؛ خلف ، ثورات المصريين ، ص ١٠٢.
(٨) هو منير الخادم الصقلبي ، غلام الوزير يعقوب بن كلس ، ولي دمشق سنة (٣٧٨ هــ / ٩٨٨م) ، وظل أميراً عليها حتى سنة (٣٨١ هـ/ ٩٩١ م) . ينظر . ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٠.
(٩) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠ ؛ المقريزي ، اتعاظ ، ١ / ٢٦٩.
(١٠) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠ ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٣٣.

وبعدها عفا عنه العزيز بالله[١].

وممن خرج على طاعة الدولة أيضاً القائد منجوتكين وحاول التوجه إلى مصر بعدما استنجد به برجوان يشكو إليه من تفرد الحسن بن عمار الكتامي بالسلطة من دون الحاكم بأمر الله[٢]، ولذلك أعدَّ الحسن بن عمار العُدَّة لتأديب منجوتكين واتهمه بالخروج عن الطاعة [٣]، وكلف سليمان بن جعفر بن فلاح[٤] لمحاربته ؛ فالتقى الطرفان عند مدينة عسقلان، فتمكن سليمان من هزيمته وأسره وإرساله إلى مصر ، وبعدها تم إطلاق سراحه من قبل الحسن بن عمار الذي كان يهدف من وراء ذلك إلى استمالة أتباعه من الجند الأتراك من أجل تعزيز نفوذه ، وكسب حلفاء جدد[٥].

ومن الجرائم التي ارتبطت بالتآمر والخروج على طاعة الدولة ، ما حدث في عهد الحاكم بأمر الله عندما قام أحد قادة الأحداث [٦] ويسمى العلاقة [٧] بالخروج على طاعة الفاطميين في مدينة صور في سنة (٣٨٧ هـ / ٩٩٧م) إذ قام بقتل موظفي الدولة وضرب السكة باسمه [٨]، ومن ثم أعلن استقلال المدينة عن الدولة الفاطمية [٩] ، وعلى إثر ذلك بعث برجوان قوات عسكرية بقيادة جيش بن الصمصامة للقضاء على هذه الحركة خصوصاً عند استنجاد العلاقة بالدولة البيزنطية ـ وهم أعداء الدولة ـ لتقديم المساعدة له بمقابل تسليمه للمدينة [١٠]، ولكن الأسطول الفاطمي حقق نصراً على البيزنطيين[١١] ، فانهارت معنويات الخارجين على الدولة في مواجهة الفاطميين الذين هجموا على مدينة صور واستطاعوا من إلقاء القبض على العلاقة ، ومجموعة من أتباعه في سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨ م) ، وإرساله إلى مصر حيث تقرر اعدامه مع مجموعة من الأحداث هناك[١٢].

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٧٣.
(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٥ ؛ تامر ، الحاكم بأمر الله ، ص ٣٦.
(٣) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٤٢ ؛ تامر ، الحاكم بأمر الله ، ص ٣٦ ـ ٣٧.
(٤) هو أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي ، ولي دمشق بعد هزيمة منجوتكين . ينظر . أبو شجاع الروذراوري ، ذيل تجارب الأمم ، ٣ / ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٨ ـ ٥٠.
(٥) أبو شجاع الروذراوري ، ذيل تجارب الأمم ، ٣ / ٢٢٣ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٧.
(٦) الأحداث : وتعني الشبان الصغار ، وهي حركات شعبية أو ثورات اجتماعية تقوم بها فئات معينة من فقراء العامة ، وغالباً ماتظهر هذه الحركات عندما تخفق المؤسسات الرسمية في توفير الامن والاستقرار في البلاد فتندلع الثورات الاجتماعية ضد المتسببين بالفوضى . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن المعمار ، أبي عبد الله محمد بن ابي المكارم (ت٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م) ، كتاب الفتوة ، تحقيق : د . مصطفى جواد وآخرون ، قدم له : د. مصطفى جواد ، (مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٨م) ، ص ٣٧ ، ٤٨ ـ ٤٩ ؛ الشيخلي ، صباح ابراهيم سعيد ، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦م) ، ص ١٧١ ـ ١٧٩؛ اليافي ، عبد الكريم ، معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية الأسلامية ، (الشركة المتحدة للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٢م) ، ص ١٧٨.
(٧) وسمي ابو علاقة من قبل الداعي المطلق ادريس عماد الدين القرشي . ينظر . عيون الاخبار ، ٦ / ٢٥٩.
(٨) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٠.
(٩) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٤٠.
(١٠) المصدر والصفحة نفسها ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٢٠.
(١١) ابو شجاع الروذراوري ، ذيل تجارب الأمم ، ٣ / ٢٦٦ ؛ تامر ، الحاكم بأمر الله ، ص ٤٦ ـ ٤٧.
(١٢) أبو شجاع الروذراوري ، ذيل تجارب الأمم ، ٣ / ٢٦٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩ ؛ سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٢.

وفي حدود سنة (٤٠٢ ـ٤٠٤ هـ / ١٠١١ ـ ١٠١٣م) ، خرج على سلطة الدولة بنو الجراح، عندما فرمن مصر الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المغربي[١] مخافةً من الحاكم بأمر الله وذهب إلى أمير طيء حسان بن المفرج بن دغفل والذي سيطر على مدينة الرملة [٢] ؛ فأصبح الوزير المغربي مستشاراً لآل الجراح ، وأخذ يتآمر ويحرض ضد السلطة الفاطمية ، فقد شجعهم على خلع طاعة الخليفة الفاطمي وتنصيب أمير مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد خليفة ((فإنَّهُ لا يغمز في نسبه))[٣].

ولكن الحاكم بأمر الله أرسل القائد علي بن جعفر بن فلاح على رأس جيش كبير لمحاربتهم ، فتمكن من هزيمة قواتهم ، والاستيلاء على أموالهم وذخائرهم ودخول مدينة الرملة[٤].

وبعد مقتل الحاكم بأمر الله سعى بنو الجراح من أجل استعادة نفوذهم ، والاستقلال بالمناطق التي تقع في جنوب بلاد الشام ، فقام حسان بن الجراح بإغراء بقية قبائل عرب الشام بالتحالف معه ؛ بغية اقتسام أملاك الفاطميين في تلك المناطق[٥]، ففي سنة (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) تم عقد تحالف بين سنان بن عليان بن البنا أمير قبيلة كلب ، وصالح بن مرداس أمير قبيلة كلاب مع حسان بن المفرج على قتال الفاطميين ، فتمكن حسان من الاستيلاء على مدينة الرملة في سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤ م) [٦]، واستولى صالح بن مرداس على مدينة حلب ، ومحاصرة مدينة دمشق في سنة (٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) [٧] ، كما حاولت الأطراف الثلاثة أن يكونوا يداً واحده ضد السلطة الفاطمية ، وأن يحاولوا جاهدين لإخراجها من بلاد الشام ، ومن ثم تقسيم أملاكها فيما بينهم وإقامة ثلاث دول بدوية هناك[٨].

ولا ريب أَنَّ تفكك وضعف الدولة الفاطمية في بلاد الشام كان يعود إلى عجز الفاطميين عن إعداد الجيوش وإرسالها إلى بلاد الشام ؛ وذلك بسب الأزمة الاقتصادية الخانقة التي اجتاحت مصر في ذلك الوقت وسيطرة مجموعة من الأفراد على الظاهر لإعزاز دين الله وتفردهم بالقرار[٩]، وفي

---

(١) هو ابو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام بن المَرزُبان المعروف بالوزير المغربي ، كانت ولادته في سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠م) ، تميز بخط حسن وسرعه في نظم الشعر والنثر. للمزيد من التفصيل ينظر . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ،(ط٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ١٠ / ٧٩ ـ ٩٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٧.

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٢ ـ ٦٤ ؛ عباس ، إحسان ، الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي . العالم الشاعر الناثر الثائر(٣٧٠ ــ ٤١٨هـ) دراسة في سيرته وأدبه مع ما تبقى من آثاره، (دار الشرق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٨م) ، ص ٣٩.

(٣) ابو شجاع الروذراوري ، ذيل تجارب الأمم ، ٣ / ٢٣٦ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٥٤٢؛ عباس ، الوزير المغربي ، ص ٤٣.

(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٩٠.

(٦) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٣.

(٧) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٣٩٠ ، ٤٠١ ــ ٤٠٢.

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٦٩ ؛ عطية ، ـ عبد الحسين ، الجرائم ، ص ١٨.

(٩) المسبحي ، اخبارمصر ، ص ٢٠٧ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩.

سنة (٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) انفسخ التحالف بين القبائل العربية ، فقد توفي سنان بن عليان – امير قبيلة كلب – في سنة (٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م)(١)، وعلى إثره قصد ابن أخيه مدينة القاهرة واجتمع بالظاهر لإعزاز دين الله ، والذي نصبه أميراً على بني كلب خلفاً لعمه ، فخرجت هذه القبيلة من التحالف وهذا بدوره أدى إلى ضعفه وتضعضعه(٢).

وفي سنة (٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) ، أرسل الفاطميون قوات كبيرة بقيادة انوشتكين الدزبري(٣) إلى بلاد الشام ، وتمكنت هذه القوات من إلحاق الهزيمة بتحالف القبائل العربية عند منطقة الأقحوانة(٤) في (٢٤ ربيع الثاني سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) ، وكان نتيجتها مقتل صالح بن مرداس مع ولده الأكبر(٥) ، وبعد مقتل الأخير قصد مدينة حلب وملكها ابنه الأصغر شبل الدولة نصر بن صالح لكن الدزبري لم يمكنه من السيطرة على المدينة فسار إليه فالتقى الطرفان ، إذ تمكن الدزبري من قتله ، والسيطرة على مدينة حلب في سنة (٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) (٦). وبذلك عادت المدينة إلى سيطرة الدولة الفاطمية.

وفي سنة (٤٤٣ هـ / ١٠٥١م) خرج على طاعة المستنصر بالله المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية وبعث رسولاً إلى مدينة بغداد ليعلن عن ولائه لهم من خلال إقامة الدعوة العباسية لهم ببلادة فأجيب إلى ذلك (٧) وجهز إليه على يد أبي غالب الشيرازي عهداً احتوى على الولاية ، ولواء اسود مع خلعة (٨) ولما عبر أبو غالب إلى بلاد الروم تمكن صاحب القسطنطينية من إلقاء القبض عليه ، وإرساله إلى المستنصر بالله ـ الذي كان ذو علاقة طيبة مع الدولة البيزنطية آنذاك ـ ، فدخل مجرساً (٩) وهو راكبا على جمل ، وتم حفر حفيرة بين القصرين احرق فيها العهد واللواء والخلع(١٠).

---

(١) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٤١٠.
(٢) المصدر والصفحة نفسها؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٣.
(٣) هو منتخب الدولة ابو منصور انوشتكين بن عبد الله الدزبري ، وينسب إلى القائد دزبر بن أوسم الديلمي أمير الجيوش الذي اشتراه في سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) عندما قدم من بلاد ما وراء النهر . ينظر. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ٨ / ١٦٨:هـ (٢) ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٤٨٧ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٦.
(٤) الاقحوانة : هو موضع على نهر الأردن جنوب مدينة طبرية. ينظر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٣٤/١.
(٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ؛ ابن العديم ، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة الحلبي (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : د .سهيل زكار ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧م) ، ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.
(٦) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢١٥ ؛ ابن العديم ، زبدة حلب ، ١ / ٢٠٤.
(٧) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٣٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ /٥٢ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١٨٩ ؛ العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٣٢٣ ـ٣٢٤.
(٨) خلعة : هي أفضل مال الرجل . ينظر .الفراهيدي ، العين ، ١ / ١١٨.
(٩) مجرسا : بمعنى التجريس : وهو التشهير ، ومن معانيها ما يعلق في عنق البعير ويضرب به احيانا . ينظر . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٢ / ٢٠٤ . مادة (جرس).
(١٠) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٢ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٩.

وفي شهر ذي القعدة من السنةِ نفسِها ، خرج على طاعة المستنصر بالله [١] بني قرة من عرب البحيرة ، وقد ذكر (ابن الأثير) سبباً لخروجهم عن طاعة المستنصر بالله بقوله : ((انه أمر عليهم رجلاً منهم يقال له المقرب وقدمه فنفروا من ذلك وكرهوه ... وتظاهروا بالفساد فعبر إليهم المستنصر بالله جيشا يقاتلهم ويكفهم فقاتلهم بنو قرة فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم فانتقل بنو قرة إلى طرف البر فعظم الأمر على المستنصر بالله وجمع العرب من طيء وكلب وغيرهما من العساكر وسيرهم في أثر بني قرة ...))[٢].

وخرج ناصر الدولة بن حمدان [٣] في سنة (٤٦٢ هـ / ١٠٦٩م) على الطاعة ، وبعث رسولاً من قبله إلى السلطان السلجوقي في العراق الب ارسلان [٤] يطلب فيه إرسال الجيوش والإمدادات ليقيم له الدعوة العباسية في مصر ويتولى أمر السيادة فيها [٥] وجهز ألب أرسلان عساكر كثيرة من خراسان ، كما وبعث إلى صاحب حلب محمود بن ثمال [٦] بطلب قطع دعوة المستنصر بالله وإقامة الدعوة للعباسيين ، فقطعت دعوة المصرين ولم تَعُد[٧].

وصل الب ارسلان إلى مدينة حلب في سنة (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) وحاصرها شهراً، وخرج اليه صاحب حلب والذي امتنع من لقائه فقام بتكريمه وإعادته إلى ولايته ، وعلى إثر ذلك زاد حماسه في الذهاب إلى مدينة دمشق ومن ثم إلى مصر[٨] ، وقد جاءه الخبر وهو في مدينة حلب بأَنَّ إمبراطور البيزنطيين[٩]، هاجم بلاد أرمينية وتوجه إلى خراسان ، فرجع إلى بلاده وهاجم

---

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٢ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٩٩.
(٢) الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٠٢ ــ ٣٠٣.
(٣) هو الحسن بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان التغلبي ، ملكَ الموصل بعد ان كان نائبا عن ابيه ، لقب بـ(ناصر الدولة) من قبل المتقي لله العباسي (٣٢٩ ــ ٣٣٣ هــ/ ٩٤٠ ــ ٩٤٤ م) في سنة (٣٣٠ هـ / ٩٤١م) ، وهو آخر ملوك بني حمدان ملوك حلب وغيرها ، قبض عليه المستنصر بالله سنة (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) ، على إثر عزله من ولاية دمشق وبعث إلى مصر ، قتل سنة (٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م) . للمزيد من التفصيل ينظر . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ٥٦ــ ٥٧ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٢ / ١٨٨ ؛ السامر ، فيصل ، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، (مطبعة الايمان ، بغداد ، ١٩٧٠ م) ، ١ / ٢٩٣ ــ ٣٠٠.
(٤) هو السلطان عضد الدولة الب ارسلان ابي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجق ، قام مقام أبيه داود عندما توفى سنة (٤٥٠هـ / ١٠٥٨ م) ، في مدينة بلخ . ينظر . العماد الأصفهاني الكاتب ، عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار : الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني ، (مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٩٠٠ م) ، ص ٢٧.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٠٢ ؛ سرور ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص ١٢٧.
(٦) هو محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس ، تولى حكم مدينة حلب مرتين الأولى من (٤٥٢ ــ ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ ــ ١٠٦١ م) ، والثانية من (٤٥٤ ــ ٤٦٨ هــ/ ١٠٦٢ ــ١٠٧٥ م) . ينظر . النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٤٧ : هــ (٤) ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٠٢.
(٧) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٥ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٤٦.
(٨) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٦ ــ ٣٧.
(٩) هو الإمبراطور رومانوس الرابع . ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٠٢ : هـ (٣).

البيزنطيون في خلاط [١]، وترك مجموعة من الأتراك في بلاد الشام فملكتها بأجمعها ، وخرجت عن سلطة الفاطميين ولم تبقى في أيديهم[٢].

وعندما بلغ المستنصر بالله بخيانة ناصر الدولة ، ومحاولته إدخال السلاجقة إلى الديار المصرية، جهز قوات كبيرة لمحاربتهم من الأتراك في إقليم البحيرة ، فتمكن ناصر الدولة من إلحاق الهزيمة بهم ، وقطع خطبة المستنصر بالله وإقامتها للقائم بأمر الله العباسي في مدينة الإسكندرية ، ودمياط ، وجميع أنحاء الوجه البحري[٣].

كما وتجلى خروج ناصر الدولة بن حمدان على طاعة المستنصر بالله في سنة (٤٦٤هـ / ١٠٧١م) ،عندما قام بحذف اسم الخليفة المستنصر بالله من الخطبة في الوجه البحري ، وبعث إلى القائم بأمر الله العباسي يطلب منه الخلع ، ووصل على رأس جيش من العرب والبربر إلى مدينة الفسطاط وتولى الحكم فيها ، كما وبعث رسولا إلى المستنصر بالله يطلب منه الأموال[٤].

ولم يكتفِ ناصر الدولة بن حمدان عن طموحاته ، بل توجه إلى مدينة القاهرة وزاد من إهانته للخليفة المستنصر بالله ، وأبدى ميله إلى مذهب أهل السنة ، ونتيجة لذلك اضطر أقارب المستنصر بالله ، وبعض أبنائه بالتفرق في البلاد فبعضهم آثرَ الذهاب إلى بلاد المغرب والعراق ، لكن الأمور لم تستتب لناصر الدولة بن حمدان في مدينة القاهرة ، فقد ثار عليه الأتراك ونجحوا في القضاء عليه والتخلص من كافة أفراد عائلته[٥].

وبالمقابل حدث خروج على طاعة الدولة الفاطمية في مدينة أسوان، عندما قام في سنة (٤٦٩ هـ/١٠٧٦م) ، كنز الدولة [٦] بالتغلب على المدينة ونواحيها، فزاد شأنه وكثُر أتباعه ، فقصدهُ أمير الجيوش بدر الجمالي بجيشه وبعد مناوشات طويلة تكللت بقتل كنز الدولة وإلحاق الهزيمة بأصحابه بعدما تم قتل أعداد كبيرة منهم ، فعدت هذه الوقعة آخر الوقائع التي أدت إلى القضاء على الفاسدين والخارجين على سلطة الدولة وقصمت شوكتهم[٧].

---

(١) خلاط : هي قصبة ارمينيا الوسطى ، تميزت بكثرة الفواكه والمياه الغزيرة . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٣٨١.
(٢) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٠٢.
(٣) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٠٢ ــ ٣٠٣ ؛ سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص ١٢٨.
(٤) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٨ ؛ سرور ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص ١٢٨.
(٥) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٨ ــ ٣٩ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٠٣.
(٦) كنز الدولة : هو اللقب الذي منحهُ الحاكم بأمر الله إلى احد أمراء بني ربيعة ويسمى ابو المكارم هبة الله بن الشيخ أبي عبد الله محمد المعروف بالأهوج المطاع ، والذي ظفر بـــ (أبي ركوة) وقبض عليه فأكرمه الحاكم وأطلق عليه هذا اللقب . ينظر . المقريزي ، البيان والإعراب ، ص ٤٤ ــ ٤٦ ، ١٢٤ ــ ١٢٥ ؛ القوصي ، عطية ، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، (ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ م) ، ص ٥٥.
(٧) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٤٣ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٥٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣١٦.

ومن الجرائم التي كانت تهدد الدولة الفاطمية ما حدث سنة (٤٨٦ هـ / ١٠٩٣م) ، عندما خرج على الطاعة متولي ثغر صور[١] ، فجهز أمير الجيوش جيشا وسار به إلى الثغر، فظهر الخوف والقلق في أهل البلد من شدة وقوة الجيش ، فلم تكن لديهم الرغبة في القتال ، فهجم الجيش على المدينة ونهبوها ، وتم إلقاء القبض على أمير المدينة وجماعة من العامة واقتادوهم إلى أمير الجيوش الذي بدوره قام بقتلهم ، وفرض على أهل مدينة صور مبلغ من المال كغرامة قدرهُ ستين ألف دينار[٢].

وفي عهد المستعلي بالله ، خرج على طاعته والي ثغر مدينة صور المعروف بـ(كُتيلة) ،سنة (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م) فجهز المستعلي بالله جيشا إلى المدينة وتمت محاصرتها وإحكام الخناق عليه ومن معه من الجنود والعامة ، وعلى إثر ذلك فتحت المدينة بالسيف عنوةً [٣]، وقتل خلق كثير بها ونهبت الأموال الجمة وتم اقتياد الوالي إلى مصر أسيراً فقتل بها[٤].

ومن المؤامرات التي كانت تحاك ضد السلطة الفاطمية ، هو ما حدث في عهد الآمر بأحكام الله، من قيام والي مدينة عسقلان، المعروف بـــ(شمس الخلافة)، في سنة (٥٠٤هــ/١١١٠م) من مراسلة بغدوين[٥]، فتم الاتفاق بينهما بدفع مال من قبل شمس الخلافة إلى بغدوين ليكفّ الأذى عن مدينة عسقلان ، كما وفرض مبلغ من المال قدرهُ سبعة آلاف دينار على أهل مدينة صور ، ترسل إليه في مدَّة سنة وثلاثة أشهر[٦].

وعندما وصلت الأخبار بما قام به شمس الخلافة إلى الآمر بأحكام الله ، ووزيره الأفضل أمير الجيوش ، استعظما عليهما ذلك الأمر وقرروا إرسال حملة عسكرية إلى مدينة عسقلان تحت قيادة أحد القادة ، وأعطوا الأوامر إلى القائد ان يقبض عليه عندما يأتي إليهم ، ولما علم شمس الخلافة بذلك أعلن الخلاف والخروج على الأفضل ، واتخذ جنداً من الأرمن واستمر به الحال إلى نهاية سنة

---

(١) هو منير الدولة الجيوشي الذي تم تعيينه أميرا على صور من قبل أمير الجيوش ، وقد ثار به اهلها عندما خرج عن الطاعة، لكن سرعان ما أنكروا ما مقام به وقاموا بتسليم البلد إلى الجيش الفاطمي. ينظر . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٨٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٣٥؛ دخيل ، محمد حسن ، الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية ، (مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩م) ، ص٦٤.

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٣٢٨.

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٣ ــ ١٣٤.

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٨.

(٥) هو ملك الفرنج وصاحب القدس ، تولى الحكم بعد مقتل أخيه كندفرى في مدينة عكا سنة (٤٩٤ هــ / ١١٠٠ م) ، ثم قام بالسيطرة على المدينة سنة (٤٩٧ هــ / ١١٠٤ م) ، كما نهب واحرق مدينة الفرما سنة (٥١٢ هــ / ١١١٨م) ، وأثناء رجوعه منها توفي قبل ان يصل إلى مدينة العريش ، فقاموا أصحابه بشق جوفه ودفنوه في قمامة . ينظر .ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٤٨٠ ــ ٤٨١ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٤٤٠ ؛ اتعاظ الحنفا، ٣ / ٣٤.

(٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٤٦ ؛ دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ١٣٧ ــ ١٣٨.

(٥٠٤هـ / ١١١٠م) [١]، فادى ذلك إلى إنكار أهل مدينة عسقلان ، فقام قوم من كتامة بجرحه وهو راكب واستطاع الهروب منهم فتتبعوه ، وتم قتله ونهب داره بما فيها وبعثوا برأسه إلى الأفضل بمصر ، الذي طالب القاتلين بما نهبوه من أمواله وأموال أهل البد ، فأعتقلهم واعتقل جماعة من أهل البلد عندما جاءوا إلى مصر [٢].

وفي عهد الحافظ لدين الله خرج على طاعة الدولة الفاطمية أبو عبد الله الحسن بن المستنصر [٣] في سنة (٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م) ، والذي قصد بلاد المغرب والإسكندرية متخفياً ومتنكراً ، واستطاع ان يُكّون مجاميع عديدة ويعود من المغرب[٤] ، ولم يقف الحافظ لدين الله مكتوف الأيدي تجاه هذا الفعل فتمكن من إستمالة مقدمي جيشه ، وعند وصوله إلى دير الزجاج[٥] وذاتُ الحمّام[٦]، استطاعوا من قتله فادى ذلك إلى انتهاء حركته[٧].

كما خرج في عهد الحافظ لدين الله محمد بن رافع اللواتي مع مجموعة كثيرة من العربان في البحيرة [٨]، فسار اليه والي البحيرة الصالح طلائع بن رزيك وبعد حروب دارت بين الطرفين ، تمكن الصالح من إلحاق الهزيمة بهم وكسر جموعهم ، وقتل أميرهم محمد بن رافع[٩]. ويبدو أَنَّ المصالح الشخصية قد اذكت هذا الخروج.

وفي سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) خرج على الحافظ لدين الله أمير من المماليك يسمى(بختيار) الذي طالب بالوزارة في ارض الصعيد ، فأرسل إليه جيشاً بقيادة سلمان بن يونس اللواتي ، فتمكن من هزيمته وأخذه أسيراً ومن ثم قام بقتله وصلبه[١٠].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٩ / ١٤٠؛ علي ، محمد كرد ، خطط الشام ،(المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٢٥م) ، ١ / ٢٩٥ ــ ٢٩٦.

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٥٠ ــ ٥١ ؛ دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ١٣٨.

(٣) ذكر المقريزي اسمه بأسم أبو عبد الله الحسين بن نزار بن المستنصر . ينظر. اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٧.

(٤) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٤٤.

(٥) دير الزجاج : هو دير يقع خارج مدينة الإسكندرية ، ويقال له : ((الهابطون)) وهو على اسم ((بوجرج الكبير)) . ينظر . المقريزي ، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي ، دراسة وتحقيق : د. عبد المجيد دياب ، (دار الفضيلة ، القاهرة ، د.ت) ، ص ١٨٠.

(٦) ذاتُ الحمّام : هو بلد يقع بين الإسكندرية وافريقية ، ويكون اقرب إلى افريقية . ينظر. ياقوت الحموي ، معجم البدان، ٢ / ٩٩.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٧.

(٨) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٣٥.

(٩) المقريزي ، المقفى الكبير ، ٥ / ٦٣٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٧٨.

(١٠) ابن ميسر، المنتقى، ص١٣٧ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٨١/٣ ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٠٥.

كما حدث خروج على السلطة الفاطمية في أثناء خلافة الفائز بنصر الله ، عندما قام الأمير تميم[١] والي مدينة أخميم ، وأسيوط [٢] بالخروج في سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) [٣] على الوزير الصالح طلائع بن رزيك ، واستطاع ان يحشد جمعا كبيرا فبعث إليه الصالح جيشا تمكن من قتله في يوم السابع عشر من شهر رجب من السنةِ نفسِها [٤]. ويبدو أَنَّ مرد هذا الخروج هو محاولة السيطرة والاستحواذ على هاتين المدينتين والاستقلال بهما.

ومن صور المؤامرات والخروج على طاعة الدولة الفاطمية ، والتي حدثت في عهد آخر خلفاء الدولة الفاطمية العاضد لدين الله، بعد قيامه بتولية منصب الوزارة إلى صلاح الدين الأيوبي، ففي سنة (٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م) تمكن من السيطرة على الديار المصرية ونظم أمورها[٥]، فقد عمل صلاح الدين في بادئ الأمر على إبراز مكانته وتعزيز نفوذه فجلب إلى مصر والده وإخوته ، كما قام ببعض التعديلات على المؤسسة العسكرية بعد مؤامرة مؤتمن الخلافة ، فاستطاع ان يتخلص من القادة المصريين ويعين مكانهم رجالاً من أنصاره ومريدية ، كما ولى والده مسؤولية الخزائن برمتها ؛ لكي يضمن سيطرته على موارد الدولة المالية في سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩م)[٦]. ويبدو أَنَّ صلاح الدين كان جاداً في تقليص نفوذ الدولة الفاطمية والعمل على تغير مؤسساتها من أجل إرجاعها إلى الدولة العباسية في بغداد.

وفي أواخر سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) ،اتخذ صلاح الدين جملة من الخطوات الحاسمة والمفصلية ضد مؤسسات الدولة الفاطمية ، الهدف منها هو إضعاف المذهب الإسماعيلي ، وتقوية مذهب أهل السنة في مصر ، ففي العاشر من شهر ذي الحجة من السنةِ نفسِها قرر إبطال الأذان ((بحي على خير العمل محمد وعلي خير البشر)) ، فكانت اول ضربة توجه ضد الدولة الفاطمية ، كما أمر ان يذكر الخلفاء الراشدون أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، ثم علي في خطبة الجمعة [٧] ، كما قلعت المناطق الفضة التي كانت في محاريب جوامع القاهرة ، والتي كان يوجد فيها أسماء الخلفاء

---

(١) هو الاوحد بن تميم . ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٣٠٠.
(٢) اسيوط : هي مدينة من نواحي صعيد مصر ، وتقع في غرب النيل ، كما وتُعد من المدن الجليلة الكبيرة الواسعة الارضين والجنات والبساتين . ينظر . ابن جبير ، رحلة ، ص ٣٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ١٩٣ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ١ / ١٢٨.
(٣) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٢١٠.
(٤) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٥٤.
(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٦ / ٦.
(٦) ابي شامة ، عيون الروضتين ، ١ / ٣٠١ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، (ط١٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦م) ، ٤ / ١٨٥ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٣٠٣.
(٧) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٤٠ــ ٢٤١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٣١٧ ــ ٣١٨ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٣٠٤.

الفاطميين وقد بلغ وزنها خمسة آلاف درهم نُقرة [١][٢] وأمر كذلك أن يذكر في الخطبة العاضد لدين الله بكلام مجمل الغرض منه اللبس على الشيعة وكان الخطيب يقول : ((اللهم أصلح العاضد لدينك))[٣] .

وفي سنة (٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م) ، أمر صلاح الدين بإبطال المكوس في الديار المصرية ، وأمر بهدم دار المعونة [٤] وأحل محلها مدرسة للشافعية [٥] وكانت بجوار جامع عمر بن العاص ، والتي عرفت بالمدرسة الشريفية (الناصرية) أخيراً وهي أول مدرسة عُمّرت في مصر من اجل إلقاء العلم والمعرفة ، كما انشأ مدرسة للمالكية [٦] في دار الغزل ، والتي تسمى بالمدرسة القمحية[٧][٨].

ومن الإجراءات التي قام بها صلاح الدين في مصر ، هو عزله لقضاة الشيعة وعين مكانهم صدر الدين عبد الملك بن دِرباس الشافعي[٩] ، قاضياً للقضاة وفوض إليه الحكم في كافة البلاد المصرية [١٠]، بعدما أحضره من مدينة المحلة فقام بعزل القضاة الذين كانوا فيها وأناب عنه قضاة

(١) النُقرة : هي عبارة سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر ، وتحتوي على ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الاحمر ومن خلالهما كانت تصنع الدراهم النقرة . ينظر . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣/ ٤٤٣ ، ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٢) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة ، (ط٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م) ، ١ / ١ : ٤٥.

(٣) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٢٤١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٣١٨.

(٤) دار المعونة : هي الدار التي تقع في الفسطاط بالقرب من جامع عمر بن العاص ، وكانت تعرف بالشرطة ، ثم تحولت فيما بعد إلى سجن عرف بدار المعونة . ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٨١١.

(٥) الشافعية : هم اتباع ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩م) ولد في غزة او عسقلان ، نشئ بمكة وتعلم الفقه ، كما لازم الامام مالك في المدينة المنورة ، ثم ذهب إلى بغداد سنة (١٩٥هـ / ٨١٠ م) ثم انتقل إلى مصر وتوفي بها . ينظر . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، اشرف على تحقيقه وخرج احاديثه : شعيب الارنؤوط ، تحقيق : محمد نعيم العرقوسي ، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٢م) ، ١٠ / ٥ ـ ٦ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧م) ، ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ /١ : ١٤٣ ـ ١٤٥.

(٦) المالكية : هم اتباع ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الاصبحي المدني ، ولد سنة (٩٣ هـ / ٧١١ م) ، وقيل سنة (٩٤ هـ/ ٧١٢ م) كانت وفاته في المدينة المنورة سنة (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) . ينظر . اليافعي ، مرآة الجنان ، ١ / ٢٩٠ ـ ٢٩٢.

(٧) المدرسة القمحية : هي المدرسة التي أنشأها صلاح الدين بجوار الجامع العتيق بمصر ، وجعلها خاصة بالفقهاء المالكيين وسميت بالقمحية ؛ لأنَّ القمح كان يوزع على فقهائها من ضيعة بالفيوم التي عرفت بالحنبوشية أوقفها صلاح الدين عليها، وفي سنة (٨٢٥ هـ/١٠٤٢م) اخرج السلطان الاشرف برسباي ناحيتي الإعلام والحنبوشية واللتان كانتا وقفاً لصلاح الدين على المدرسة وجعلهما إقطاعا لمملوكين من مماليكه . ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٤٣٩/٣.

(٨) اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٣١٩ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٣٠٤.

(٩) هو صدر الدين ابو القاسم عبد الملك بن عيسى بن دِرباس بن فير بن جهم بن عبدوس الماراني الكردي الشافعي ، قاضي الديار المصرية ، ولد سنة (٥١٦ هـ / ١١٢٢م) تقريبا ، ورحل في طلب الفقه ، وسمع الحديث في مدينة حلب، ودمشق، ومصر، توفي سنة (٦٠٥ هـ/١٢٠٨م). ينظر. الذهبي، سير أعلام النبلاء ،٢١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

(١٠) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ١/١ : ٢٣٣ ؛ مغنية ، محمد جواد ، الشيعة والحاكمون ، (ط٥ ، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع ، النجف الاشرف ، ١٩٨١م) ، ص ١٩١.

شافعية[١]، وعلى إثر ذلك برز المذهب الشافعي والمالكي في مصر، واخذ مذهبي الإمامية والإسماعيلية بالأفول والاختفاء ، كما تم إبطال مجالس الدعوة في الجامع الأزهر وغيره[٢].

وما ان حلَت سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١م) حتى قرر صلاح الدين الأيوبي القضاء على الدولة الفاطمية في مصر ، فقد أمر بقطع الخطبة عن العاضد لدين الله ، وأمر كذلك الخطباء بالدعوة للمستضيء بأمر الله العباسي (٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ـ ١١٧٩م) ودفعه إلى هذا الإجراء هو مرض العاضد لدين الله [٣] ، ومن أجل قطع الخطبة عنه قام المستضيء بأمر الله العباسي بمراسلة صلاح الدين [٤] ، وتم ذلك الأمر من دون أي مقاومة إذ لم ((ينتطح فيها عنزان)) حسب تعبير بعض المؤرخين[٥]. وعُدَّت هذه القرارات بمثابة خروج على الدولة الفاطمية وانقلابا جذرياً على سلطة الخليفة وهذا أدى بتحول جذري اعادَ مصر إلى سيطرة السلطة العباسية السنية ، ناهيك عن ما كان يصبوا إليه صلاح الدين من دعم وإسناد من قبل الدولة العباسية من اجل تقوية سلطته ونفوذه في مصر وإعلان الحرب ضد مؤيدي وأنصار الدولة الفاطمية فيها.

وبعد عدّة أيام على قطع خطبة الفاطميين ، توفي العاضد لدين الله في يوم العاشر من المحرم سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) [٦] ، وقامت عليه الواعية [٧] وعلت الأصوات النادبة وكأنَّ يوم القيامة قد قام[٨]، كما وعَمِدَ صلاح الدين بالإستيلاء على قصره وذخائره ، ومن ثم قام باعتقال الرجال والنساء من الأسرة الفاطمية وحجرهم بعيداً عن بعضهم البعض من اجل قطع نسلهم [٩] ، ورثى العاضد لدين

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٣٢ ؛ الإبياري ، إبراهيم ، نهاية المطاف الدولة الفاطمية ، (ط٢ ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٨م) ، ص ٧٨.

(٢) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٤١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٣١٩ ـ ٣٢٠ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٣٠٤.

(٣) العماد الأصفهاني الكاتب ، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ص ٤٠١ ؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : د. جمال الدين الشيال وآخرون ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ١ / ٢٠٠ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ٣ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٩١ ؛ لفتة ، احمد هاشم ، موقف المماليك من الأقليات الشيعية في مصر وبلاد الشام (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٠٥ ـ ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٨ م ، ص ١٦.

(٤) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٢٢٧ ؛ ابي الفدا ، المختصر ، تقديم : د. حسين مؤنس ، تحقيق : د. محمد زينهم عزب ـ و يحيى سيد حسين ، (مطابع دار المعارف ، القاهرة ، د.ت) ، ٣ / ٦٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،٣٤/١٠ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٨٧ ؛ أبي الفدا، المختصر، ٦٦/٣ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، (دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ٢٠٠٣م)، ص٣٥١.

(٦) أبي شامة ، عيون الروضتين، ٣١٢/١ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٢٨ ؛ كما وذكر المؤرخ ابن إياس سببا لوفاة العاضد لدين الله واختلف عن بقية المؤرخين في تحديد سنة الوفاة حيث قال : ((لما قطعت الخطبة عن العاضد ، حصل له غاية القهر ، فلما زاد الأمر عليه ، عَمِدَ إلى فص من الماس فابتلعه ، فمات في ليلته ، وكانت وفاته في عاشر من المحرم سنة ثمان وستين وخمسمائة ...)). ينظر . ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ /١ : ٢٣٦.

(٧) الواعبة : وعبه كوعده : أخذه اجمع ، كاوعبه واستوعبه واوعب جمع والجذع استأصله ، والوعب من الطرق الواسعة منها ، والوعاب مواضع واسعة من الأرض . ينظر. الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ١ / ١٣٧.

(٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٣٢٧.

(٩) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م)، ٤١ /٣٥٦ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام،١٨٦/٤.

الله الشاعر عمارة اليمني[1] بعد وفاته بقصيدة ومن جملتها قال :

يــا عــاذِلي فــي هَــوى أبنــاءِ فاطمــةٍ   لــكَ الملامَــةُ ان قصَــرت فــي عَــذلِي

بــالله زُر ســاحةَ القَصـرينِ وابكِ مَعِي   عليهمــا لا عَلــى صِـفِينَ والجَمَـلِ [2].

وقد أمر صلاح الدين بإنشاء وكتابة الكتب إلى البلاد يخبرهم بوفاة العاضد لدين الله والإعلان الرسمي بإقامة الخطبة للدولة العباسية أو العباسيين[3].

وبوفاة العاضد لدين الله انتهت رسمياً الدولة الفاطمية ، بعد ان حكمت مصر لمُدَّة قرنين ، تنعمت فيها بالثقافة والرخاء والتسامح الديني ، لم تكن مصر تعرفه من قبل ، وإنَّ نهاية الدولة الفاطمية الشيعية على يد الأيوبيين السنة ، وإعادة الخطبة للخليفة العباسي بعد أن غابت في مصر حوالي قرنين وثماني سنوات ، ما هو إلا انتصار حققه السنة على الشيعة[4].

ثالثاً : التهديدات والأخطار الخارجية

كانت التهديدات والأخطار الخارجية من أبرز العوامل التي كان لها دور في زعزعة سلطة الدولة والحكم في العصر الفاطمي والتي كانت تتركز على محورين مهمين هما الحروب الصليبية[5] والأخطار الخارجية المتمثلة بالأتراك وبشخص نور الدين محمود (٥٤١ ــ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ ــ

---

(١) هو ابو محمد عمارة بن ابي الحسن علي بن زيدان بن احمد الحكمي المذحجي اليمني الشافعي الفرضي ، استقر في مصر بعد ان هاجر من اليمن سنة (٥٥٢ هـ / ١١٥٧م) ، اراد التخلص من صلاح الدين بمؤامرة لكنها لم تنجح ، فتم صلبه سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) . ومن ابرز مؤلفاته (المفيد في أخبار زبيد) و (النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية) . ينظر . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ١٤١ ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤١م) ، ٢ / ١٧٧٧ ، ١٩٧٧ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ٧ / ٣٦٨ ــ ٣٦٩.

(٢) النويري ، نهاية الإرب، ٢٣٠/٢٨ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات، ١٧ / ٣٦٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٦ / ٤٧٩ ؛ الاميني ، عبد الحسين احمد النجفي ، الغدير في الكتاب والسنة والأدب ،(ط٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٧م) ، ٤ / ٤١٤.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٣٢٨ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢١٤.

(٤) حسن ، تاريخ الإسلام ،٤ / ١٨٦ ؛ الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، (المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٢م) ، ص ٣١٢.

(٥) الحروب الصليبية: هي حركة استعمارية كبرى ظهرت من الغرب الأوربي المسيحي في العصور الوسطى ، واتخذت شكل هجوم حربي استيطاني على الدول الإسلامية بهدف السيطرة على أراضيها . للمزيد من التفصيل ينظر. قاسم، الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى (١٠٩٥ــ ١٠٩٩م) ، (ط٢ ، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م)، ص٨٥ ؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م) ،٢٥/١؛ العابد، صالح، الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة، مجلة المورد، المجلد ١٦، العدد ٤، دار الحرية للطباعة، بغداد، السنة ١٩٨٧م، ص٥.

١١٧٣م)[١] وتدخلهم في شؤون مصر[٢].

استطاع الصليبيون من السيطرة على بيت المقدس سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) وارتكبوا مذبحة مروعة كان ضحيتها عدد كبير من الأطفال والنساء والشيوخ وغيرهم بلغت حوالي سبعين الف شخص ، فضلاً عن قيام الصليبيين بسرقة الأموال الطائلة وكذلك الذهب والفضة من قبة الصخرة والمسجد الأقصى واحرقوهما ، وأشارت المصادر التاريخية إلى أَنَّ هذه المعركة استمرت لمُدَّة أسبوع دافعت فيها الجيوش الفاطمية بكل ما أوتيت من قوة وعزيمة وبسالة[٣].

توجهت أنظار الصليبيين إلى مصر لما كانت تتميز به هذه البلاد من خيرات كثيرة ووفيرة ، فضلاً عن ذلك محاولة القضاء على قوة الدولة الفاطمية التي أصبحت تهدد كيانهم بعدما شعر الفاطميون بنوايا الغزو الصليبي وما يشكله من خطر على وجود واستقرار الدولة الفاطمية[٤].

وكانت المحاولة التي قام بها ملك بيت المقدس جودفري دي بويون في سنة (٤٩٤هـ / ١١٠٠م) من أولى المحاولات لغزو مصر والتي سعى من خلالها إلى اكتشاف طريق لمصر ؛ لكنه وافاه الأجل قبل ان يبدأ مشروعه فأتى من بعده أخوه بلدوين الأول الذي حاول ان يكمل مشروع اخيه فقام برحلة استكشافية لطريق مصر في سنة(٥١٠هـ/ ١١١٦م) من خلال طريق جنوب فلسطين فوصل إلى مدينة آيلة [٥] ثم واصل المسير حتى بلغ جزيرة سيناء إلا انه عاد إلى فلسطين[٦] كما أنه عاود المحاولة مرة أخرى في سنة (٥١١هـ / ١١١٧ م) فوصل إلى مدينة الفرما التي قام بنهبها وتقدم نحو تنيس إلا انه توفي في سنة (٥١٢هـ / ١١١٨م) وهو في طريق عودته عند مدينة العريش[٧][٨].

حقق الصليبيون انتصارات كثيرة باحتلال المدن تلو الأخرى في بلاد الشام والتابعة لحكم الفاطميين وكان الفاطميون يحاولون التصدي للغزو الصليبي إلا أَنَّ إمكانيات الدولة كانت متواضعة

---

(١) هو ابو القاسم محمود بن عماد الدين بن زنكي بن آقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر ، ولد في سنة (٥١١هـ / ١١١٧م) ، وتوفي في سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) ، بعلة الخوانيق ودفن في قلعة بدمشق ، ثم نقل منها إلى المدرسة التي أنشأها في دمشق عند سوق الخواصين. للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات ، (دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣م) ، ص ١٦١ ؛ الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) التاريخ الباهر ، ص ١٥٦ ؛ الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٣٣.

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٦ / ١٦٦ ؛ ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ٥ / ٢٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٤٧ ـ ١٤٨؛ الحريري ، سيد علي ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، (المطبعة العمومية ، القاهرة ، ١٨٩٩م) ، ص ٢٥.

(٤) الطيار ، مدينة القاهرة ، ص ٩٨.

(٥) آيلة : هي مدينة تقع على ساحل بحر القلزم مما يلي بلاد الشام ، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . للمزيد من التفصيل ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٦) الطيار ، مدينة القاهرة ، ص ٩٩.

(٧) العريش : هي مدينة كانت اول عمل مصر في ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل . للمزيد من التفصيل ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١١٣ ـ ١١٤.

(٨) الطيار، مدينة القاهرة ، ص ٩٩.

ومرت بأزمات سياسية واقتصادية فضلاً عن ضعف خلفائها فلم تتمكن من مقاومة هذا الغزو في الوقت الذي كانت أحلام الصليبيين تراودهم باحتلال مصر وأحياناً تتواضع لتقف مع حدود التحالف مع الفاطميين عن طريق فرض الأتاوات المالية عليهم ، ونتيجةً للضعف الذي مرت به الدولة الفاطمية تم عقد اتفاق بين ملك بيت المقدس عموري الأول (امالريك) وبين وزير العاضد لدين الله الصالح طلائع بن رزيك في سنة (٥٥٠هـ / ١١٥٥م) والذي نص على دفع أتاوة للصليبيين مقابل إبعاد خطرهم عن مصر وأشار (ابن القلانسي) إلى ذلك بقوله : ((ورد الخبر من ناحية مصر بان المنتصب في الوزارة فارس الإسلام بن رزيك لما استقام له الأمر عزم على مصالحة الفرنج وموادعتهم واستكفاف شرهم ومصانعتهم بمال يحمل إليهم من الخزانة وما يفرض على إقطاع المقدمين من الأجناد فحين شاورهم في ذلك أنكروه ونفروا منه وعزموا على عزله ...)) [١]. ويبدو أَنَّ الدولة الفاطمية كانت مضطرة لعقد هذا الاتفاق في سبيل الحفاظ على سلطتها وديمومية استمرارها والتوجه نحو ضبط الأمور في الداخل.

واستمرت الدولة الفاطمية إلى سنة (٥٥٨هـ / ١١٦٢م) تدفع المبلغ الذي تم الاتفاق عليه[٢] ثم أمتنع عن دفع المبلغ الوزير شاور بن مجير السعدي (٥٥٨ـ ٥٦٤ هـ/١١٦٢ـ١١٦٩م) [٣] عندما وصلت إليه رسل ملك بيت المقدس عموري الأول والتي طلبت منه دفع المبلغ المتفق عليه[٤] فاتخذها عموري الأول ذريعة للتحرك صوب مصر لغزوها مستغلاً بذلك الأوضاع السيئة التي كانت تعيشها ؛ بسبب ضعف الخلافة والصراعات التي حدثت على الوزارة فقام بتجهيز حملة عسكرية على مصر؛ لكنه فشل ولم يكتب له النجاح[٥].

وتولدت المخاوف من قبل قوة أخرى إلا وهي قوة نور الدين محمود في مدينة حلب عندما حاول عموري الأول غزو مصر[٦] فقد بدء والده عماد الدين زنكي (٥٢١ ـ ٥٤١ هـ / ١١٢٧ ـ

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣١ ؛ محمد ، مدينة القاهرة ، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) ويذكر المقريزي المبلغ الذي تم الاتفاق عليه بين الطرفين ومقداره (ثلاثة وثلاثين الف دينار) . ينظر . اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٥٩ . بينما ذكر آخرين (بمائة وستين الف دينار) . ينظر . رنسيمان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨م) ، ٢ / ٥٩٢ ؛ العريني ، السيد الباز ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، (دار النهضة العربية ، القاهرة ، د.ت) ، ١ / ٦٦٢.

(٣) هو ابو شجاع بن مجير بن نزار بن عشائر بن شاش بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن يخنس بن ابي ذؤيب عبد الله وهو والد مرضعة الرسول (ص) حليمة السعدية ، تولى الوزارة في عهد العاضد لدين الله مرتين ، كانت بداية أمره في خدمة الصالح طلائع بن رزيك فولاه الصعيد وقوص ، وقد عزله العادل رزيك بن طلائع بعد توليه الوزارة ، فقام شاور بجمع الجموع فقتل العادل وحل محله في الوزارة ، قتل شاور في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٤٣٩ ـ ٤٤٣ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٥٩.

(٥) المصدر نفسه ، ٣ / ٢٦٢.

(٦) عاشور، مصر والشام في عصر دولة الأيوبيين والمماليك، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م)، ص١٠.

١١٤٦م)[١] أتابك الموصل مشروعه القاضي في محاربة الصليبيين وإقامة جبهة إسلامية موحدة ضدهم وتمكن من تحرير إمارة الرها الصليبية في سنة (٥٣٩ هـ / ١١٤٤م) كما استطاع من تحقيق عدد من الانتصارات في شمال بلاد الشام[٢].

فتولى من بعده ولده نور الدين محمود الذي حاول إكمال مشروع والده والذي كان يقضي بتوحيد الموصل والجزيرة الفراتية وبلاد الشام لتصبح جبهة إسلامية موحدة ضد الصليبيين فامتد بعاصمته غرباً إلى مدينة حلب تمهيداً للدخول في المعارك الفاصلة لتحرير الأرض العربية الإسلامية من المد الصليبي[٣].

وبعد دخول مدينة دمشق في سنة (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) طوعاً في دولته حتى بعد هذه التطورات والتي مثلت مداً عربياً إسلامياً ويقظة أذكت الأخطار الصليبية مشاعرها ، فإنَّ ميزان القوى بين العرب المسلمين وبين الصليبيين لم تكن تسمح له الفرصة بان يبدأ التحرك الشامل لتحرير الأرض العربية الإسلامية من قبضة الصليبيين إلا بضم مصر إلى دولته ؛ لكي يتمكن من تطويق الصليبيين من جهة الشرق والشمال والجنوب ومن ثم يحدد لهم المصير المحتوم وهو الرجوع إلى أوربا من الطريق نفسهِ الذي جاءوا منه[٤].

مثلت أرض مصر لنور الدين محمود أهمية كبيرة [٥] فلذا تطلع إلى التدخل في شؤونها الداخلية والعمل على إنهاء الدولة الفاطمية من جهة ودفع الأخطار الصليبية عنها من جهة أخرى[٦].

---

(١) هو ابو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور ويعرف باتابك زنكي ، ولد في مدينة حلب سنة (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ، وترقى به الحال إلى ان ملك مدينة الموصل في سنة (٥٢١هـ / ١١٢٧م) ، حمل راية الجهاد ضد الصليبيين اغتيل في سنة (٥٤١هـ / ١١٤٦م) وهو محاصرٌ لقلعة جعبر . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٢٧ ــ ٣٢٩ ؛ الجميلي ، رشيد عبد الله ، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، (مطبعة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٤م) ، ص ٣١٦.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٣١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١ / ٩٤.

(٣) الطيار ، مدينة القاهرة ، ص ١٠١.

(٤) عمارة ، عندما أصبحت مصر عربية ، ص ١٣٠.

(٥) تمتعت مصر بأهمية كبيرة وخاصة انها تقع على الطرف الشمالي الشرقي من القارة الافريقية وتتصل في الوقت نفسه مع الطرف الجنوبي لقارة آسيا ، حيث عادةً ما تكون أطراف القارات منطقة جذب سكاني ، ولهذا تميزت هذه المنطقة بأنها اهم مراكز التجارة العالمية منذ أقدم العصور ، فاكسب هذا الموقع لمصر اهمية سياسية بالغة الدقة حيث أصبحت المركز الأساسي في التأثير السياسي في المنطقة ، فضلاً عن هذا فأَنَّ مصر امتازت بنهرها الذي يخترق أراضيها الجافة والذي حولها إلى بلاد تملك قوة اقتصادية ضخمة . ينظر. عطية ، الوجود الأيوبي في مصر دراسة في النشأة والتوسع، بحث قيد النشر في مجلة آداب الكوفة ــ كلية الآداب ــ جامعة الكوفة، ص٢.

(٦) الطيار ، مدينة القاهرة ، ص ١٠١.

رابعاً : التجسس [١] وإفشاء أسرار الدولة

من أخطر الجرائم التي كانت تهدد سلطة الدولة والحكم جريمة التجسس ، فقد اهتم الفاطميون بمكافحة أنشطة التجسس الموجهة ضد الأهداف الخارجية والداخلية ، فأسندوا هذه المهام إلى أحد الأشخاص الذي كان محل ثقة عندهم [٢] ، والذي عرف بصاحب الخبر وهو رئيس ديوان البريد [٣]، الذي كان واجبه إعطاء صورة واضحة للخليفة عن عمال الأقاليم وكافة أحوال البلاد ؛ لكي تتمكن الدولة من الاطلاع على كل حدث يحصل في وقته ، وكان صاحب الخبر يحصل على جميع أحوال البلاد بكافة تفاصيلها عن طريق العيون المنتشرة في أنحاء البلدان والمناطق[٤].

وكان العمال والعيون المتخصصون بمهمة التجسس يمثلون قلب هذا التنظيم ؛ بسبب طبيعة عملهم ، مما جعلهم متفردين عن باقي عمال الدولة ؛ وذلك لأن العمل الذي يقومون به يُعد من أشق الأعمال وأصعبها ، مما دفع الخلفاء إلى وضع الشروط للراغبين في العمل بهذا الجهاز[٥]، ومن تلك الشروط ان يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، ويمتاز بقوة الفراسة والذاكرة ، وله خبرة ودراية في معرفة جغرافية البلد وطرق الوصول إليها[٦].

وكذلك معرفته وإتقانه لغة أهل البلاد التي يقصدها ، وشدة الصبر والتحمل ، والقدرة على التنكر والدهاء والخديعة والحيلة مع تمتعه بالذكاء الفطري ، بسبب طبيعة المهمة التي يؤديها المكلف بها ألا وهي رصد حركات العدو ، ومعرفة مستجدات أسراره الحربية ليتسنى له استعمالها في كشف مخططات العدو الاستراتيجية والتعرف على مواطن نقاط الضعف فيه ، وعدد جنوده وحالتهم المعنوية ، وأنواع الأسلحة التي يستعملها[٧].

---

(١) التجسس : لغةً : مصدرها الفعل جسَّ أي لمس ، والجس هو جس الخبر ومنه التجسس ، والجاسوس هو الذي يتجسس الأخبار ويأتي بها . ينظر . ابن منظور ، لسان العرب ، ٦ / ٣٨ ؛ الدغمي ، محمد راكان ، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، (ط٢ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ص ٩٣. وأما اصطلاحاً : فهو متابعة أخبار العامة وأفعالهم وأقوالهم وهم لا يعلمون ونقلها إلى آخر ، مثل الحاكم أو العدو . ينظر . فتح الله ، معجم ألفاظ الفقه ، ص ٩٨ .

(٢) سيد ، عبد الله عيد كمال ، التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧ ــ ٩٢٣ هــ / ١١٧١ ــ ١٥١٧ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنصورة ، كلية الآداب ، ٢٠١١م ، ص ١٢.

(٣) ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ / ١١٠ ؛ عطية ، - و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٠.

(٤) رضوان ، يمنى ، أصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي (٢٩٧ ــ ٥٦٧ هــ / ٩٠٩ ــ ١١٧١م) ، جامعة الفيوم ، كلية الآداب ، ص ١٦٥. www.fayoum.edu.eg/staffabstract/DrYomna5.pdf

(٥) احمد ، ابراهيم علي محمد ، المدخل إلى علم الاستخبارات رؤية إسلامية ، (الدار السودانية للكتب ، السودان ، ٢٠٠٠م) ، ص ٥٨.

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١ / ١٢٣ ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٦م) ، ١٠ / ٢١٤ ؛ عطية ، ــ وعبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٠.

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١ / ١٢٣ ــ ١٢٥ ؛ سيد ، التجسس في العصرين ، ص ٤٩ ، ٥٧.

لذا فإنَّ جهاز التجسس في العصر الفاطمي ، قد نشط من خلال قيامه بدور فعال في معرفة الأحوال (السياسية ، والاقتصادية ، والدينية) لبعض المناطق ومواطن الضعف والقوة فيها تمهيداً لغزوها عسكرياً وفرض السيطرة عليها والتي كان من ضمنها مصر قبل السيطرة عليها[١]، حتى ان جماعة من اعيان مصر كتبوا إلى المعز لدين الله بأفريقية يطلبون منه إرسال الجنود إليهم ليسلموا إليه البلد، كما تعهدوا بتقديم كل أشكال العون والمساعدة له [٢] لكونهم وجدوا في الفاطميين كقوة فتية تستطيع ان تدارك ما اعترى البلاد من فساد وتدهور في ظل الضعف الذي انتاب العباسيين في بغداد[٣].

واستعان العزيز بالله بمجموعة من الجواسيس من أجل القيام بنقل الأخبار والمعلومات ، وكشف المؤامرات التي كانت تحاك ضد سلطة الدولة ، والحكم وسعيها لزعزعة الأوضاع والاستقرار الداخلي ، فيذكر (المسبحي) أَنَّهُ في يوم الأحد من شهر(ذي الحجة سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٥م) توفيت الجارية (تقرب) صاحبة خبر السيدة العزيزية وكانت محضيه لديها وترفع لها الأخبار وتدفع لها (الرقاع – التقارير) ، ويبدو أَنَّ صفاتها وهيئتها الجميلة كانت قد ساعدتها كثيراً، ووفرت لها مجالاً واسعاً للتحرك بكل حرية حتى أنها وصفت بأنها كانت ((جميلة المظهر ، لطيفة المعشر)) [٤].

وحاول بعض الجواسيس نقل المعلومات والأخبار إلى أعداء الفاطميين إذ تم زراعتهم وتجنيدهم داخل الدولة ، وهذا بحد ذاته يُعد جريمة ضد سلطة الدولة وأمنها واستقرارها الداخلي ، كما حدث في سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦م) عندما قام بعض الجواسيس من تجار مدينة آمالفي[٥] الايطالية والذين كانوا يعملون بصفة عملاء لصالح الدولة البيزنطية التي كانت تسعى للقضاء على قوة الفاطميين البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط[٦].

ففي الوقت الذي كانت تستعد فيه الدولة الفاطمية للقيام بحملة بحرية على الدولة البيزنطية ، قام التجار الأمالفيون بالاشتراك في إشعال النيران بسفن الأسطول الفاطمي التي كانت راسية في دار

---

(١) العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد ٥ ، العدد ١ـ٢ ، مطبعة الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٧م ، ص ٢٠٥.

(٢) ينظر على سبيل المثال . المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ٩٥/١، ١٠٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٧٧.

(٣) سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٥٤٩ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٣٣.

(٤) أخبار مصر ، ص ٢٣٤ ؛ صالح ، حسن محمد ، حضارة مصر في ظل الاسلام الشيعي . مئتان وعشر سنوات من الابداع الانساني ، (دار الجمان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣م) ، ٢ / ٤٣٦ ؛ عبد علي ، اساليب الدولة ، ص ٦٢ ــ ٦٣.

(٥) آمالفي : هي مدينة تقع على الساحل الغربي لإيطاليا . ينظر . لويس ، ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ــ ١١٠٠ م) ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ص ٣٤٤.

(٦) زيادة ، احمد السيد محمد ، التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية الاداب ، ٢٠٠٧م ، ص ١٢١.

صناعة مصر[١][٢] ومن جراء هذا الحريق دمرت سفن الأسطول ولم تنجوا إلا ست سفن فارغة[٣]، وقد اعترف هؤلاء التجار في محضر رسمي بأنهم هم من قاموا بحرق الأسطول الفاطمي[٤].

وحرص الحاكم بأمر الله على الاستعانة ببعض النساء لمعرفة الأخبار ورفع التقارير عن أمور الرعية وشؤون الأفراد وكل ما يختص بالشؤون العامة من خلال تقارير ترفع اليه [٥]، ونتيجةً لاتهام بعض موظفي الدولة بجريمة التجسس وإفشاء أسرار الدولة عمل الحاكم بأمر الله على التخلص في سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) من مؤدبه أبي القاسم سعيد بن الفارقي ؛ لأنه ((قد داخل الحاكم في أمور الدولة وقرأ عليه الرقاع واستأذنه في الأمور كهيئة الوزراء)) [٦]، وعندما قام أصحاب الخبر بابتزاز العامة مادياً وذلك بتهديدهم بإلصاق التهم بهم وهم أبرياء منها ، فضلاً عن عدم وجود الثقة في الأغلبية العظمى منهم ، كما أن نفوسهم كانت ضعيفة ؛ فلذا أصدر الحاكم بأمر الله أمراً في سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) ((بقتل أصحاب الأخبار حينما وجدوا ؛ وذلك إن كان قد قتل خلقاً كثيراً لسعايتهم ، ثم اطلع على خيانتهم وأنهم صيّروا ذلك معيشةً ، فقتلهم عن آخرهم))[٧].

كما تمكن صاحب الخبر والعيون من اكتشاف عدد من الخونة والعملاء الذين كانوا يعملون لحساب حسان بن مفرج بن الجراح في مصر ، وكان منهم الشيخ العميد محسن بن بدوس ــ أحد المقربين للظاهر لإعزاز دين الله ــ وكان قريباً منه [٨]، إلا أَنَّهُ راسل حسان بن الجراح بمعلومات عن أحوال الدولة وضعفها إذ ((أنه وجده عنده خط حسان بن جراح ، وخطه عند حسان بن جراح ، وقد كاتبه يحثه على النفاق والإيقاع بالدولة))[٩]، وحسن له دخول مصر بقوله : ((انك إذا وفيت بالعساكر لم تجد أحداً يلقاك ولا يمانعك، وإذا كاتبتني فلا تنفذ كتبك إلا على أيدي الرهبان ، فأنهم الثقات المأمونون ...))[١٠].

واحبطت عيون الفاطميين تحركات احد جواسيس حسان بن مفرج الجراح الذي تسلل إلى مصر وكان قاصداً إلى بني قرة في البحيرة يدعوهم إلى نصرته ويعدهم بغنائم كثيرة ، فأجابه بنو قرة

---

(١) وتقع هذه الدار في ساحل مصر القديم (ساحل النيل) . ينظر . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ٣٧٩.
(٢) الشرع ، ماجدة مولود رمضان ، طبيعة العمل التجاري لتجار الجاليات الاجنبية في مصر الفاطمية ، المجلة الليبية العالمية ، جامعة بنغازي ، كلية التربية ــ المرج ، العدد ، ١٦ ، السنة ٢٠١٧م ، ص ٣.
(٣) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٣٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٩٠.
(٤) المصدر والجزء والصفحة نفسها ، عطية ، ــ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢١.
(٥) يحيى بن سعيد ، تاريخ الأنطاكي ، ص ٣٠٨ ــ ٣٠٩ ؛ صالح ، حضارة مصر ، ٢ / ٤٣٦.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٢ .
(٧) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١١٥.
(٨) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٣٨.
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٧٧.
(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ؛ عطيه ، ــ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢١ ــ٢٢.

بالموافقة ، فقبض على رسول حسان ، وأخذت منه الكتب وتم حبسه[١]. ويبدو أَنَّ الدولة الفاطمية كانت جادة وحاسمة في موضوع التجسس ؛ لأنه من أخطر الجرائم التي تهدد سلطتها وتفسح المجال أمام أعدائها للانقضاض عليها.

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٦٢ .

المبحث الثاني : الجرائم ضد الأفراد

حفل العصر الفاطمي بالعديد من الجرائم التي ارتكبت ضد الأفراد ، وهي من الجرائم التي كانت تمس سلامة الأشخاص وتلحق بهم الضرر سواءً أكان جسدياً أم معنوياً ومن أهمها :

أولاً : القتل

شهد العصر الفاطمي جرائم قتل عديدة ، ففي سنة (٣٦٣هـ / ٩٧٣م) قام بنو هلال ، ومجموعة من العرب بقتل عدد كبير من الحجاج ، وعلى إثر هذه الحادثة أبطل الحج ، ولم يتمكن من أداء الفريضة أي شخص إلا من كان في طريق المدينة مع قافلة الشريف ابي احمد الموسوي والد الشريف الرضي الذين تمكنوا من إتمام حجهم[١].

ومن جرائم القتل التي حصلت في عهد العزيز بالله ، هو ما وقع بحق رجل من التجار الغرباء الذي كان مقيماً في قيسارية الإخشيد التي يسكنها البزازون خلف الجامع العتيق ، فقُتل في منزله واخذ ماله ، فتم اعتقال مجموعة من أولاد التجار ومن كان ساكناً حول هذا المكان وللاشتباه بهم من اجل التعرف على الجاني [٢] ، كما احتال مفرج بن دغفل بن الجراح على ابي تغلب الحمداني[٣] وقتله صبراً وقام بإحراقه في النار[٤] بمكيدة دبرها أحد جنوده [٥]، وعلى الرغم من أَنَّ هذا التصرف المرتجل من قبل مفرج لا يعكس سياسة العزيز بالله المتسامحة ، فإنَّ (يحيى بن سعيد) بين ذلك بخشية أن تتكرر حالة منجوتكين مع الأمير الحمداني فيصفح العزيز بالله عنه ، ويصطنعه فتكسب الدولة حليفاً جديداً لها في المنطقة مقابل تضاؤل الاعتماد على مفرج بن دغفل في بلاد الشام[٦] .

وحدثت في عهد العزيز بالله جريمة قتل الشاعر المعروف بمصر الحسن بن بشر الدمشقي[٧]، الذي كان شاعراً كثير الهجاء ، فهجا الوزير يعقوب بن كلس الذي اشتكاه إلى العزيز بالله ، فامتعض منه إلا أَنَّهُ قال : ((اعف عنه ، فعفا عنه)) ، ثم دخل الوزير على العزيز بالله فقال : ((لم يبق للعفوا عن هذا معنى ، وفيه غض من السياسة ونقصٌ لهيبة الملك فانه قد ذكرك وذكرني ، وذكر ابن زبارج

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٤٩ ؛ الجزيري ، زين الدين عبد القادر بن محمد الانصاري الحنبلي (ت نحو سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩ م) ، الدرر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن اسماعيل ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ١ / ٣٣١.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٦٣ـ٢٦٦.

(٣) هو الامير ابي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة الحمداني ، الملقب بـ (عدة الدولة) ، من امراء الدولة الحمدانية في الموصل والجزيرة ، وكان أديباً وشاعراً فضلاً عن كونه حاكماً في الموصل . ينظر . السامر، الدولة الحمدانية في الموصل ، ٢ / ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥ ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ١٩٥.

(٥) كان اسم الجندي (منيع) وهو الذي شاغل الامير بالكلام فاطمئن اليه حتى اقترب منه فطعن فرسه برمح بيده فسقط الأمير الحمداني على الأرض ووقع اسيراً. ينظر. ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥.

(٦) تاريخ الانطاكي ، ص ١٩٢ـ١٩٣.

(٧) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته.

نديمك ، وسبك بقوله :

زبارجي نديمٌ وكلسي وزير نعم على قدر الكلب يصلح الساجور))

وعلى إثر ذلك غضب العزيز بالله ، وأمر بإلقاء القبض عليه ، ولكنه أراد أن يطلق سراحه بعد مُدَّة فأرسل إليه يطلبه ، إلا أَنَّ عيون ابن كلس الذين كانوا متواجدين في القصر ، أخبروه بذلك فعندها أمر بقتله فقتل [١]. ويبدو أَنَّ العزيز بالله كان غير راغباً في قتله ؛ لكن الوزير ابن كلس عاجله فقتله ؛ لكي يتخلص منه أنتقاماً لهجائه وانتقاصه منه في شعره.

وكانت الدولة تقوم في بعض الأحيان بارتكاب جريمة القتل والإبادة الجماعية ، وهذا ما حصل في عهد الحاكم بأمر الله، ففي سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) حينما قام والي دمشق جيش بن الصمصامة بتدبير مذبحة كبيرة بحق مجموعة من زعماء الأحداث هناك ، فتم ذلك عندما دعاهم لحضور مأدبة طعام عنده في القصر ، وأثناء تناولهم الطعام أمر بضرب رقابهم ، كما قبض على أشراف مدينة دمشق وسيرهم مقيدين إلى مصر إذ تم تشهيرهم هناك[٢].

كما أدى استئثار برجوان وفساده بالسلطة من دون الحاكم بأمر الله إلى التفكير في قتله ، وبالفعل تم ذلك له في سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) [٣]، وهذا العمل أثار حفيظة كافة العمال ، وخوفهم والموظفين والعامة ، فاجتمعوا حول القصر مطالبين الحاكم بأمر الله ببيان ما حصل ، إلا أَنَّ الحاكم بأمر الله كان من الشجاعة والذكاء ما جعله يكسب حب العامة وودهم ؛ وذلك بما قدمه من تبريرات مقنعة لقتل برجوان وكيفية التخلص منه[٤].

وممن تعرض إلى التصفية والقتل الحسن بن عمار زعيم قبائل كتامة ، والذي تم قتله في سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) ؛ بسبب محاولته فرض رأيه على الحاكم بأمر الله وخصوصاً انه كان أحد الأوصياء عليه ، فضلاً عن رغبته في توجيه ضربة لزعامات كتامة بقتل كبيرهم[٥].

وارتكب الحاكم بأمر الله جريمة القتل في سنة (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) فقام بقتل(مقدار بن حسن) كاتب جوهر فضرب عنقه وأحرقه بالنار ، كما قتل منجمه وصاحب الرصد العكبري [٦]، وهو من شديدي الاختصاص به ، فنادى مناديه بهدر دماء المنجمين وعدّهم كفار ، وعلى إثر هذا هرب المنجمون من الديار المصرية ولم تبقى منهم باقية [٧] . ويبدو ان الرواية التي ذكرها النويري والمتعلقة بالمنجمين لم ترد في اغلب المصادر التاريخية .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٤٧٧ ـ ٤٧٨ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١١٢ ـ ١١٣.
(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٦٩.
(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ٢٧٠ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٩٩.
(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٧ ؛ عطية ، ـ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٢.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٦ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٦.
(٦) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .
(٧) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١١١.

وفي سنة (٣٩٤هـ / ١٠٠٣م) أقدم الحاكم بأمر الله على قتل الركابية [١] ((وأصحاب الستر والوزراء والقضاة ، واستمر به هذا الحال))[٢].

كما قتل الحاكم بأمر الله الحسين بن جوهر ، والقاضي عبد العزيز بن النعمان [٣] في سنة (٤٠١هـ / ١٠١٠م) ، فقد وجه لهما الحاكم بأمر الله الاتهامات ، حينما قام الحسين بن جوهر بمكاتبة ابي ركوة الذي سعى إلى غزو مصر الا انه هزم [٤] ، فضلاً عن ذلك لجوئهما إلى أعداء الدولة من بني قرة ، مما ولد الشكوك لدى الحاكم بأمر الله ضدهم ، فأمر بإلقاء القبض عليهما ثم اصدر أمراً بقتلهما[٥].

وفي سنة (٤٠٥هـ / ١٠١٤م) عمل الحاكم بأمر الله على التخلص من قاضيه مالك بن سعيد الفارقي [٦] ، لموالاته أخت الحاكم بأمر الله ست الملك ومراعاتها ، والتي انفلق منها [٧] ، فتم قطع رأسه ورمي بجثته في طريق القصر [٨].

وقُتل أيضاً الوسيط أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح ، فقد تعرض في سنة (٤٠٩هـ / ١٠١٨م) إلى محاولة اغتيال ؛ بسبب زيادة نفوذه وحظوته لدى الحاكم بأمر الله مما ولد له كثير من الأعداء في الدولة ، وأثناء توجهه من داره إلى مدينة القاهرة تعرض له فارسان متنكران فقام أحدهما برميه برمح فجرحه وهرب ، فرجع ابن فلاح إلى داره مجروحاً ، وعلى إثر الجراحات التي أصيب بها فارق الحياة في اليوم الآتي [٩]. ويبدو أنَّ الحسد الذي تولد لدى هؤلاء كان دافعاً في عملية قتله لكونه يتمتع بمركز مرموق فضلاً عن زيادة حظوته لدى الحاكم بأمر الله.

---

(١) الركابية : هم الذين يقومون بحمل السلاح حول الخليفة عند ركوبه في المواكب ، وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم ايضاً بصبيان الركاب الخاص ، وهم الذين يعبر عنهم بالسلاح داريه والطبرداريه . للمزيد من التفصيل ينظر . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣ / ٤٨٤.

(٢) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١١٢.

(٣) هو عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي القيرواني ، ولد في الأول من شهر (ربيع الاول سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٦م) ، تولى القضاء والمظالم في سنة (٣٩٤هـ / ١٠٠٣م) . للمزيد من التفصيل ينظر. الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٩٥ ، ٦٠٤ ؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الاصر ، ص ٢٤٦ ــ ٢٥٠.

(٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٣٥ ؛ ماجد ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، (ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ م) ، ص ٥٤ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ٨٤.

(٥) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٦٣ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٧٠.

(٦) هو أبو الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي ، تولى منصب القضاء من قبل الحاكم بأمر الله بعد عزل القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان في يوم الجمعة السادس عشر من شهر (رجب سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧ م) ، فقرئ سجله وهو قائم على قدميه في القصر. للمزيد من التفصيل ينظر . الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٩٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧١ ــ ٧٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٣١٦ ــ ٣٢١.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠٧ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ٩٩ ــ ١٠٠.

(٨) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢١٣ ؛ ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٨٩ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٦.

(٩) ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٦٣ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٠.

ومن جرائم القتل البشعة التي حدثت في عهد الظاهر لإعزاز الله ، ما حصل في سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) من إقدام جماعة من اللصوص بقتل التاجر أبي الحسن السوسنجردي ((وكان شيخاً ، ذات سمت ، وكان له مال يتجر فيه إلى بلاد المغرب ، وكان قد سكن في دار ابتاعها ، وكان يسكنها هو وغلامه ، فطرق الموضع قوم من اللصوص نهاراً ، فذبح التاجر وغلامه ، واخذ ما وجد من ماله ، ووقع الطلب على الجناة إلى أن حصل واحد منهم ، فقبض عليه متولي الشرطة السفلى ابن كافي ، واستأذن في ضرب رقبته ، فأمر بذلك فضربت رقبته))(١).

وفي السنةِ نفسِها أيضاً حصلت جريمة قتل أخرى عندما قام ثلاثون رجلاً من بني قرة بمهاجمة مدينة سفط (٢) ونهيا (٣) فقتلوا قاضي مدينة سفط واستاقوا مائة وخمسين من الخيل لأهل الدولة ، كما ساقوا إلى معضاد (٤) أيضاً ثلاثمائة رَمكة (٥) وأربعة آلاف رأس من الضأن ((فلم يخرج احد لطلبهم ، ولا أنكر شيء من ذلك))(٦).

وحدثت في هذه السنة جريمة قتل أيضاً عندما عثر في أطراف الصحراء على تاجر مقتول ((وقد أخذت عمامته من رأسه وردائه ، وأنه وجدت فيه ضربات ، وأنه كان معه دنانير ودراهم في منديل أخذت ، فحمل في نعش إلى الشرطة السفلى))(٧) .

ولم تكن جرائم القتل محصورة على الرجال فقط وانما شملت النساء أيضاً ، ففي السنةِ نفسِها قتلت امرأة ضعيفة وكانت ميسورة وطاهرة وصائمة دائماً ، وكان لديها غلام يعمل في فرن إلى جانب منزلها ((فطلع عليها جماعة من طاق الفرن فخنقوها حتى ماتت ، وأخذوا ما وجدوا من رحلها ، فقبض عليهم وعلى الغلام الذي كان لها ليقرروا ...))(٨).

وفي سنة (٤٢٣هـ / ١٠٣١م) اجتمع عدد كبير من الشيعة في افريقية ، وذهبوا إلى أعمال نفطة (٩) فتمكنوا من الاستيلاء على بلد منها وسكنوه، عندها أرسل المعز بن باديس إليهم جيشاً فدخلوا

---

(١) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٢٩ ؛ عطية ، ــ وعبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٣.
(٢) سفط: هو اسم يطلق على عدد من القرى المصرية القديمة ، ولعل المقصود بها سفط اللبن التي كانت في الجيزة في الجنوب الغربي لناحية المعتمدية . ينظر . ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٣٨ ــ ٣٣٩ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ، ٤ / ١٣٢ ؛ رمزي ، القاموس الجغرافي ، ٢ / ٣ : ٦١ ــ ٦٢.
(٣) نهيا: هي مدينة تقع في غرب مدينة سفط وسط الحوض ولا يصل اليها في زمن الفيضان إلا عن طريق المراكب . ينظر . الوطواط ، جمال الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري الكتبي (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) ، من مباهج الفكر ومناهج العبر صفحات من جغرافية مصر ، تحقيق : د. عبد العال عبد المنعم الشامي ، (المطبعة العصرية ، الكويت ، ١٩٨١ م) ، ص ٧٩ ؛ رمزي ، القاموس الجغرافي ، ٢ / ٣ : ٦٤ .
(٤) هو احد الاربعة الذين استولوا على شؤون الظاهر لإعزاز دين الله. ينظر. المناوي، الوزارة،ص١٥٥:هـ (١).
(٥) الرمكة : بفتحتين ، هي الأنثى من البراذين ، وجمعها رماك ورمكات وارماك ، مثل ثمار وإثمار . ينظر . الرازي ، مختار الصحاح ، ص ١٣٩.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٦٩ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١٥٥.
(٧) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٢٣٣.
(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ ؛ عطية ، ــ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٣.
(٩) نفطة : هي مدينة تقع في افريقية من أعمال الزاب الكبير ، وأهلها شراة إباضية ووهبية متمردون . ينظر . ياقوت
←

البلاد فتمت محاربتهم وقتلهم جميعاً[١].

كما حدث في السنةِ نفسِها جريمة قتل ، عندما أمر الظاهر لإعزاز دين الله ومن دون سبب واضح بقتل أحد الدعاة الشيعة [٢]، وعلى الرغم من أَنَّ المصادر التاريخية لم تتطرق إلى معلومات وافية عنه ، إلا انه يبدو أَنَّ الشخص كان يتمتع بمكانة مرموقة عند الشيعة ، فقد خرجت في شوارع مدينة القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية المظاهرات ، والتحق مع الثوار بعض رجال الجيش وقاموا بفرض حصار على القصر الفاطمي ، كما وتحدث بعض دعاة الشيعة بخلع الظاهر لإعزاز دين الله من حكم الخلافة الفاطمية[٣].

وتدارك الظاهر لإعزاز دين الله الأمور؛ لكي لا تخرج من يده وقدم اعتذاره إلى الشيعة ، كما أنفق عليهم عشرون ألف دينار، وأصدر عفواً عاماً عن كل من كانت له يد في تلك الثورة ، فسكتت الرعية وانتهت ثورتهم فعاد الهدوء والاستقرار من جديد إلى العاصمة[٤].

ولم يخلوا عصر المستنصر بالله من جرائم القتل ، فقد حصلت في عهده جرائم متعددة ، ففي سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) قام علي الصليحي (٤٢٩ ــ ٤٧٣ هـ/١٠٣٧ ــ ١٠٨٠ م)[٥] بقتل المؤيد نجاح أمير بلاد اليمن الذي كان عبدً حبشياً ، وتمكن من تأسيس دولة في اليمن في سنة (٤١٢هـ / ١٠٢١م) واستمر في الحكم حتى مقتله على يد علي الصليحي فخلفه من بعده ابنه سعيد الأحول[٦] الذي وافاه الأجل في سنة (٤٨١هـ / ١٠٨٨م)[٧].

وارتكب في سنة (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) الوزير بدر الجمالي جريمة قتل عندما وصل إلى مدينة دمشق والياً عليها وعلى بلاد الشام بأكمله من قبل الفاطميين ، فقام بغزو بني سبيش ونكّل بهم ، ثم رجع إلى الاقحوانة فجاءه أميران أخوان من قيس فعمد على قتلهما على إثر غارات قام بها في بلاد

←
الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ٢٩٦.

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٢٠٥ ؛ الشالجي ، عبود ، موسوعة العذاب ، (الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، د.ت) ، ٤ / ٣٥١.

(٢) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٨٠ ؛ خلف ، ثورات المصريين ، ص ٢٢٤.

(٤) المرجع والصفحة نفسها.

(٥) هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي ، صاحب اليمن وكان والده محمد قاضياً باليمن سني المذهب ، نشأ في بيت علم وسيادة ، كما انه كان فقيهاً تواقاً للرئاسة ، قتل في سنة (٤٧٣هـ/ ١٠٨٠ م) علي يد سعيد الأحول . للمزيد من التفصيل ينظر .ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤١١ ــ ٤١٥ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، حققه وخرج احاديثه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط ــ ود. محمد نعيم العرقوسي ، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤م) ، ١٨ / ٣٥٩ ــ ٣٦٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٤ / ٣٢٨.

(٦) هو سعيد الأحول بن نجاح الحبشي ، يُعد ثاني أمراء الدولة النجاحية في زبيد . للمزيد من التفصيل ينظر . الزركلي ، الأعلام ، ٣ / ١٠٣.

(٧) زامباور ، ادوارد فون ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه : د. زكي محمد حسن بك ــ و حسن احمد محمود ، اشترك في ترجمة بعض فصوله : د. سيدة إسماعيل كاشف وآخرون ، (دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص ١٧٩ ، ١٨١ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٥٧.

الشام قبل ان يصل إليها[١].

وحدثت جريمة قتل في سنة (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) أثر قيام تاج الملوك شادي[٢] بقتل الوزير ابن العجمي (٤٥٥ ـ ٤٦٥هـ/١٠٦٣ ـ ١٠٧٢م) [٣] عند الشرطة في مدينة القاهرة أثناء طريقه إلى القصر[٤].

كما ارتكب بدر الجمالي جرائم قتل أخرى ففي سنة (٤٦٦ هـ/١٠٧٣م)، أقدم على قتل أماثل المصريين وحكامهم ووزرائهم جماعة [٥] ومن ضمن الوزراء المقتولين كان الوزير الحسن بن ثقة الدولة مجلى بن أسد المعروف بابن أبي كدينة (٤٥٥ ـ ٤٦٦هـ/١٠٦٣ ـ ١٠٧٣م) [٦]، وكان قد تقلد منصب القضاء أربع عشرة مرة ومنصب الوزارة سبع مرات ، فألقى القبض عليه وبعثه إلى مدينة دمياط فقتله بها ، والوزير أبا المكارم المشرف بن سعد بن عقيل (٤٥٦ ـ ٤٥٧هـ/ ١٠٦٣ـ ١٠٦٤م) [٧] ، والوزير أبا شجاع محمد بن الاشرف[٨] ، والوزير أبا العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف (٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) [٩]، فضلاً عن قيامة بقتل جماعة كثيرة[١٠].

---

(١) دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ٥٨.

(٢) هو قائد تركي ، وكان زعيم طوائف الأكراد في الجيش الفاطمي والتي بلغ عدد أفرادها خمسة آلاف رجل ، وقد أصبحت هذه الفئة تعرف بـ(الطائفة الحمدانية) . للمزيد من التفصيل ينظر . السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥٧) ، ص ١٨٦ ؛ الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية ، ص ٧٦ : هـ (٤) .

(٣) هو الوزير الأجل الأوحد الأسعد تاج الوزراء الامين المكين شرف الكُفاة ذو المفاخر خليل أمير المؤمنين وخالصته ابو غالب عبد الظاهر بن فضل المعروف بابن العجمي ، وكان جده ينعت بالموفق في الدين ، وهو من دعاة الدولة وعرف ابو غالب بالجرأة والإقدام ، تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله عدة مرات ، انتهت حياته بالقتل في سنة (٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م) . ينظر .ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٨٩ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٤ / ١١.

(٤) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣١٠ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ٨٠ .

(٥) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٥١.

(٦) هو الوزير الأجل الأوحد جلال الإسلام ظهير الإمام قاضي القضاة وداعي الدعاة شرف المجد خليل أمير المؤمنين وخالصته الحسن ابن القاضي ثقة الدولة وسنائها المعروف بابن أبي كدينة ، تردد بين منصب الوزارة والقضاء ، شغل منصب الوزارة في عهد المستنصر بالله . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٨٩ ـ ٩٠ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٧.

(٧) هو أبو المكارم المشرف بن اسعد بن عقيل من صنائع الوزير عبد الله بن محمد البابلي (٤٥٠ هـ ـ ٤٥٥ هـ/ ١٠٥٨ ـ ١٠٦٣ م) وخاصته ، وكان ينعت برئيس الرؤساء، تقلد منصب الوزارة في عهد المستنصر بالله إلى ان قتل علي يد بدر الجمالي من ضمن الذين قتلهم من وزراء مصر ورجالها . ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص٩١ ؛ المناوي ، الوزراة ، ص ٢٦٢.

(٨) هو الأجل المعظم فخر الملك ابو شجاع محمد بن الاشرف، وهو من رؤساء العراقيين، وكان والده فخر الملك أبو غالب محمد بن علي بن خلف قد وزر لبهاء الدولة ابي نصر بن عضد الدولة فناخسروا ، تقلد الوزارة في عهد المستنصر بالله أياماً وانصرف . ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٩٢ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٦٣.

(٩) هو أبو العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف ، تقلد الوزارة في عهد المستنصر بالله أياما وانصرف ، خدم في ايام دولة ابو محمد الحسن اليازوري وكان يدعوه باسمه ، فارتقى به الحال إلى ان جعله واسطته وبقى إلى ان دخل امير الجيوش فنفي إلى قيسارية وبعدها نقل إلى تنيس وقتل بها. ينظر . ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٩٤ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٦٧.

(١٠) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٤٠ ـ ٤١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٦٢.

وحدثت في سنة (٤٧٣ هـ / ١٠٨٠م) جريمة قتل بحق صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي ، وهو في طريقه لمكة المكرمة أثناء توجهه إلى الحج ، وقتل معه اخوه عبد الله في قريةٍ يقال لها أم الدُّهيم [(١)] ، وكان الذي ارتكب جريمة قتلهما هو سعيد بن نجاح الأحول الذي قتل أيضاً جميع بني الصليحي واحتاط على أموالهم وذخائرهم واقبل إلى زبيد ورؤوس الصليحيين بين يديه ، ولم يكتفِ بذلك بل سبى زوجة علي بن محمد الصليحي ، فأقامت في الأسر عند زبيد مُدَّة سنة كاملة ، حتى تمكن ولدها أحمد من استنقاذها بعد ذلك [(٢)]. ويبدوا أَنَّ هذه الجريمة كان دافعها طلب الثأر بعدما أقدم الصليحي على قتل والد سعيد الأحول نجاح.

وفي سنة (٤٧٨ هــ / ١٠٨٥م) حصلت جريمة قتل بحق الحجاج ارتكبها قوم من العرب بعد خروجهم على الحجاج المصريين فقتلوا خلقا كثيراً منهم ، كما اخذوا أموالهم فرجع من سلم منهم ولم يتمكنوا من اداء فريضة الحج لهذه السنة[(٣)].

كما حدثت جرائم قتل أخرى بحق الحجاج في سنة (٤٨٦ هــ / ١٠٩٣م) وبالتحديد بحق الحجاج القادمين من بلاد الشام ، فعادوا سائرين عند إكمالهم لمراسيم الحج ، فأرسل اليهم أمير مكة المكرمة محمد بن أبي هاشم الحسيني جيشاً ، والذي قام بنهب أموال وجمال الحجاج ، وعلى إثر ذلك ذهب الحجاج إلى امير مكة المكرمة يطالبوه باسترجاع ما أخذ منهم ، واشتكوا اليه من بعد مسافة بلادهم ، إلا أَنَّهُ لم يستجيب لهم بالشيء الكثير ، فأعاد بعض ما أخذ منهم ، فذهبوا عائدين من مكة المكرمة ، ولما أصبحوا بعيدين في المسافة ، تم اعتراضهم من قبل مجموعة من العرب على جهات عدّة ، فاخذوا منهم الأموال ، بعد ان قُتل مجموعة كبيرة من الحجاج ، فهلك الكثير منهم بالضعف والانقطاع ، وقد عاد السالم منهم في اقبح صورة واكسف بال[(٤)].

واعتدى جند المستنصر بالله على تاجر يهودي من تجار الجواهر ، وكان هذا التاجر من المقربين إلى الخليفة ويعتمد عليه في شراء ما يحتاجه من الجواهر ، فقام جنده بقتله ، وبلغ ثراء التاجر أَنَّهُ وجد في سقف داره ثلاثمائة جره من الفضة ، زرع في كل منها شجر كأنها حديقة وكلها أشجار مثمرة ، ولما أحس أحد جنود المستنصر بالله بما فعلوه بحق الخليفة ، ذهبوا إلى ظاهر مدينة القاهرة واستمروا هناك حتى الظهر ، فاتاهم رسول الخليفة يسألهم ((ان كانوا مطيعين للخليفة))

---

(١) أم الدُّهيم : هي موضع يقع بالقرب من مدينة المَهجم بوادي سُردُود من بلاد تهامة . ينظر. المقحفي ، أبراهيم أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، (دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع ، صنعاء ، ٢٠٠٢م) ، ص ٦٢٩.

(٢) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٢٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤١٤ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ١ / ٣٥٦.

(٣) الجزيري ، الدرر الفرائد ، ١ / ٣٤٧.

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٩٨ ؛ الجزيري ، الدرر الفرائد ، ١ / ٣٤٨.

فقالوا : ((نحن عبيده ولكننا اذنبنا)) فسألهم ان يعودوا فاستجابوا له فعادوا[١].

وكان اخو التاجر المقتول لما ملكه الفزع والخوف كتب رسالة إلى المستنصر بالله جاء فيها ((اني أقدم للخزانة مائتي الف دينار مغربي حالاً)) ، وعند ذلك أمر المستنصر بالله بعرض الرسالة على العامة ، ومن ثم تمزيقها على الملأ ، وقال : ((كونوا آمنين ، وعودوا إلى بيوتكم ، فليس لاحد شأن بكم ، ولسنا بحاجة لمال أحد))[٢].

وفي عهد المستنصر بالله ايضاً حدثت في صعيد مصر فتنة ادت إلى ارتكاب جريمة قتل بحق رهبان دير أبا نوب بالقرب من الاشمونين[٣][٤].

وفي عهد المستعلي بالله حدثت جرائم قتل متعددة ، فقد ارتكب وزيره الأفضل بن بدر الجمالي في سنة (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م) جريمة قتل بحق جماعة من وجهاء مدينة الاسكندرية بعد ان وجه لهم تهمة البيعة لنزار ابن المستنصر بالله ، وكان من جملة المقتولين القاضي ابن عمار[٥]، وكذلك رئيسها والمتصرف فيها[٦].

ومن جرائم القتل التي حصلت في عهده والتي ارتكبها الصليبيون في سنة (٤٩١ هـ / ١٠٩٧م) عندما ذهبوا إلى مدينة انطاكية فلم ينازلوها فوصلوا إلى المعرة [٧]، وقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان وسبوا مثلها ، كما دخلوا إلى كفر طاب [٨] وفعلوا مثل ذلك ، فرجعوا إلى مدينة أنطاكية وكان يوجد بها الأمير شعبان ، وقيل شقبان ، وقيل غير ذلك [٩] ، وعلى الصليبيين كان صنجيل[١٠]

---

(١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ١٢٤ ؛ عوض الله ، الامين محمد ، اسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك ، (مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٤م) ، ص ١٤٨.

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ١٢٤ ؛ عوض الله ، اسواق مصر ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٣) الاشمونين : هي من أعظم مدن الصعيد ، ويقال أنها من بناء أشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح (عليه السلام) . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ١ / ٦٦٤ ـ ٦٦٥.

(٤) عطا الله ، خضر أحمد ، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت) ، ص ٨٧ .

(٥) هو ابو عبد الله محمد بن عمار ، الحاكم في مدينة الإسكندرية ، كان حسنة الدهر ونادرة العصر ، عاداه بنو اهرسة وسعوا به إلى الأفضل بن امير الجيوش ، والذي قبض عليه واعتقله وقتله . ينظر . المقريزي ، المقفى الكبير ، ٦ / ٤٠٢ ـ٤٠٣ ؛ اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٥.

(٦) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٣٢ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٦٣.

(٧) المعرة : هي بلد وكورة في نواحي حلب ومن اعمالها بينهما نحو خمسة فراسخ . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ١٥٦.

(٨) كفر طاب : هي بلدة تقع بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب إلا ما يقيمون بجمعه في الصهاريج من مياه الامطار . ينظر. المصدر نفسه ، ٤ / ٤٦٧.

(٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٤٤. ورد عند ابن القلانسي بأسم (ياغي بيسان) . ينظر . ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ . وذكره ابن الأثير بأسم (باغيسيان) . ينظر . الكامل في التاريخ ، ٩ / ١٤ . كما وذكره ابن العبري بأسم (جيسفان) . ينظر . تاريخ الزمان ، نقله إلى العربية : اسحاق أرملة ، قدم له : د. جان موريس فييه ، (دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩١م) ، ص ١٢٣.

(١٠) هو ريموند دي سان جيل ، قوموس تولوز . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٤٤ ـ ١٤٥ : هـ (٤).

فقام بمحاصرتها مُدَّة ، فنافق فيروز [١] وهو رجل من مدينة أنطاكية ، ففتح لهم باليل شباكاً فدخلوا منه ، ووضعوا السيف وعلى إثر ذلك هرب شعبان تاركاً أهله وأمواله وأولاده في المدينة ، ولما أصبح بعيداً عن البلد شعر بالندم على ذلك ، فنزل عن فرسه وبكى ولطم ، فبقى وحيداً عندما تفرق عنه أصحابه ، وعندما مر به رجلٌ من الأرمن حطاب عرفه ؛ فأقدم على قتله ، وقام بحمل رأسه إلى ملك الصليبيين صنجيل[٢].

وأما في عهد الآمر بأحكام الله واطأ لؤلؤ خادم رضوان على قتل ابن أستاذه الب أرسلان في سنة (٥٠٨ هـ / ١١١٤م) فتم الفتك به في قلعة حلب[٣].

وفي عهده أيضاً ارتكب بغدوين ملك الصليبيين جريمة قتل في سنة (٥١١ هـ / ١١١٧م) عندما هجم على مدينة الفرما ، فقام بحرق جامعها وأبواب المدينة ومساجدها ، وقتل بها رجلاً مقعداً كما ذبح ابنته على صدره ، بعد أن فرض على المدينة حصاراً استمر أياماً ، ثم غادر المدينة وعاد إلى بيت المقدس ، وكان مثقل بالمرض [٤] فتوفي في الطريق قبل وصوله إلى مدينة العريش ، فقام الصليبيون بشق بطنه ، وإلقاء مصارينيه ودفن جثته في قمامة عند بيت المقدس[٥].

وقام الآمر بأحكام الله في سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م) بقتل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، والذي انتهج السياسة نفسها التي كان عليها والده بدر في التعامل مع الخلفاء الفاطميين ، والتي اتسمت بالحجر والتضييق عليهم ، فإنَّ الأفضل قد زاد على الآمر بأحكام الله إذ منعه من شهواته [٦] ، وكان الأفضل يسعى لقتل الآمر بأحكام الله فدخل عليه للسلام ، إلا أَنَّ ابن عمه أبا الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم منع الأفضل ، وقال : ((إن هذا الأمر فيه من قبيح الأحدوثة سوء الشناعة مالا تحمد عاقبته ؛ لأن هذا الرجل ما عرف له ولا لأبيه إلا المودة في خدمة هذا البيت والذب عنه ، وان قتلناه غيلةً لاغُنيَة أن نولي منصبه لغيره ...)) فتم الاتفاق على التدبير لقتله ، وعندما ركب من دار المُلك في مصر قُتل عند كرسي الجسر[٧] في تلة الباطنية[٨].

---

(١) ذكره ابن القلانسي بأسم نيروز . ينظر . ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ . واما ابن الأثير فقد ذكره بأسم روزبة وهو زراد احد المستحفظين للأبراج . ينظر . الكامل في التاريخ ، ٩ / ١٤.

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ١٤ ــ ١٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٤٤ـ١٤٥.

(٣) المصدر نفسه ، ٥ / ٢٠٤.

(٤) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٧٨ ــ ١٧٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٥٦ .

(٥) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٣٨ . كما وذكر ابن ظافر هذه الحادثة في سنة (٥١٤ هـ / ١١٢٠م) . ينظر . المصدر والجزء والصفحة نفسها.

(٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢١٧.

(٧) كرسي الجسر : وهي تقع في الفسطاط في الطريق إلى رحبة الملاحين التي تقع امام فندق تقي الدين المعروف بسكن المكارم . ينظر . ابن دقماق ، الانتصار ، ٤ / ٣٥.

(٨) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٨٠.

وحدثت جرائم قتل في عهد الحافظ لدين الله ، ففي سنة (٥٢٦ هـ / ١١٣١م) قُتل وزيره أبو علي احمد بن الأفضل ، فعندما ذهب ليعرق فرساً في البستان الكبير الذي يقع خارج باب الفتوح(١) من مدينة القاهرة ، وكان يلعب على عادته بالكرة (٢) ولما جاء كان ينتظره عشرة أشخاص من صبيان الخاص(٣) تحالفوا في ما بينهم على قتله ، فصاح ابن الأفضل ، ((عادةَ من يسابق بخيلٍ : راحت ، فقال العشرة : عليك ، وحَمَلوا عليه وطعنوه حتى قُتل)) كما قتلوا معه استاذ من استاذيه ألقى بنفسه عليه عندما أدركه(٤).

وفي السنةِ نفسِها ارتكبت جريمة قتل بحق الشاعر علي بن عبَّاد (٥) الذي كان من الشعراء النابهين ، وقد قدم التهاني إلى وزير الحافظ لدين الله أبي علي احمد بن الأفضل ، عندما أقدم الأخير على اعتقال الحافظ لدين الله بقصيدة قال فيها:

تبسَّم الدَّهر لكن بعد تعبيس	وقوض الدهر لكن بعد تعريس
إذا دعَونا بأن تبقى لأنفسنا	دعاؤنا : فابقَ يا بن السادة السوس
وقد أعاد إليه الله خاتمه	فاسترجع الملك صخر بن إبليس

فَعُدَّ البيت الأخير الذي كان فيه هجاء للحافظ لدين الله سبباً في قتله بعد إطلاق سراحه ، وإعادته للحكم

---

(١) باب الفتوح : هي احد أبواب مدينة القاهرة ، والتي أنشئها القائد جوهر الصقلي ، وكانت قريبة من حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكمي ، ولم يبق منه سوى عقده وعضادته اليسرى ، وعندما جدد بدر الجمالي في سنة (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) سور مدينة القاهرة ، وأنشئ بابي النصر والفتوح في مكانهما الحاليين وربطهما بسور يوصل بينهما بطرق وسراديب على ظهر السور وفي جوفه بأحكام وعقود متنوعة متقنة . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٠١ ؛ أحمد ، محمود ، دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ،(المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٣٨م) ، ص ٦٧ ــ ٦٨.

(٢) هي من العاب الفروسية ، وتعرف الآن بلعبة البولو ، وكان يقام لها احتفال خاص يخرج فيه الخليفة أو الامير في موكب رسمي ، وكان من ادوات هذه اللعبة الكوجان أو الصولجان وهو المجن الذي تضرب به الكرة ، وهو عصا مدهونة تكون في رأسها خشبة معقوفة . وفي عصر المماليك كان من عادة السلطان ان يركب للعب بالكرة بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متتالية يخرج في كل سبت أول النهار من باب الاصطبل وينزل إلى قصوره ، وكان معه الامراء على منازلهم ، وبعد صلاة الظهر يركب للعب ، وبعدها ينزل لأخذ قسط من الراحة ، وأما الامراء فأنهم يستمرون باللعب إلى آذان العصر ، وبعد صلاة العصر يعود إلى قصره . ينظر . القلقشندي ، صبح الاعشى ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٤م)،٤٧/٤ ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٥م) ، ٥/ ٤٥٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٣ : هـ(٢).

(٣) صبيان الخاص : هم فئة من خواص الخليفة ، بلغ تعدادهم نحو خمسمائة شخص ، منهم أمراء وغيرهم ، وكان مقامهم مقام المعروفين بالخاصكية ، فضلاً عن وجود فئة منهم تقوم بحمل الرايات والاعلام في المواكب . ينظر . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٤٨١.

(٤) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٩٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٣.

(٥) هو علي بن عبَّاد (عياد) الاسكندري ، كان شاعراً مجيداً ضريف الشعر مشهوراً تنقلت به الاحوال إلى أن أصبح من شعراء الدولة الفاطمية حيث نال حظاً وافراً فيها ، وبعد تقلد ابو علي بن الأفضل الوزارة أخذ يمدحهُ ، انتهت حياته بالقتل على يد الحافظ لدين الله في سنة (٥٢٦هـ / ١١٣٢ م) . ينظر . العماد الكاتب الاصفهاني ، ابو عبد الله محمد بن صفي الدين ابو الفرج (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر، نشره : أحمد أمين وآخرون ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١م) ، ٢ / ٤٣ ــ ٤٥ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١ / ٥٦٢.

بعد ان قتل وزيره ابن الأفضل[١].

ومن جرائم القتل التي حصلت في عهد العاضد لدين الله ، وخصوصاً في عهد وزيره الصالح طلائع بن رزيك ، والذي تميز بسيرة غير محمودة ، فقد احتكر الغلات مما أدى إلى ارتفاع سعرها ، وأقدم على قتل أمراء الدولة ؛ خوفاً منهم فأضعف أحوال الدولة المصرية ، كما قام بقتل ذوي الرأي والبأس[٢].

وقتل في عهده أيضاً وزيره أبو الغارات طلائع بن رزيك في سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦٠م) ، عندما ثقلت وطأته وازدادت مضايقته لأهل القصر ، فأخذت السيدة العمة ست القصور[٣] وهي أخت الظافر بأمر الله الصغرى تدبر على قتله[٤] ، فبعثت الأمراء وأغرتهم به ، وبينما هو في دهاليز القصر إذ أقدم عليه مجموعة وضربوه ضربات مهلكة بالسكاكين ، عندها القى ابن الزُبد[٥] نفسه عليه وقاتل دونه ، كما دخل عليه بقية الأمراء فخلصوه ، فركب وبه رمق ، وعندما شاهدته ست القصور انه قد ركب وبه رمق أيقنت الهلاك ، وأما أبو الغارات فأرسل إلى العاضد لدين الله يعاتبه على ما كان منه ، فأبلغه بعدم درايته بهذا الأمر قبل حصوله ، فطلب منه إرسال عمته ست القصور ، فرفض العاضد لدين الله ذلك ، عندها بعث ابو الغارات إلى ست القصور وأخرجها ولما وصلت إلى منزله أمر بخنقها فخنقت حتى ماتت بين يديه ، ومات هو أيضاً في بقية الليل[٦]، ويبدو من خلال هذه الحادثة أَنَّ ست القصور قامت بهذا من أجل الدفاع عن سلطة أجدادها ، حتى لو دفعت حياتها ثمناً لتحقيق هذا الغرض[٧].

---

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص١٢٧ ــ ١٢٨ ؛ حسن ، الفاطميون في مصر ، ص ١٩٧ ــ ١٩٨ ؛ دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ١٦٦ــ١٦٧.

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ١١٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٣٢٣.

(٣) هي عمة العاضد لدين الله الكبرى ، والتي عملت على قتل الوزير ابو الغارات ، ووزعت مالاً بحدود خمسين الف دينار ، ولما علم ابو الغارات بتلك المؤامرة قتلها بمساعدة بعض الاستاذين والصقالبة سراً ، وبعدها نقلت كفالة الخليفة الفائز بنصر الله إلى هذه العمة الصغرى والتي دبرت مقتله . ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٣٠١ ؛ عبد الباقي ، نهلة احمد ــ و الجالودي ، عليان عبد الفتاح ، سيدات القصور ودورهن في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي(٣٦٢ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٧٢ ــ ١١٧١م) ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٧ ، العدد ٢ ــ ٣ ، السنة ٢٠١٣م ، ص ٤٥.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٤٦.

(٥) هو المكرم علي بن الزُبد ، وكان من الغلاة في مذهبه من غير علم ، وقد قاتل عن الصالح طلائع بن رزيك اشد القتال ، اذ بقى يضرب بسيفه دفاعاً عنه حتى انكسر نصفين فألقى بنفسه على الصالح وهو طريح في دهليز السرداب ووقاه بنفسه ، فلم تزل السيوف تنحره حتى قام الصالح ، ورثاه عمارة اليمني في قصيدةٍ من جملتها :

أوفَى أبو حَسَنٍ بعهدك عندما ... خذَلَت يمينٌ اختها ويسارُ
لا تسئلا إلا مضارب سيفه ... فلقد تَزيد وتَنقص الأخبارُ
حتى إذا انقطع الحُسامُ بكفّه ... وانفلّ منه مصربٌ وغِرارُ

ينظر . النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية ، أعتنى بتصحيحة : هرتويغ درنُبرغ ، (مطبع مرسو ، شالون ، ١٨٩٧م) ، ص ١٤٤ ــ ١٤٥.

(٦) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢١٣.

(٧) احمد ، المرأة في العصر الفاطمي ، ص ٢٣٣.

وتوكيداً لحالة الضعف والتدهور التي أصابت الدولة الفاطمية آنذاك ، فقد استمرت الجرائم في عهد العاضد لدين الله ، فقد حدثت جرائم القتل في أثناء الصراع على الوزارة بين شاور وضرغام ، فطلب شاور النجدة من نور الدين زنكي أمير مدينة دمشق ، فلذا حلت بالقبط شدائد عظيمة ، فكان جنود نور الدين يقتلونهم أو يبيعونهم رقيقاً بمبالغ بسيطة لا تزيد عن عشرين درهم قبطي ، فضلاً عن ذلك عرض هؤلاء الجنود على القبط الإسلام ، وكان من ضمنهم الراهب شنوفة ، والذي يُعد من رهبان دير أبي مقار إلا أَنَّهُ تمسك بدينه النصراني ، وعلى إثر ذلك قتله الجنود وقاموا بإشعال النار في جثته[١].

ثانياً : السب والشتم[٢].

يُعد السب والشتم من الجرائم المعنوية ، والذي يحتوي على كثير من الصور سواءً كانت قولية أو فعلية أو إشارات أو غير ذلك ، فان السباب والشتائم له ألوان متعددة تلحق الاذية بنفس المرء وفؤاده وتهز كيانه [٣]، وقد شهد عهد الحاكم بأمر الله حوادث كثيرة متعلقة بجرائم السب والشتم ، ففي شهر (صفر سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) كتب على سائر المساجد ، وعلى جميع جوانب الجامع العتيق ، فضلاً عن القياسر وحيطان الشوارع وأبواب البيوت بسب السلف ولعنهم[٤] واستمر على هذا المنوال مُدَّة من الزمن ، إلا ان الحاكم بأمر الله أمرَ في التاسع من شهر(ربيع الآخر سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م) بِمحَوِ ما كان مكتوباً على المساجد والأبواب وغيرها من سب السف فأزيلَ بأجمعه [٥] ، كما أمرَ في سنة (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) بإزالة السب واللعن بحق أبي بكر وعمر وسائر الصحابة والسلف وترحم عليهم وذكر مناقبهم وما تفرضه الشريعة من الإجلال والتبجيل لهم[٦].

وأدت السياسة التي انتهجها الحاكم بأمر الله والتي اتصفت بالشدة والعنف إلى أن يبغضهُ العامة ، والذين قاموا بكتابة الأوراق على شكل قصص أو قصاصات احتوت على الشتم له ، ولأسلافه حتى عَمِدوا إلى عمل صورة لامرأة من ورق وفي يدها قصة كان فيها من الشتم والسب الشيء الكثير ،

---

(١) عامر ، تاريخ أهل الذمة ، ١ / ٢١٨.

(٢) السب : الشتم : لغتاً : وقد سبه يسبه ، وسبه ايضاً بمعنى قطعه . ينظر . الجوهري ، الصحاح ، ١ / ١٤٤ . والشتم : السب ، والاسم الشتيمة ، والتشاتم : التساب ، والمشاتمة : المسابة ، والشتيم : الرجل الكريه الوجة . ينظر . المصدر نفسه ، ٥ / ١٩٥٨ ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص ١٥٢ . وأما اصطلاحاً : هو إيراد قبيح الكلام ، ما لم يكن فيه قذف . وقد جاء في الحديث الشريف : ((سباب المسلم فسوق)) ، والسباب هو اشد من السب ، وهو ان يقول في الرجل ما فيه ، وما ليس فيه ، قاصداً من وراء ذلك عيبته . ينظر . ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تميز الصحابة ، دراسة وتحقيق وتعليق : عادل احمد عبد الموجود ــ و علي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، ٤ / ٥٧٥ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ١ / ١٧ ؛ ابو حبيب ، سعدي ، القاموس الفقهي ، (ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨م) ، ص ١٦٣.

(٣) علوان، كفاية فهمي ، جرائم التخويف في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ــ غزة ، كلية الشريعة والقانون ، فلسطين، ٢٠٠٩م ، ص٥ ــ ٦ ، ٩ ؛ عطية ، وــ عبد الحسين، الجرائم ، ص٢٤.

(٤) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١١٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٤ .

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٩ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ١/١ : ٢٠٠؛ عنان، الحاكم بأمر الله ، ص١٤٦.

(٦) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٣٠٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٩٨ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣١٧.

وعندما رآها الحاكم بأمر الله ظن انها امرأة فسار إليها وأخذ من يدها القصة ، فشاهد ما مكتوب فيها غضب واصدر أمراً بقتلها ، وبعد تأكده أنها من ورق ازداد غضباً وأعطى أمراً للعبيد من السودان أن يحرقوا مصر وينهبوا الأموال والحريم ، فاحترق ثلث مصر ، فعم النهب في نصفها وسبي الحريم وعمل معهن الفواحش والمنكرات ، واشترى الرجال ما في أيدي العبيد من النساء والحريم التي حصل عليهن عن طريق السبي، وكان هذا في سنة (٤١٠هـ / ١٠١٩م)(١).

كما حدث في عهده جرائم السب من خلال قيام بعض الغلاة من الفاطميين إلى توجيه الإهانة إلى قافلة من الحجاج كانت في الطريق لأداء فريضة الحج ، فانهالوا عليهم بالسب والشتم ، على إثر رفض افراد القافلة سب السلف ولعنه(٢).

وفي عهد الحاكم بأمر الله قام عامة الناس من المسلمين بإلحاق الأذى بأهل الذمة ، فكان المسلمون يشتمون ويبصقون في وجوه أهل الذمة ، بحيث إذا مر عليهم نصراني قاموا بشتمه ، وقالوا له : ((اكسر هذا الصليب وادخل في الدين الواسع))(٣).

وفي عهد الظاهر لإعزاز الله قام ابو عبد الله محمد بن جيش بن الصمامة الكتامي ، وهو أحد المغاربة في سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) ويقال أَنَّهُ كان مجنوناً بالوقوف تحت القصر، وأخذ يسب الظاهر لإعزاز دين الله بصورة قبيحة وبالغ في ذلك ، فقام الرقاصون بضربه حتى سقط وجروه برجله وسحبوه إلى السجن ، كما ضرب بثلاثين درة (٤) من قبل متولي الشرطة ، وقام باعتقاله (٥).

وفي سنة (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) أقدم امير الجيوش انوشتكين الدزبري على سب الوزير ابي القاسم الجرجرائي ، عندما حصلت بينهما وحشة على إثر وفاة صاحب الجزيرة الفراتية شبيب بن وثاب النميري(٦) فأراد انوشتكين أن يزوج ابنته من ولد أبي نصر أحمد بن مروان ؛ لكي يكون له عون على بني نمير أصحاب الجزيرة ، فبعث أمير الجيوش إلى مصر بكتاب يطلب فيه ابنته إلا أَنَّ الوزير الجرجرائي لم يفسح له المجال بالذهاب وأبدى رفضه لهذا الزواج ؛ وذلك لأن ابن مروان

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥ / ٥٨٣ – ٥٨٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١ / ٦٠٢ ؛ خلف ، ثورة المصريين ، ص ١٧١ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٧٥.

(٢) أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٢٠.

(٣) ساويرس ابن المقفع ، تاريخ بطاركة ، قام على نشره : يسى عبد المسيح – و عزيز سوريال عطية – و أسولد برمستر ، (مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٤٨م) ٢ / ٢ : ١٣٣ ؛ عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ١ / ٢١٠.

(٤) درة : هي من الآت التأديب التي يستعملها المحتسب أو صاحب الشرطة ، وكانت عادةً تتخذ من جلد البقر أو الجمل محشوةً بنوى التمر. ينظر . الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٢١٥ : هـ (٢) ؛ نصار ، موسى راضي ، نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق ، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ٢ / ٩٩.

(٥) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٣ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ٤٧.

(٦) هو الأمير شبيب بن وثاب النميري ، كان صاحب الرقة وسروج وحران ، خطب للمستنصر بالله العلوي ، ثم قطعها وخطب للقائم بأمر الله العباسي ، اتصف بالشجاعة والكرم والرأي ، وافاه الأجل في مدينة حران سنة (٤٣١ هـ / ١٠٣٩م) . ينظر . ابي الفدا ، المختصر ، ٢ / ١٦٣ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٣ / ١٥٦.

انضمَّ إلى الدولة العباسية واخذ يتظاهر بموالاتها ، كما أرسل كتاباً إلى ولاة الشام يحثهم فيه على عدم الامتثال لأوامر أمير الجيوش[١].

ومن جرائم السب التي حصلت في عهد المستنصر بالله ، التي ارتكبها بعض الصبية المسلمين بحق نساء كبار الموظفين الأقباط ، فقد اعترضوا طريقهن وانهالوا عليهن بالسُباب بعد رجمهن بالحجارة ، مما دفع كبار الموظفين الأقباط برفع شكواهم إلى المستنصر بالله[٢].

كما حدثت في عهده ايضاً جرائم السب والشتم ، وكانت هذه المرة بحق وزيره الأفضل بن بدر الجمالي ، فعند دخوله وهو راكب إلى دهليز قصر المستنصر بالله من جهة باب الذهب [٣] وفي أحد الأيام صادفه نزار ابن المستنصر بالله ولم يتنبه له الأفضل، فقام نزار بشتمه وصاح به : ((أنزل يا أرمني كلب عن الفرس ما أقل أدبك)) وعلى إثر هذه الحادثة أضمر الأفضل الحقد عليه[٤].

وحصل في عهد وزيره الأفضل أيضاً جرائم السب ،فبعد محاصرته لمدينة الإسكندرية كان هناك رجل يهودي موجود بها ، والذي أخذ يبالغ في سب الأفضل وشتمه ولعنه ، فقبض عليه الأفضل وسعى في قتله ، واخذ اليهودي يعدد ذنوبه على الأفضل ، فقال : ((ان معي خمسة آلاف دينار خذها مني واعتقني واعف عني ، فقال ، والله لولا خشية ان يقال قتله حتى يأخذ ماله لقتلتك ، وعفا عنه ولم يأخذ منه شيئاً))[٥].

---

(١) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٥.
(٢) عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ١ / ٤٥٢.
(٣) باب الذهب : هو باب القصر الذي يدخل منه العساكر وكافة اهل الدولة في ايام الاثنين والخميس . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢/ ٢١٥.
(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٩٨ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ١ / ٢٩٧.
(٥) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٨٣ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

المبحث الثالث :الجرائم ضد الأموال والممتلكات العامة والخاصة

كانت هذه الجرائم منتشرة في المجتمعات ومنها الدولة الفاطمية ، وهي الجرائم التي كانت تتعلق بالاعتداء على أموال وممتلكات الناس العامة والخاصة فتشمل صور عديدة ومنها :

أولا : السرقة والنهب وقطع الطريق

كانت طوائف الجند والقبائل والعربان من أكثر الفئات التي تثير المشاكل والاضطراب والمتاعب داخل الدولة ، فقد أصبحوا معاول للهدم والتخريب ؛ بسبب كثرة فسادهم في البلاد ، وازدياد طلبهم على المال ، فضلاً عن دورهم الكبير الذي قاموا به من خلال أعمال السلب والنهب وقطع الطريق على الوافدين(١). وهذا كله راجع إلى ضعف و تراخي السلطة المركزية والإدارة الحكومية من التصدي لهؤلاء ووضع حداً لتجاوزاتهم على الأفراد.

حاول القائد جوهر الصقلي بعد فتحه لمصرسنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٩م) من إرجاع الأمن إلى نصابه ووقف عمليات السلب والنهب في البلاد ، ولأجل ذلك اصدر أمراً بمنع الجند المغاربة (٢) من القيام بعمليات النهب والعنف ضد السكان ، فعم الهدوء والسكينة في المدينة وأستقر العامة ، وعاد الأمان إلى طبيعته ، وفتحت الأسواق ومارست أعمالها التجارية على ما كانت عليه (٣).

وفي أوائل عهد الحاكم بأمر الله تعاظم شأن المغاربة وقويت شوكتهم مرة أخرى ، فقام الجند المغاربة في الانتشار داخل المدن وإشاعة الفوضى والاضطرابات بين الأفراد والتعرض للسكان والقيام بأعمال السلب والنهب والاستيلاء في بعض الأحيان على الممتلكات بدون وجه حق ، مما دفع الكثير من التجار بغلق حوانيتهم فتوقفت الحياة الاقتصادية في بعض المناطق نتيجةً لما قام به الجند المغاربة من أعمال شغب واعتداء على الأموال(٤).

---

(١) عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٩م) ، ص١٦٢ ـ ١٦٣ ؛ الريطي ، ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم ، دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية . واثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، (مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٦م) ، ص ٢٣١ـ ٢٣٤.

(٢) بدأ الجند المغاربة في الانتقام من المصريين فقاموا بعمليات سلب ونهب واسعة النطاق في مناطق من مدينة الفسطاط وعلى إثر ذلك ثارت الرعية وحصل قتال شديد ، إلا أنَّ جوهر الصقلي عالج هذا الامر بالسياسة والكياسة ، فأرسل احد قادته إلى مكان الاحداث وقدر ما لحق بالمصريين من الخسائر((وغرم للناس ما نهب لهم، وقبل قولهم في ذلك)) . ينظر. المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ١٣١/١. كما وتجددت في سنة (٣٦٤ هـ/٩٧٤م) الاضطرابات بين الجند المغاربة والمصريين فتم إلقاء القبض على مجموعة من المصريين وضربهم. ينظر. المصدر نفسه، ٢٢٣/١.

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١/ ٣٧٨ ؛ عطية ، ـ وعبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٥.

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٤٧٩ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٨١.

واشتد النزاع بين طوائف الجند المغاربة والأتراك ، وامتدت أياديهم إلى قوت العامة ، كما أزداد القتال بينهم فأثاروا الرعب والخوف في نفوس العامة [١] ، فعم التدهور الامني في المدن وازدادت عمليات السرقة في الليل لبيوت الكثير من الأفراد ، وأخذت من الطرقات ـ المقصود بها خطف النساء ـ فلجأت العامة إلى الحراسة لحماية أنفسهم وممتلكاتهم في الليل حتى عظم الأمر عليهم[٢].

وتأكيداً لحالة الاضطراب والارتباك فقد اقترفت العامة جرائم السرقة والنهب في أثناء عزل أحد الوزراء من منصبه ، ففي سنة (٣٧٣هـ / ٩٨٣ م) تم إلقاء القبض على وزير العزيز بالله يعقوب بن كلس فانتهز هذه الفرصة أراذل العامة فاندفعوا نحو الطرقات والشوارع ونهبوا ما قدروا عليه من الأسلاب والمغانم ، ونهبوا أيضاً ثياب جماعة في طريق مدينة القاهرة ((فأُغلقت أسواق المدينة ، وركب ولاة الشُرَط وسكَّتوا الناس ...))[٣].

ووقعت أحداث شغب في سنة (٣٩٢هـ / ١١٠١م) بين أحداث مصر وأحداث القاهرة ، وتطور الأمر بسرعة إلى نزاع وقتال بين الطرفين ، فدارت الحرب بينهم في موقع البحر ، وافترقوا بعد ذلك اليوم ، ثم عادوا إلى التجمع بعد ثلاثة أيام ، وكانوا حاملين السلاح ومستصحبين معهم آلات الحرب ، فحصل بينهم قتالاً شرساً أدى بالنتيجة إلى حصول عدد كبير من القتلى بينهم ، فتمت هزيمة أهل مصر وتبعهم أهل القاهرة الذين قاموا بجرائم النهب في المعافر والقرافة[٤].

وعلى وقع ثورة أبي ركوة والتي تزامنت مع الازمة الاقتصادية التي حلت بمصر في سنة (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) والتي استغلها الأعراب والقبائل العربية للقيام بجرائم السرقة والنهب والإغارة على سكان الدلتا وصعيد مصر[٥].

ووصلت جرائم السرقة والنهب وقطع الطريق في عصر الظاهر لإعزاز دين الله إلى درجة عدم الاكتراث بكل مقدرات الدولة والتعدي على مؤسساتها ؛ والسبب في هذا راجع إلى التدهور الخطير الذي آلت إليه الأمور من خلال زيادة قوة العبيد داخل الدولة الفاطمية ، منذ زواج الظاهر لإعزاز دين الله من جارية سودانية والتي أولدت له المستنصر بالله [٦]، فضلاً عن ذلك تأثير المجاعة[٧] التي بدأت تأخذ بمقدرات البلاد في سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) حتى أخذ عبيد القصر

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٥ ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٦٥ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٩٨.
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٨ ؛ عطية ، ـ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٥.
(٣) يحيي بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ٦٣/٢ـ٦٤ ؛ البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص٨٣.
(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٩٧ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣.
(٧) للمزيد من التفصيل عن المجاعات التي حدثت في ذلك الوقت . ينظر . المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ـ ٢١٠ ، ٢١٢ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ١٠١ ـ ١٠٥.

طريق التمرد والعصيان[١].

فلذا اندفع أراذل وأشرار العامة من السراق وقطاع الطرق في الشوارع والطرقات وهم ينهبون العامة ، ففي سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) دخل أحد الصيارفة في حمام الفأر[٢] إلى الجامع العتيق بمصر لأداء فريضة المغرب ، فكان أحد السراق يتبعه بعدما شاهد تحت ثيابه كيساً احتوى على ماله ، فقام بضربه بسكين كبير كان بحوزته ، وعلى إثرها سقط الصيرفي وصاح ، وحاول اللص ان يأخذ المال من تحت الصيرفي لكنه فشل فتكاثر عليه العامة ، فتمكن من الهروب من الجامع ، إلا أنَّ العامة استطاعوا من إلقاء القبض عليه وتسليمه إلى الشرطة فاعتقلوه هناك[٣].

وكانت الأسواق كثيراً ما تتعرض إلى هجمات السراق وقطاع الطرق ، الذين ينهبون اموال العامة ويخطفون الأقمشة والأطعمة والحبوب من مخازن التجار ، وعلى إثر هجماتهم المتكررة انتقلت طائفة التجار البزازين بعمل قوق[٤] إلى القيسارية السفلى ، وانتقل كذلك مجموعة تسكن في ساحلي الصعيد وأسفل الأرض إلى وسط البلد خوفاً مما استشعر به الافراد من حصول أعمال نهب في يوم عيد الأضحى ، فلذا لجأوا إلى إخفاء الكثير من رحالهم وأمتعتهم[٥].

ولم يسلم رجال الدولة وممتلكاتهم من جرائم السرقة والنهب ، فقد اضطر الوزير أبي القاسم علي بن احمد الجرجرائي إلى الخروج من مدينة القاهرة إلى مدينة الفسطاط على إثر محاولة بعض الفاسدين بنهب داره التي تقع في ناحية كوم المجاير[٦]، فتم نقل كافة أغراضه في الصباح الباكر، وبعد ذلك نقل ما تبقى من أمتعته على مهل[٧].

واضطر أيضاً القائد عنبر المصطنع الأسود إلى الانتقال للدار التي خصصت له قبالة القصر المعروف بالزمرد ((وحمل إليها من بيت المال من الفروش والستور والآلات كل قطعة طريفة معجزة ، ونصب فيها من خدمه حُراساً ، وجماعة من عبيده وخُزانه))[٨].

وفي سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) رجع إلى مدينة حلب محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ، فأخذ بمضايقة المدينة والتي كان فيها عمه عطية فعندها استصرخ بالأمير ابن خان

---

(١) الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ١٠٢.

(٢) حمام الفأر : وتقع في سويقة المغاربة ، وهي خطة عمرو بن العاص ، سميت بهذا الاسم لصغرها ، لان حمامات الروم كانت واسعة ثلاث طبقات ، وهي أول حمام بنيت في الإسلام ، وبعد بنائها استحقروها الروم وقالوا تصلح للفأر استحقاراً لها . ينظر . ابن دقماق ، الانتصار ، ٤ / ١٠٥.

(٣) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ١٦٨ ــ ١٦٩.

(٤) قوق :هو موضع يطلق على ثلاث مناطق : الموقف والعسكر وجامع ابن طولون . ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ١ / ٣٣٩.

(٥) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠.

(٦) كوم المجاير : هي منطقة تقع في جنوب شرق قصر الشمع في مدينة الفسطاط . ينظر . ابن دقماق ، الانتصار ، ٤ / ٢٥ ، ٥٢ ــ ٥٣ ، ٨٠ .

(٧) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٧ ــ ١٩٨ ؛ عطية ، ــ و عبد الحسين ، الجرائم ، ص ٢٦.

(٨) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٢٠٠.

التركي، فأبدى استعداده لنجدته ، ولما أحس عطية بقدوم ابن خان رحل عن المدينة منهزماً، فأنتابه الخوف من ابن خان عند ذلك أمر أحداث مدينة حلب بنهب عسكره[١].

قام المستنصر بالله في سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) بإسناد ولاية دمشق إلى الأمير قطب الدولة بارزطَغَان ، وكان معه الشريف السيد أبو الطاهر حيدرة بن مستخص الدولة ابي الحسين ((ناظراً في أعمالها)) [٢]، فانهزم بدر الجمالي من مدينة دمشق فقام أهلها بنهب خزائنه ؛ وذلك لسوء سيرته معهم ، وعندما تمكن بدر الجمالي من الظفر بالشريف حيدرة قتله سلخاً[٣].

كما حدثت جرائم النهب في سنة (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) فبعد أجراء معاهدة الصلح بين الأتراك وناصر الدولة بن حمدان بعدما لحق بالأتراك والمستنصر بالله التضييق منه من خلال قطع الميرة عنهم ، فتم الصلح بينهم على أن يبقى مقيماً في مكانه ويرسل اليه مالٌ ، ويكون النائب عنه تاج الملوك شاذي فوافق على ذلك وبعث بالغلال إلى مصر نحو شهر ، ثم حصل الاختلاف عليه من قبل ابن حمدان، فذهب من البحيرة إلى مصر بعساكر وفرض عليها الحصار فقام أصحابه بنهب الدور وإحراقها في الساحل ، وبعد ذلك رجعوا إلى البحيرة[٤].

وعادت الفتنة في مصر سنة (٤٦٤ هـ / ١٠٧١م) بين شاذي وناصر الدولة ابن حمدان ؛ وذلك لان تاج الملوك شاذي بعد وصوله إلى مدينة القاهرة نقض ما تم الاتفاق عليه في الصلح ، فاستبد بالأموال ، ولم يرسل إلى ابن حمدان سوى القليل ، وعلى إثر ذلك قام ابن حمدان بالتعاون مع مجموعة من العربان وذهب بهم إلى البحيرة ، فأستدعى شاذي ومجموعة من المقدمين فخرجوا اليه فتم إلقاء القبض عليهم ونهب مصر وأحراقها[٥].

كما قام الأتراك في عهد المستنصر بالله وأثناء الشدة العظمى بنهب ما موجود في التربة المعزية من قناديل الذهب ، والتي بلغت قيمتها مع ما كان موجود من آلات مثل حلى المحاريب والمجامر والمداخن وغير ذلك نحو خمسين الف دينار[٦].

وفي سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) توفي امير الجيوش بدر الجمالي ، وبعد وفاته قام أولاده بنهب الجوهر الثمين الذي كان بدر يكثر من شرائه[٧].

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٤ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٧٧.
(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٨٢.
(٤) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٧ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٤١٧ .
(٥) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٣٨ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٤١٧.
(٦) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٦٢ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٦٤.
(٧) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٧٠.

وفي آخر شهر (محرم سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) خرج الأفضل بن بدر الجمالي بعساكره إلى مدينة الإسكندرية لمحاربة نزار وأفتكين[١] فتصدياه إليه وحارباه في عدة كبيرة ، فجرت بينهما وقائع كثيرة في ظاهر مدينة الإسكندرية، كانت نتيجتها انكسار الأفضل وانهزامه فعادَ وبمن معه يريد مدينة القاهرة ، فقام نزار ومن معه من العرب بنهب أكثر البلاد التي تقع في الوجه البحري[٢].

وقام أمير مكة المكرمة الشريف ابو محمد قاسم بن ابي هاشم [٣] في سنة (٥١٢هـ / ١١١٨م) بتجهيز مراكب حربية وشحنها بالمقاتلين وبعث بها إلى مدينة عيذاب [٤] فأقدموا على نهب مراكب التجار وقتلوا مجموعة منهم ، فأشتكى ممن سلم من التجار إلى الأفضل بن بدر الجمالي ما حصل بهم ، وعلى إثر ذلك أصدر الأفضل أمراً بعمارة حَرَارِيق [٥] ، كما مُنع العامة من أداء فريضة الحج في سنة (٥١٤ هـ/١١٢٠م) وقطع الميرة عن الحجاز ، فارتفعت الأسعار لذلك ، وكتب إلى أشراف مكة يلومهم على ما قام به صاحبهم ، فأعتذر الشريف إلى الأفضل وتعهد بإرجاع المال إلى أصحابه ، وأموال التجار المقتولين لورثتهم ، فأعادَ الأموال في سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م)[٦].

وتعرضت في أواخر سنوات الدولة الفاطمية دار الوزارة إلى عمليات النهب والسلب ، فقد وقع أول نهب فيها سنة (٥٣١هـ / ١١٣٥م) إذ قام الوزير بهرام بنهبها قبل فراره إلى الصعيد امام رضوان بن الولخشي ، كما نهبت مرةٍ ثانية في سنة (٥٣٣ هـ / ١١٣٧م) بعد هروب رضوان إلى بلاد الشام ، وأشار (المقريزي) إلى ذلك بقوله : ((فما هو الا ان صار (أي رضوان) بظاهر القاهرة ، أقتحم العامة دار الوزارة ونهبوها حتى لم يتركوا شيئاً ... واشتغل العامة بنهب دار الوزارة ، وكان قد جمع فيها رضوان أكثر أموال ديار مصر وشحنها بالذخائر وأنواع السلاح والعُدَد والآلات والغلال ، فأنتُهِبت جميع ذلك ، وأُحرقت أخشاب تعب الملوك في تحصيلها . وكان نهب دار الوزارة أول ضررٍ دخل على الدولة)) [٧]. ومن خلال هذا النص يتضح مدى التدهور والضعف والانحلال الذي حل بالدولة الفاطمية من خلال تعرض مؤسسة رسمية رفيعة المستوى إلى أعمال السلب والنهب

---

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٦٢.
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤.
(٣) هو قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم ، المتوفى في سنة (٥١٧ هـ / ١١٢٣م) أو سنة (٥١٨ هـ / ١١٢٤م). ينظر . النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٧٩ : هـ (٢).
(٤) عيذاب : هي بلدة تقع على ضفة بحر القلزم وهي مرسى المراكب التي تأتي من عدن إلى الصعيد . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١٧١.
(٥) حراريق : هي جمع لكلمة حراقة ، وهي نوع من السفن الحربية التي ترمي بالنيران ، وقد استخدمها المسلمون في العصور الوسطى . للمزيد من التفصيل ينظر. النخيلي ، درويش ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، (مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٧٤م) ، ص ٣٢ ـ ٣٧.
(٦) النويري ،نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٧٩ ؛ الفاسي ، تقي الدين محمد بن احمد الحسني المكي (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تحقيق : فؤاد سيد ، (ط٢ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦م) ، ٧ / ٢٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٥٨ ـ ٥٩.
(٧) المصدر نفسه ، ٣ / ١٧١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٩٨ ـ ٩٩.

كدار الوزارة.

ومن جرائم النهب التي حدثت في سنة (٥٣٤ هـ / ١١٣٨م) عندما رجع الوزير رضوان بن الولخشي من مدينة صرخد [١] ووصل إلى ظاهر مصر ، قام الاتراك الذين أنضموا اليه بالعمل عليه والغدر به فأنتهبوا ما وجدوه عنده من كراع وسواد بحيث لم يبقى له شيء مما كان عنده[٢].

وفي سنة (٥٤٥ هـ / ١١٥٠م) هاجمت مجموعة كبيرة من الصليبيين مدينة الفرما ، فأحرقوها ((وأخربوها ونهبوا أهلها)) ، وبعد ذلك رجعوا إلى بلادهم[٣].

وشهدت سنة (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) قيام العامة بنهب ما تبقى من دور عباس (٥٤٨ ــ ٥٤٩ هـ / ١١٥٣ ــ ١١٥٤م) [٤] ونصر ابن عباس وأسامة بن منقذ عندما هربوا إلى مدينة آيلة قاصدين بلاد الشام[٥] بعد وصول ابو الغارات طلائع بن رزيك بجيشه إلى مدينة المقدس ، فدخل مدينة القاهرة بعد التأييد الذي تلقاه من جميع الأطراف[٦].

وفي السنةِ نفسِها حدثت أيضاً جريمة النهب ،عندما أراد الوزير عباس الخروج من مصر وكان حاملاً معه ثروة ضخمة تضمنت أربعمائة جمل ومائتي بغل ومائتي جنيب ، فقامت العامة بنهب الكثير من الخيل والبغال والجمال الني كانت تخصه[٧].

وحدثت في سنة (٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م) انفساخ الهدنة بين الصليبيين والصالح طلائع بن رزيك، فقام بالإنفاق على العساكر وعربان البلاد للهجوم على بلاد الصليبيين ، فبعث بأول سرية إلى مدينة غزة [٨] فوصلت في يوم السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى فقامت بنهب أطراف المدينة[٩].

وفي أواخر الدولة الفاطمية وأثناء خلافة العاضد لدين الله ، أعطى الوزير شاور بن مجير السعدي الأوامر إلى جنده بنهب وحرق مدينة مصر ، قبل وصول قوات الفرنج بيوم واحد إلى مدينة

---

(١) صرخد : هي بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال مدينة دمشق ، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة وينسب اليها الخمر الجيد . ينظر. البكري ، معجم ما أستعجم ، ٣ / ٨٣١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٤٠١.

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٢ ــ٢٧٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٧٣.

(٣) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٤٤ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٠٥.

(٤) هو أبو الفضل عباس بن ابي الفتوح يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي ، أصله من المغرب وصل إلى مصر برفقة والدته وهو صبي فتزوجها ابن السلار وتبنى عباساً ، ترقى في الخدم حتى ولي الغربية كما لقب بالأمير ركن الإسلام ، تقلد الوزارة بعد مقتل ابن السلار واستمر في المنصب في عهدي الظافر بأمر الله والفائز بنصر الله . ينظر . المناوي ، الوزارة ، ص ٢٨٥.

(٥) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٥٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٥٢٦ و ٣ / ٤٩٢ ؛ النويري ، نهاية الإرب، ٢٨ / ٢١٠.

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٩٥ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٨٠.

(٧) الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ١٠٠.

(٨) غزة : هي مدينة تقع في أقصى بلاد الشام من ناحية مصر ، بينها وبين مدينة عسقلان فرسخان أو أقل ، وهي من نواحي فلسطين في غرب عسقلان . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٠١ .

(٩) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٥٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٣٠.

القاهرة ،فهجرت المدينة وبقيت النار مشتعلة لمُدَّة أربع وخمسين يوماً [١] وكان الذي أدى بشاور إلى القيام بهذا العمل حتى لا يتمكن الصليبيين من جعل مدينة مصر قاعدة لهم للهجوم منها على مدينة القاهرة ،على الرغم من ان مدينة القاهرة تتمتع بأسوار وأبواب كانت قادرة على مقاومة هذا الغزو ان حصل[٢].

ثانياً : خيانة الأمانة وإختلاس الأموال

حدثت جرائم خيانة الأمانة واختلاس الأموال في العصر الفاطمي ، وقد ساعد على إرتكابها غياب الرقابة الإدارية وازدياد فساد الذمم ، فكانت هذه الجرائم تصدر من قبل الخاصة أو العامة طمعاً في الحصول على المزيد من الأموال . ففي سنة (٣٦٢ هــ / ٩٧٢ م) ، ودعت زوجة كافور الإخشيدي [٣] قباء (بغلطاق) [٤] من اللؤلؤ منسوجاً من الذهب عند أحد الصاغة اليهود ، فأساء الأمانة وفسدت نفسه ، وعندما طالبت به انكره ، فرفعت شكواها إلى المعز لدين الله ، والذي أمر بإحضار الصائغ اليهودي ليسأله ، غير أنه أصر على أنكاره ، فعندها أمر المعز لدين الله بتفتيش بيته ، فأستخرج كل ما فيها ، فتم العثور على القباء الذي كان الصائغ قد وضعه في جره ، وأخفاه في موضع من مواضع بيته ، فأرجعه المعز لدين الله إلى زوجة الإخشيد ، والتي حاولت ان تقدمه للمعز لدين الله إلا أَنَّهُ رفض ذلك[٥].

وفي عهد الحاكم بأمر الله قام القاضي الحسين بن النعمان[٦] بارتكاب جريمة خيانة الامانة ، عندما أقدم على إختلاس أموال اليتامى، فتقدم أحد اليتامى بشكوى إلى الحاكم بأمر الله ذكر فيها ان أباه مات وترك له مبلغ عشرين الف دينار عند ديوان القاضي الحسين ، وكان ينفق منه عليه مُدَّة معلومة، وفي احد الأيام حضر يطلب من القاضي من ماله شيئاً فأبلغه ان الذي كان له نفد ،عندها طلب الحاكم

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠ / ١٢ ــ ١٣؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ٢٢٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٩٦ ــ ٢٩٧.

(٢) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ١٥٦.

(٣) هو الاستاذ ابو المسك كافور بن عبد الله الاخشيدي ، كان عبداً لبعض اهل مصر ، ثم اشتراه ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد ، ملك مصر والحرمين ، توفي في سنة (٣٥٧ هــ / ٩٦٧م) . للمزيد من التفصيل ينظر . الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٢٩٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤ / ٩٩ ــ ١٠٥.

(٤) البغلطاق : هو لفظ فارسي ، ومعناه قباء بلا اكمام ، أو بأكمام قصيرة جداً ، يلبس تحت الفرجية ، وكان يصنع من القطن البعلبكي ، أو من فراء السنجاب الرمادي ، ومن الاطلس ذي الخيوط المعدنية ، كما يحلى بزخاريف غنية فخمة ، واحياناً تنثر عليه اللآلئ والاحجار الكريمة . ينظر . النويري ، نهاية الارب ، (مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة ، د.ت) ، ٣١٩/٣٢ : هـ(٢) ؛ ماير، ل. أ .، الملابس المملوكية ، ترجمة : صالح الشيتي ، مراجعة وتقديم: د . عبد الرحمن فهمي محمد ، (الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م) ، ص ٤٣ ــ ٤٥.

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥ / ٣٣٩ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١ / ٦٠٠ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٠٧.

(٦) هو الحسين بن علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيُّون المغربي الاسماعيلي ، ولد في مدينة المهدية سنة (٣٥٣هـ / ٩٦٤م) ، واتى إلى مدينة القاهرة مع والده وهو صغير . للمزيد من التفصيل ينظر . الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٩٥ ، ٥٩٦ ــ ٥٩٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ١٣٩ ــ ١٤٣.

بأمر الله القاضي ، وأطلعه على الشكوى فأجاب ((وان الذي خلفه ابوه استوفاه في نفقته)) فقرر الحاكم بأمر الله إحضار ديوان القاضي ، فتم تفتيشه عن مال الرجل ، فتبين ((إنما وصل إلى القليل منه . ووجد أكثره باقٍ . فعدد على القاضي ما رتبه له وأجراه عليه ، وإكرامه إياه ، وما شرط عليه من عدم التعرض لأموال الرعية ، فجزع وهاله ذلك . وقال : العفو وأتوب . وانصرف بالرجل فدفع اليه ماله واشهد عليه)) ، وعلى إثر ذلك حقد الحاكم بأمر الله عليه وأصدر أمراً بحبسه ، وبعدها أخرج محمولاً على حمار في النهار والعامة يتطلعون إليه ، ثم ضربت عنقه وأحرقت جثته بعد ذلك[١].

وجاء دور القاضي عبد الحاكم بن سعيد الفارقي[٢] الذي لم يختلف عن القاضي الحسين بن النعمان في إرتكابه لجرائم خيانة الأمانة واختلاس الأموال ، فقد كان شديداً في الاحكام ، وفي تحصيل الأموال فبلغ دخله في السنة زيادة عن عشرين الف دينار ، وشرع هذا القاضي على ظلم وابتزاز أموال العامة ، وفي مُدَّة قضائه توفي رجل يقال له الزيلعي[٣] وكان لديه مالاً كثيراً ، ولم يكن له سوى بنت واحدة وحسب المذهب الإسماعيلي فإنها ترث كل مال أبيها ، فطمع العامة في الزواج منها وكان من بينهم القاضي ، فرفضت الزواج منه ، وعلى إثر هذا الرفض جلب أربع شهود زور وشهدوا ضدها بأنها لديها سفاهة ، فأحتوى على مالها كله ، ففرت منه ورفعت بشكواها إلى الوزير ابي القاسم الجرجرائي الذي ظهر له صدقها ، فأمر بأستدعاء القاضي مهاناً ، كما وأمر بحبس الشهود وأعاد المال إلى صاحبته[٤].

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٢٠٥ ؛ المعموري ، عباس علاوي ، النظام القضائي في مصر في عهد الدولة الفاطمية (٢٩٧ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٠٩ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤م ، ص ١١٢.

(٢) هو ابو الفتح عبد الحاكم بن سعيد بن سعيد بن مالك الفارقي ، أخو مالك بن سعيد ، اسماعيلي ، وهو أول من ولي القضاء عوضاً عن قاسم بن عبد العزيز في سنة (٤١٩ هـ / ١٠٢٨م) . للمزيد من التفصيل ينظر . الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٩٧ و ٦١٣ ــ ٦١٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩.

(٣) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .

(٤) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٦١٣ ــ٦١٤ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ١٢٤ ؛ المعموري ، النظام القضائي ، ص ١١١.

المبحث الرابع : الجرائم ضد الأخلاق والآداب العامة

لاشك أَنَّ الأخلاق والآداب العامة تمثل جوهر المجتمع وثقافته الدينية والمجتمعية ، ومن واجبات الدولة ان تعمل على الحفاظ على هذه الأخلاقيات وصيانتها من خلال مجموعة من التشريعات والقوانين . وقد انتشرت في العصر الفاطمي عدد من الجرائم الأخلاقية والآداب العامة وهي كما يأتي :

أولاً: الزنا والبغاء وغواية النساء

لم تكن المجتمعات الإنسانية تخلوا من ممارسة الدعارة أو البغاء ، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أَنَّ مصر عرفته في عهدها الفرعوني واستمر في العهدين اليوناني والروماني ، وعلى الرغم من تحريم الإسلام للبغاء مع فتح العرب المسلمين لمصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤١ م) إلا أَنَّهُ وإن تراجعت شدتهُ عاد للظهور في أواخر العصر الفاطمي ، فأن البغاء أزدهر في المواسم والاعياد كعيد نوروز[١] ، والذي يحتفل به القبط في عهد الفاطميين[٢].

ومن اجل صون الأخلاق والآداب العامة قام الحاكم بأمر الله بتنظيم امر الدخول إلى الحمامات العامة ، فمنع الجميع سواء كانوا رجالاً ام نساءً من الدخول اليها من دون مآزر تستر عوراتهم ، بل منع اختلاط النساء بالرجال فيها [٣] ووضع العيون على الحمامات لتنفيذ هذا القرار، وبالفعل القي القبض على مجموعة بغير مآزر فتم تأديبهم والتشهير بهم[٤].

وأصدر الحاكم بأمر الله قرارات مشددة من شأنها المحافظة على عفاف وشرف المرأة ، فقد منعت من الخروج خلف الجنائز ؛ بسبب إظهارها الحزن بصورة مبالغ فيها ، وما يتخلل ذلك من شق الثياب ونشر الشعور، وكشف الوجه أمام المارة ، كما وحرم على النساء التبرج ومنع الصياح

---

(١) نوروز : هو أسم اول يوم من السنة عند الفرس ، وعند القبط أول توت ونيروز معرب . ونوروز : أي اليوم الجديد . ينظر . القلقشندي ، صبح الاعشى ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٣م) ، ٢ / ٤٠٨ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ٨ / ١٥٧. ويُعد عيد نيروز من الأعياد القديمة التي إقامتها الكثير من الشعوب على اختلاف جنسياتها وعقائدها ، ويرجع البعض تاريخ الاحتفال بهذا العيد إلى سليمان بن داود (عليه السلام) ، وكان بمثابة الاحتفال برأس السنة القبطية ، فكان القبط يحتفلون به في أول توت ، أما الفرس فيحتفلون به أول يوم من السنة ، وأهل الشام أيضاً يحتفلون به في اليوم الاول من يناير ويطلقون عليها اسم القلندس . إذاً ليس لهذا العيد تاريخ ثابت ، بل يحتفل به كل الشعب حسب تاريخ بداية السنة عنده . ينظر . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٢ / ٤١٩ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٦٨ ــ ١٦٩ ؛ الشرقي ، المراسيم الدينية ، ص ١٥٢ : هـ (١).

(٢) هلال ، عماد ، البغايا في مصر دراسة تاريخية اجتماعية (١٨٣٤ ــ ١٩٤٩م) ، (العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م) ، ص ٧.

(٣) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٥٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٦.

(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٥٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٦ .

والعويل وراء الموتى[١].

وحدد الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م) أيام العمل في سوق الرقيق ، فجعل يوماً لبيع الجواري وشرائها ، ويوماً لبيع الغلمان وكان الهدف من ذلك منع إختلاط الشباب بالجواري لأن من شأنه ان يشجع على المعاصي وارتكاب الفواحش[٢].

وفي سنة (٤٠٤هـ / ١٠١٣م) أصدر الحاكم بأمر الله قراراً بمنع النساء من الخروج إلى الطرقات في الليل والنهار سواء كانت المرأة شابة أم عجوزاً ، فلم ترى امرأة في الطريق فحبسن في دورهن ، وغلقت حماماتهن فاستمرت النساء في عدم الخروج من المنازل حتى أيام ولده الظاهر لإعزاز لدين الله ، فبلغت مُدَّة المنع سبع سنين وسبعة أشهر[٣].

كما وتشدد الحاكم بأمر الله في سنة (٤٠٥هـ / ١٠١٤م) بمنع المرأة من الجلوس أمام بيتها أو في الشوارع او الطرقات ، وحتى التطلع من النوافذ والطاقات او الصعود على السطوح[٤].

وفي السنةِ نفسِها بث في أرجاء مدينة مصر والقاهرة العجائز لكي يستعلمن أحوال النساء لمن يعشقن ، او يعشقهن بأسمائهن وأسماء من يتعرض لهن ، وعندما توجد من النساء على هذه الشاكلة يتم قتلها وأخفاها ، وبعد ان يحصل لديه ظن من قبل العجائز ولزيادة الاطمئنان إلى تطبيق قراراته ، يلجأ إلى التأكد بنفسه من عدم مخالفتها بالإكثار من التجوال في المدينة ليلاً ونهاراً ، حتى اشتد وضاق الحال على الفاسقات من النساء والفاسقين[٥].

وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات التي اتخذها الحاكم بأمر الله ، والتي تندرج في إصدارها بدافع إصلاح المظاهر العامة لسلوك النساء والارتقاء بهذا إلى مستوى الفضيلة ، فان النساء لم يمتثلن لهذه الإجراءات وظلت مظاهر الفساد موجودة ولم يقضى عليها بعد ، مما دفع بالحاكم بأمر الله إلى استخدام أسلوب القسوة والشدة مع النساء[٦].

---

(١) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٥٤ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١١٢ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٢٤.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٦ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٢٩.

(٣) ابن حماد ، ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي القلعي (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م) ، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة : د. التهامي نقرة ــ و د.عبد الحليم عويس ، (دار العدالة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت) ، ص ١٠٠ ؛ ابن ابي السرور ، ابي الحسن علي بن ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الروحي (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ، بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تقديم وتحقيق وتعليق : د. محمد زينهم محمد عزب ، (مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة ، د .ت) ، ص ١٥٥ ؛ متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده ، اعد فهارسه : رفعت البدراوي ، (ط٥ ، دار الكتاب العربية ، بيروت ، د.ت) ، ٢ / ١٧٦.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١١٠ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٥٣.

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥ / ٥٥٥ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٥٤ ــ ٥٥.

(٦) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩.

ففي احد الأيام سار الحاكم بأمر الله وأثناء سيره سمع ضجيج النساء وصياحهن وأصوات غنائهن في الحمام ، فأمر بغلق الحمام بالحجر على من كان بداخله حتى مُتن كلهن [١] ، وأمر أيضاً بهدم بعض الحمامات على من كان فيها من النساء ، وأمر بمنع دخول الحمامات حتى التي كانت مخصصة للنساء[٢] فأمر بغلق كافة الحمامات ، وقد ((كان في مصر الفسطاط الف ومائة وسبعون حماماً))[٣].

وعلى الرغم من ذلك فأن المفاسد قد شاعت ، وانتشرت بيوت البغاء وتمكنت النساء من الخروج من دورهن دون موافقة أزواجهن ، او من يعولهن مما دفع بالرجال يشتكون من زوجاتهم ، ومن ثم الشك في نسب أولادهم ، وقد كانت بعض القضايا تقدم إلى القاضي من قبل بعض الأزواج ؛ لأن الزوج اخذ يشك في زوجته بأنها حادت عن الصواب ، وبالتالي فانه ينكر أولاده منها ، وكان القاضي يتحرى الدقة في تشخيص تلك الأمور ، وعندما يتضح للقاضي براءة الزوجة ، فان الزوج الذي ينكر أولاده من زوجته يُشهر ويطاف به في أسواق المدينة راكباً جملاً وينادى عليه : ((هذا جزاء من يجحد ولده))[٤].

كما وصل التهتك في العصر الفاطمي بالنساء إلى حد اقتنائهن الجواري والتفنن في طرق الفحشاء ، فقد اتخذت الجارية خصياً لها بمثابة الزوج مثلما عملت جواري خمارويه (٢٧٠ ــ ٢٨٢ هــ / ٨٨٣ ــ ٨٩٥ م) [٥] صاحب مصر قبيل العصر الفاطمي، حتى وصل الامر بالنساء الشريفات إلى عدم الزواج لعدم حصول القناعة لهن بوجود زوج كفوء أو لأسباب أخرى ، فأقدمن بالإكثار من اقتناء الجواري والخصيان في قصورهن ، فكثر الفساد لدرجة اتهام الحاكم بأمر الله لأخته ست المُلك التي كانت تملك أربعة آلاف جارية منها ألف وخمسمائة عذراء باقتراف الفاحشة [٦] ووجه لها تهمة ادخال الرجال على مخدعها وتمكينهم من نفسِها ، ويعتقد انها زالت عذريتها ، مما دفعها في التعجيل بتدبير مؤامرة للتخلص منه ، ويقال انه أرسل القوابل للتأكد من براءتها[٧].

---

(١) ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٥٨ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١١٥.
(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ٦٠٢ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية، ص ٢٩٩.
(٣) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٥٣٦.
(٤) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٦ ؛ احمد ، المرأة في العصر الفاطمي ، ص ١٠١ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٢٩٩.
(٥) هو ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ، ولد في سنة (٢٥٠هـ / ٨٦٤ م) تولى أمرة دمشق ومصر والثغور بعد وفاة ابيه وكانت ولايته في ايام المعتمد على الله العباسي (٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ / ٨٦٩ ــ ٨٩٢ م) توفي في سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢/ ٢٤٩ ــ ٢٥١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٣ / ٢٦٠ ــ٢٦١.
(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٦ / ٣٨٢ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٥٥.
(٧) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢١٠ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١ / ٦٠٣ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٠٢.

وشهد عهد الظاهر لإعزاز لدين الله تهتكاً أخلاقياً ربما ساهم به إلى حد كبير[١] لكونه اعطى للعامة الحرية ولفت أنظارهم بأن عهده يختلف عن عهد والده الذي تميز بالشدة والقسوة والتضييق على الحريات الشخصية ، إلا أنَّهُ لم يتقاعس عن فرض الآداب العامة ، ففي سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) تم إلقاء القبض على رجل وأمرأته من قبل شرطته ، فعوقبوا بالضرب والتشهير ونادى عليهما: ((هذا جزاء من يقود على عياله مع اليهود والنصارى)) [٢] وتكررت الحالة بعدما عثر على نصرانيان وهم يمارسون الفاحشة مع مسلمتين فعوقبوا أيضاً بالضرب والتشهير[٣].

كما استمرت في عهد المستنصر بالله مظاهر الفسوق والفساد وخصوصاً في فترة المجاعات (الشدة العظمى) حيث انتشرت البيوت القصيرة السقوف والتي استقر بها أهل الفساد ، فتعرضت أياديهم من دون تميز إلى النساء الصالحات والفاسقات ، فيأخذونهن إلى تلك البيوت ويعملون معهن الفاحشة ، وقد تمكنت إحدى النساء من الفرار من إحدى هذه الدور ، وأعلمت الوالي بما جرى ، فقام بكبس تلك الدار واصدر أمراً بقتل من كان متواجداً فيها[٤].

وعرف عن الظافر بأمر الله بتشدده في بعض الأمور التي تخص أمور النساء مثلما كان يفعل الحاكم بأمر الله ، فقد جمع عدد من الجواري يقدر عددهن بالآلاف وقام بسد الابواب عليهن حتى مُتن ، وبعد ذلك أشعل النار فيهن[٥]. ويبدو أَنَّ الرواية التي ذكرها السيوطي غير واقعية ومبالغٌ فيها ولم تذكر في اغلب المصادر التاريخية التي تحدثت عن الفاطميين.

ثانياً : جرائم السكر وشرب الخمر واللَّهو وسَّماع المُغنى

انتشرت في العصر الفاطمي جرائم السكر والغناء والطرب في بعض فئات المجتمع المصري، فلم تكن تخلوا مجالس بعض الخلفاء وكبار رجالات الدولة الخاصة ومآدبهم الكثيرة من سَّماع الغناء والموسيقى ومتابعة فنون الرقص والألعاب ، فضلاً عن كثرة الأعياد التي كان يحتفل بها في الخروج إلى المتنزهات للمرح وما يتخللها من أنواع الملاهي والغناء والعزف[٦].

ومع هذا فان الدولة الفاطمية اتخذت مجموعة من الإجراءات التي تحمل الصفة الاجتماعية والأخلاقية التي من شأنها فرض الآداب العامة في المجتمع ، وقد اشار المعز لدين الله عن اهتمامه بإصلاح أمور الرعية بقوله : ((للناس شغل بدنياهم وما يتلذذون به منها ، وشغلنا اقامة أودهم

---

(١) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٧٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٢٩.
(٢) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٣٢ ؛ مال الله ، ــ والحدراوي ، التشهير ، ص ٢٨٠.
(٣) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٦٦ ؛ مال الله ، ــ والحدراوي ، التشهير ، ص ٢٨٠.
(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٩٧ ــ ٢٩٨ ؛ احمد ، المرأة في العصر الفاطمي ، ص ٩٣.
(٥) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ٢٨٦ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٥٦.
(٦) سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢١٥.

وإصلاح أحوالهم ، والنظر فيما يعود عليهم ويحمي حماهم ويدفع عن بيضتهم ، ويحقن دمائهم ويحصن حريمهم وأموالهم ، ويكفي أيدي المتطاولين إليهم : بذلك نقطع ليلنا ونهارنا ... فالله المستعان على ما قلدناه من امورهم وافترضه علينا ... ونرغب إليه في إصلاحهم وهدايتهم إلى ما فيه حظهم في دنياهم وأخراهم))[١].

إذ منع الأقباط من اخذ الصدقات من العظماء ، ومن رش العامة بالماء العكر، وكذلك من إشعال الألعاب النارية في عيد النوروز[٢] ومنعهم من نزول المركب وإقامة الخيام على شاطئ النيل ؛ لأنه يؤدي إلى حصول الفساد والتهتك والأخلاقي في ليلة الغطاس [٣] ، وهدد من يفعل ذلك بالإعدام شنقاً ، فامتنع النصارى طيلة عهده من الاحتفال بهذه الأعياد[٤].

وأما العزيز بالله فقد أصدر مرسوماً منع فيه شرب الخمر من النبيذ ، وتشدد في محاسبة الخمارين وعاقب المخالفين لقراراته بشدة [٥] كما أمرَ في سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١م) بهدم مصانع الخمر ، وإزالة المنكرات فتم كسر خمسون الف جرّة خمر لشخص واحد جاءت اليه من الصعيد [٦].

أما الحاكم بأمر الله فشهد عهده إصدار عدد من القرارات ذات الطابع الاجتماعي ، والتي كانت غايتها فرض الآداب العامة ، فقد منع الجلوس في الحوانيت لشرب الخمر[٧] كما اصدر امراً منع بموجبه عمل النبيذ [٨] وحذر من التظاهر بشربه ، فتم كسر جميع ما كان للخمارين وأصحاب المواخير من دنان الخمر ، وأريق ما فيها ، وأزيلت بأمره المواضع التي كان فيها يباع الخمر ففرقت جموع أهل الفساد والفجور[٩].

وعلى الرغم من الإجراءات التي اتخذها الحاكم بأمر الله في هذا الشأن ، إلا أَنَّ ابو يعقوب إبراهيم بن نسطاس[١٠] تمكن من إقناع الحاكم بأمر الله بالفوائد الصحية المتوخاة من شرب النبيذ ،

---

(١) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص ١٢٠.
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٢٤ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١/١ : ١٩٠.
(٣) الغطاس : هو احد الأعياد التي يحتفل بها النصارى في اليوم الحادي عشر من شهر طوبة (بالأشهر الرومية كانون الثاني) ، فيغطس اقباط مصر في النيل ، واصله عند النصارى ان يحيى بن زكريا (عليه السلام) والمعروف عندهم بيوحنا المعمداني غسل السيد المسيح (عليه السلام) ببحيرة في الأردن ، وعندما خرج من الماء اتصل به روح القدس . ينظر . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٢ / ٤١٦ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٦٠.
(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١/١ : ١٩٠؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٧٥ ؛ تاجر ، جاك ، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة ١٩٢٢م ، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢م) ، ص ١٠٥.
(٥) مشرفة ، نظم الحكم ، ص ٢٨٨ ؛ عبد علي ، أساليب الدولة الفاطمية ، ص ٢١٢.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٧١ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ / ١٦٧.
(٧) ساويرس ابن المقفع ، تاريخ بطاركة ، ٢ / ٢ : ١٢٤ ؛ ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٩٢ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٨.
(٨) النبيذ او المزر : هو نبيذ الشعير والحبوب ، ويقال نبيذ الذرة خاصةً . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٧ / ٣٦٦ ؛ قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص ٤٢٤.
(٩) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٥٤ ؛ الصاوي ، كشف المستور من قبائح ولاة الأمور ، (ستار برس للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤م) ، ص ١٥.
(١٠) هو إسحاق بن إبراهيم بن جريج ، نصراني فاضل في مجال صناعة الطب ، وكان في خدمة الحاكم بأمر الله ،
←

فأستجاب الحاكم بأمر الله لمشورته ، كما جلب إلى مجلسه مجموعة من المغنيين وأصحاب الملاهي وشرب على غنائهم وأحسن إليهم[١].

وكان ابن نسطاس محباً للخمر وان وفاته كانت بسبب سقوطه وهو سكران في بركة ماء ، وانه كان راغباً في جذب الحاكم بأمر الله إلى شرب الخمر حتى لا يحرم منها نتيجةً للقرارات التي أصدرها الحاكم بأمر الله بهذا الخصوص ، كما كان بارعاً في الموسيقى وله القدرة على معرفة الأصوات والألحان التي كان يستمع إليها ، وقد أشار (المقريزي) إلى ذلك بقوله :((ما يغنى له قط صوت إلا حفظه. و لو غناه مائةُ مغنٍّ في مجلس واحد لحفظ سائر ما غنوه به وتكلم على ألحانها وأشعارها. وكانت له يدٌ في الموسيقى))[٢].

وبعد مرور مُدَّة على وفاة ابن نسطاس تراجع الحاكم بأمر الله عن قراره ، فمنع من شرب النبيذ وتشدد فيه من أي وقت مضى ، كما منع بيع الزبيب والعسل ومن حملهما ، فاحرق منهما وغرَّق الشيء الكثير في النيل للتجار يقدر بمال عظيم ، فكُسرت الظروف [٣] التي كان يُوعى فيها النبيذ ومنع عملها[٤].

كما وعُرف عن برجوان انه استقل بلذاته ، فكثر حضوره مجالس الشراب والملذات التي كانت تستمر حتى صباح اليوم التالي ، فكان يجمع في داره عدد من المغنيين رجالاً ونساءً ويكون كأحدهم[٥].

ونهى الحاكم بأمر الله العامة عن التجمع في الصحراء للرقص والغناء على عادتهم خشيةً لانتشار الفساد ، ومنع الغناء واحرقَ آلات المغنيين ، ونفي المغنيين من أصحاب الملاهي لخوفه من إشاعة الانحلال الأخلاقي ، لكن تعهدهم بعدم مزاوله هذه المهنة دفعه بان يعفو عنهم[٦].

→

فقد أعتمد عليه في الكثير من المسائل الطبية ، توفي في مدينة القاهرة سنة (٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن ابي اصيبعة ، ابو العباس موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٦٩ م) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، (ط٤ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٧ م) ، ٣ / ١٤١ ؛ قنواتي ، جورج شحاته ، المسيحية والحضارة العربية ، (ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤م) ، ص ١٨٨ ؛ السامرائي ، كمال ، مختصر تاريخ الطب العربي ، (، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥م) ، ٢ / ١٥.

(١) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٦٩ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٦٥.

(٢) اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٠ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٢٠.

(٣) الظروف : مفردها ظرف ، وهو الوعاء شبه الكيس يصنع من جلد الماعز يحفظ فيه السوائل . ينظر . أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٢٦٥ : هـ (١).

(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٢٦٥ . ويذكر المقريزي ذلك ((واشيع بين الناس بان النبيذ يمنع من بيعه ، فازدحموا على شرائه ، وبيع منه شيء كثير، فعز حتى بيع كل عشر جِرارٍ بدينار ، ولم يوجد لكثرة طلابه)) . اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ٢ / ٢٦ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٢٦٤.

(٦) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ٢٩٤ ؛ المظفري ، محمد حسين ، تاريخ الشيعة ، (ط٢ ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩ م) ، ص ١٨٧.

واصدر الحاكم بأمر الله في سنة (٤٠٢هـ /١٠١١م) سجلا منع فيه لعبة الشطرنج [١] وعاقب من يمارسها ، بل قرر أحراق أدواتها اينما وجدت ، فقبض على جماعة يلعبونها فتمت معاقبتهم بالضرب والحبس في سنة (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) نتيجةً لحدوث الصراعات بين مشجعي هذه اللعبة[٢].

وكان في عهد الظاهر لإعزاز دين الله ينفق في ليلة الغطاس الأموال الكثيرة في المأكل والمشرب فيتجاهر العامة في شرب الخمر ويجتمع أرباب الملاهي وأرباب الملاعبات من كل فن ، فيخرج العامة في تلك الليلة عن الحد في اللَّهو والفرجة ، ولا تغلق الأسواق والدروب والدكاكين[٣].

وفي سنة (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) قرئ سجل برفع المناكر وعدم التظاهر بشيء منها ، ولا تخرج النساء إلى الطرقات في القرافة بعد العصر ، وكذلك عدم اجتماع العامة كما كانوا يجتمعون في الجزيرة والقرافة على المناكر والمحظورات ، فضلاً عن منع الغناء ظاهراً إلا ما كان منه مباح مثل الغناء بالقصب[٤].

ومن مظاهر الفساد في عهد الظاهر لإعزاز دين الله عندما اجتمع النصارى والمسلمين في سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤م) بقنطرة المقس في الخيام المنصوبة في ثالث فصح [٥] النصارى ، فقضوا نهارهم في لهو وتهتك قبيح ، فاختلط الرجال مع النساء وهم يشربون الخمر ، بحيث ان النساء حُملت في قفاف الحمالين من شدة السُكر ، فتميز هذا اليوم بان المنكر كان فيه شديداً[٦].

كما قام الظاهر لإعزاز دين الله في سنة (٤١٨هـ / ١٠٢٧م) بشرب الخمر واباح للناس شربه وشرب النبيذ والفقاع وتنظيم الملاهي وسماع الاغاني واكل الملوخية وسائر انواع السمك ، ((فاقبل الناس على اللَّهو))[٧].

وفي عهد المستنصر بالله اشتهر ابن ميسرة الكتامي بالغناء ، والذي كان يغني في مجالس الخليفة ، وكذلك كان من أشهر الملحنين ابو الحسن بن الطحان الذي كان مبرزاً في مهنة التلحين ، فقد

---

(١) الشطرنج : فارسي معرب ، وهي لعبة تُلعب على ورق ذات اربعة وستين مربعاً ، وتمثل دولتين متحاربتين باثنين وثلاثين قطعة تمثل الملكين ، والوزيرين ، والخيالة ، والقلاع ، والفتية . ينظر . ابن منظور ، لسان العرب ، ٢ / ٢٠٨ ؛ قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص ٢٦٣ ؛ عبد المنعم ، معجم المصطلحات ، ٢ / ٣٣٦ .

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٩٠ ، ٩٤ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٦٣ ؛ محمد ، وسائل التسلية والترفيه في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هــ / ٩٦٨ ــ ١١٧١م) ، مجلة كلية التربية ــ الجامعة المستنصرية ، العدد ٦ ، السنة ٢٠١٦ م، ص ٣٨٥ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١/١ : ٢١٢ ؛ عطا الله ، الحياة الفكرية ، ص ٩٥ ؛ خليل ، محمد محمود ، الاغتيالات السياسية في مصر(٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ/ ٩٦٩ ــ ١١٧١م) ، (مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٦م) ، ص ٢٣٤.

(٤) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٣٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣٥.

(٥) الفصح : هو العيد الكبير عند النصارى ، يعملونه في يوم عيد الفطر من صومهم الأكبر ، فيزعمون ان السيد المسيح (عليه السلام) قام فيه بعد الصلب بثلاثة ايام ، وخلص آدم من الجحيم ، وقام في الارض لمُدَّة اربعين يوماً كان آخرها في يوم الخميس ، ثم صعد إلى السماء . ينظر . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٢ / ٤١٥ ــ ٤١٦.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣٧ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٦٥.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٢٩ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٢٢٥ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٨٣.

لحن اغلب الأناشيد التي كانت منتشرة في مصر ، كما كان الوزير اليازوري يقدره فاسند اليه مهمة تعليم جواريه الغناء والموسيقى ، وكان لابن الطحان كتاب في التلحين والغناء اسمه ((جامع الفنون ، وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنيين))[١].

وفي عهده ايضاً شاع شرب الخمر ، فقد اشتهر عنه انه نصب في القصور التي تقع في عين الشمس خركاةً[٢] وبنى فسقيَّةً[٣]عظيمة ، فحمل اليها الخمر في الرَّوايا[٤] واخرج الملاهي والقيان[٥] من قصره إلى الخركاة وهم يغنون بأصوات عالية ويستَقُون من فسقيَّة الخمر ، وكانوا يطوفون بالخركاة ، يضاهون بذلك الطوائف حول البيت المعظم وزمزم ، ويقول : ((هذا أطيب من زيارة حجارة ، وسماع صوتٍ كريه ، وشرب ماء آسن[٦]))[٧]. ويبدو ان الرواية التي ذكرها النويري مدسوسة على المستنصر بالله من أجل الطعن بالفاطميين والتعرض لهم.

وكان الآمر بأحكام الله متجاهر بالمنكرات وسماع الزمور وشرب الخمر[٨] ، وميله للغناء والعزف واللَّهو ، وقد اعتاد الذهاب إلى بساتينه في مدينة القاهرة في كل اسبوع ثلاثة ايام ، وفي يوم ركوبه يخرجون العامة من مدينة القاهرة ومعهم الطعام والشراب للنظر إلى موكبه والاحتفال به وكأَنَّ يوم عيد[٩].

وحتى الأديرة كان بعض الخلفاء الفاطميين يقصدونها للهو والشرب، كما يرتادها غيرهم من أفراد الشعب فيقدِمون على شرب الخمر في دير ماري حنا فأنشد ابن عاصم المصري[١٠] في

---

(١) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٣١٥ ــ ٣١٦ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣.

(٢) الخركاة : هي كلمة فارسية ، وتعني الخيمة الكبيرة التي اتخذها أمراء الأكراد والأعراب والتركمان مسكناً لهم . للمزيد من التفصيل ينظر . شير ، آدي ، الألفاظ الفارسية المعربة ، (ط٢ ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، ١٩٨٨م) ، ص ٥٣ ــ ٥٤.

(٣) فسقيَّة : هي حوض من الرخام ونحوه يكون مستدير غالباً ، تمجُّ الماء فيه نافورة ، ويكون في القصور والحدائق . ينظر . انيس ، ابراهيم ـ و آخرون ، المعجم الوسيط ، (مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م) ، ص ٦٩٨.

(٤) الرَّوايا : هي الأبل التي تحمل الماء. ينظر. الحربي ، ابي اسحاق ابراهيم بن اسحاق (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) ، غريب الحديث ، تحقيق ودراسة : د. سليمان بن ابراهيم بن محمد العاير ، (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٥م) ، ٢ / ٧٨١ ، ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، ٢ / ٢٧٩.

(٥) القيان : جمع القينة وهي الأَمَة المغنية كانت او غير مغنية . ينظر . الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢٨٧.

(٦) آسن : أسن الماء يأسن أسنا وأسونا فهو آسن ، أي : متغير الطعم . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٧ / ٣٠٧.

(٧) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٥٥ .

(٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ /١ : ٢٢١ ؛ البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٨٣.

(٩) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٢٩/٣ ؛ سلطان، الحياة الاجتماعية، ص٢٢٣ ؛ خليل ، الاغتيالات السياسية، ص٢٣٤.

(١٠) هو محمد بن عاصم المصري ، من شعراء مصر في القرن الثالث الهجري لا يعرف عن حياته أي شيء ، ويبدو من خلال شعره انه كان من شعراء اللَّهو والمجون ، فسماه الثعالبي محمد بن عاصم الموقفي نسبةً إلى حي الموقف في مدينة القاهرة . ينظر . الثعالبي ، ابي منصور عبد الملك بن محمد بن أسماعيل النيسابوري (٤٢٩ هــ / ١٠٣٧م) ، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحه ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م) ، ص ٥١٣ ؛ العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق : عبد الله بن يحيى السريحي ،(المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، ٢٠٠٣م) ، ١/ ٤٥٢ : هـ (٣).

دير طمويه [١] فقال :

واشرب بطمويه من صهباء صافيةٍ تُزري بخمر قُرى هيتٍ وعانات !

علـى رياضٍ مـن النوار زاهرةٍ تجري الجداول مهنا بين جنات !

منازلاً كنتُ مفتوناً بها يفعاً وكنَّ قدماً مواخيري وحاناتي

إذ لا أزال ملحاً بالصبوح على ضرب النواقيس صباً بالديارات [٢].

وكذلك اتخذ الخلفاء الفاطميون وعامة المسلمين في العصر الفاطمي دير مرحنا [٣]، والذي يقع في مصر بالقرب من النيل على بركة الحبش [٤] مكاناً للشراب واللَّهو والطرب ، وقد تغنى بعض الشعراء في هذا الدير وما كان يدور فيه من الشراب واللَّهو فقال أمية بن عبد الصلت المغربي:

يا دير مرحنا لنا ليلة لو شربت بالنفس لم تبخس[٥].

كما عبر شعراء العصر الفاطمي من خلال أشعارهم عن مظاهر الحياة الفنية ، ولاسيما تلك المتعلقة بالغناء والطرب ووصف الآلات الموسيقية والراقصات مثل ما ذكره الشاعر ابن قلاقس[٦] في قصيدة من جملتها :

ومغنٍ تناولت يدُه العودَ فعادت بِنا إلى الأفراح

حَسَّ أوتارَهُ فأصلح منَّا صالحاً صار في يدِ الإصلاح[٧].

وعرف عن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي إقباله على مجالس استماع الأغاني والموسيقى وشدة اقتناء الجواري من المغنيات والراقصات [٨]، كما أنشأ في الجزيرة التي أطلق عليها الروضة قصراً وحدائق ، وقد تردد على هذا المكان في المراكب بصحبة حاشيته إذ كانت تقام مجالس الطرب

---

(١) دير طمويه : هي قرية بالمغرب من النيل بمصر بإزاء موضع يقال له حلوان ، والدير راكب في النيل ، وقد احدقت به الاشجار والنخيل والكروم ، وهو دير عامر آهل ، وهو احد متنزهات مصر . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٥١٩.

(٢) الشبابشتي ، ابي الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، (ط٢ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦م) ، ص ٢٩٩ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ص ١٨٣ – ١٨٤.

(٣) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على تعريف له .

(٤) بركة الحبش : هي بركة تعرف ببركة المعافر وبركة حمير، وتعرف أيضاً باصطبل قورة ، وعرفت أيضاً باصطبل قامش ، وهي من اشهر برك مصر ، وهي في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٧٢٣ - ٧٣٢.

(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٥٣٥ ؛ عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ١ / ٤٦٦ .

(٦) هو ابو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهري الاسكندري ، الملقب القاضي الاعز الشاعر المشهور ، ولد في ثغر الإسكندرية سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧م) ، وتوفي في مدينة عيذاب بعد رجوعه من اليمن في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١م) . ينظر . العماد الأصفهاني الكاتب ، خريدة القصر قسم شعراء مصر، (مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م)،١/١٤٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان،٥ / ٣٨٥ ، ٣٨٨.

(٧) العماد الاصفهاني الكاتب ، خريدة القصر ، ١ / ١٦٦ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٢٣.

(٨) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٨٢.

والغناء ، وأصبحت الجزيرة تعرف بالروضة من ذلك الوقت[١].

وكثُرت في أيام الوزير الأفضل الخمرة ومن يشربها ، وبعد مقتله وتقلد المأمون الوزارة كتب إلى كافة ولاة الأعمال بإغلاق جميع قاعات الخمارين في سائر الأعمال ، ((وأن ينادي بأنه من تعرض لبيع شيء من المسكرات او لشرائها سراً أو جهراً فقد عرض نفسه لإتلافها ، وبرئت الذمة من هلاكها)) فيتضح من ذلك ان المنع والتشديد كان يُراعى فيه مزاج الخليفة والوزير ، لأَنَّ الأفضل كان يقتصر في إغلاق الحانات وعدم بيع المسكرات في مصر – القاهرة – فقط في آخر شهر جمادى الآخرة[٢].

كما عرف أيضاً عن الظافر لدين الله انه كان كثير اللَّهو والطرب واستماع الاغاني واللعب مع الجواري[٣].

ثالثاً: الكفر والردة عن الإسلام

حدثت في العصر الفاطمي جرائم الكفر والردة عن الإسلام ، ففي سنة (٤٠٩هـ / ١٠١٨م) ظهر حسن بن حيدرة الفرغاني الأخرم الذي جاء إلى مدينة القاهرة ، ورأى حلول الإله في الحاكم بأمر الله ودعا إلى ذلك ، كما تحدث عن إبطال النبوة ، ويتأول جميع ما أتت به الشريعة [٤]، فطلبه الحاكم بأمر الله وازداد تبعه ، وخلع عليه خلعاً سنيه ، وأركبه في موكبه بعد ما حملهُ على فرسٍ بسرجه ولجامه ، وبينما هو يسير في الموكب ، برز اليه رجل كرخي وهو في الموكب على جبل طريق المقس ، فالقاه عن فرسه وانهال عليه بالضرب حتى قتله ، فارتج الموكب وتم إلقاء القبض على الكرخي ، فأصدر الحاكم بأمر الله امراً بقتله ، وقام العامة بنهب دار الأخرم في مدينة القاهرة ، وكانت المدة ثمانية أيام بين الخلع عليه وقتله[٥].

فحُمل الاخرم في تابوت وكفن من القصر بأكفان وتم دفنه ، وقام أيضاً اهل السنة بدفن الكرخي وشيدوا على قبره بناء فقصدهُ العامة ليلاً ونهاراً لزيارته وهذا يدل على شدة الصراع بين أهل السنة والإسماعيلية في مصر آنذاك ، وبعد مضي عشرة أيام على دفنهِ وُجد قبره منبوشاً وأخذت جثته ، فكان هذا من عمل الحاكم بأمر الله لما أكنه من الحقد وأصابه الغيظ من قتل الكافر الأخرم أومن

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٩٥ ــ ٧٩٦ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٢٣.

(٢) ابن المأمون ، نصوص من اخبار ، ص ١٠٤ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار، ٣٥١/٢ ؛ أيوب، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٦٦.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٠٩ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١/١ : ٢٢٧ .

(٤) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٢٤ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٣٦١.

(٥) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٠٢ ــ٢٠٣ ؛ ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الدمشقي (١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ٣ / ١٩٤ ــ ١٩٥ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ٤٩.

الموالين لهذا الرجل[١].

وظهر في سنة (٤١٠هـ / ١٠١٩م) حمزة اللباد [٢] وهو أعجمي من الزُّوزون [٣]، فجلس في المسجد الذي عند سقاية ريدان خارج باب النصر ، واخذ يدعو إلى عبادة الحاكم بأمر الله وان الإله قد حل فيه ، فاجتمعت مجموعة من غلاة الإسماعيلية إليه ، ولقب بهادي المُستجيبين ، وكان يخرج من المسجد لينفرد ويتحدث مع الحاكم بأمر الله عملاً بحرية الرأي التي كان الحاكم بأمر الله ينتهجها ، فارتفع شأنه واتخذ خواص لنفسه ولقبهم بألقاب ، فقد لقب رجل بسفير القدرة وجعله رسولاً له ، وكان يبعثه ليأخذ البيعة على الرؤساء على اعتقاده في الحاكم بأمر الله ، فلم يتسنَ لهم مخالفته ؛ لخوفهم على أرواحهم من بطشه[٤].

وكذلك ظهر انوشتكين النجاري[٥] من مولدي الأتراك ، ويعرف بالدرزي[٦]، فانتهج طريق الزوزني وازداد أتباعه ، وكان الحاكم بأمر الله يخلو به ويقف معه ، وأطلق على نفسه سند الهادي[٧] وحياة المستجيبين ، وبقى على هذا الأمر حتى الثاني عشر من شهر (صفر سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م) فاجتمعت مجموعة من أصحاب حمزة الزوزني على الخيول والبغال ، فدخلوا ركباناً الجامع العتيق معلنين بمذهبهم ، وقصد ثلاثة منهم إلى المكان الذي يجلس فيه قاضي القضاة ، والمتحاكمون ينتظرونه فأخذوا يتكلمون بكلام أنكره العامة وضجوا بالتكبير والتهليل والثناء لله عز وجل ، فاجتمع اهل مصر من كل جهة بالجامع[٨].

وذهب بعض العامة إلى لقاء القاضي فلقوهُ وتم إبلاغه بما جرى ، فأتى إلى المجلس فقام اليه احد الثلاثة فأعطاه رُقعةً من الزَّوزني في أولها : ((بسم الحاكم الله الرحمن الرحيم)) يأمره فيها بالاعتراف بالهيأة الحاكم بأمر الله ، فلم يُجبه القاضي شيء إلا ان قال : ((حتى أدخل إلى حضرة مولانا)) وعندما طاوله الكلام ثار به العوام فقتلوه وقتلوا الثلاثة البقية ، كما تعدى الأمر إلى

---

(١) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٠٣ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٣٦٢.
(٢) هو حمزة بن احمد اللباد الزوزني العجمي ، ومنه ظهر مذهب الدُرزية ، والذي اشتهر في وادي التيم وشرق صيدا وجبل بيروت وما جاوره من بلاد الشام. للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي، المقفى الكبير، ٦٥٩/٣ــ ٦٦٢.
(٣) الزوزون : هي كورة واسعة بين نيسابور وهراة ، ويحسبونها في اعمال نيسابور ، وكانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والادباء وأهل العلم . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ١٥٨.
(٤) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٠٣ ــ ٢٠٤.
(٥) ذكره ابن ظافر باسم (انوشتكين البخاري) . ينظر . المصدر نفسه ، ١ / ٢٠٤.
(٦) يذكر يحيى بن سعيد ان اسمه محمد بن إسماعيل ، والذي ورد إلى مصر في سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) كان قاصداً لخدمة الحاكم بأمر الله ، فأحسن إليه وانعم عليه فكانت دعوته إلى العامة ان يعتقدوا بأن الحاكم بأمر الله هو الله صانع العوالم ومبدع الخلائق ، فأظهر دعوته وكشف مذهبه ، ولم ((ينكر الحاكم عليه قوله)) . كما وظهر بعده داع آخر عجمي اسمه حمزة بن احمد ولقب بالهادي ونزل بظاهر مدينة القاهرة بالموضع المعروف مسجد تبر فدعى العامة إلى مقالة الدرزي فألزم بيته واصطنع مجموعة من الدعاة قام بترتيبهم في مصر وماحولها . وبهذا اختلف عن بقية المؤرخين في تحديد السنة الذي ظهر فيه الدعاة . للمزيد من التفصيل عن موضوع الدعاة ينظر . تاريخ الانطاكي ، ص ٣٣٤ ــ ٣٤٤.
(٧) ذكر ابن ظافر لقبه بــ (سند الهادين). ينظر . اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٠٤.
(٨) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٢٥ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣.

المجموعة التي كانت في الجامع فتم قتلهم ايضاً ، وقام العوام بقتل من كان على هذا المعتقد من أهل البلد وسحبوهم من أرجلهم في الطرقات وحرقوهم[١].

وعلى إثر هذه الحادثة عزل الحاكم بأمر الله من كان على الشرطتين من النواب ، وولى غيرهم وأمرهم بجلب المعتدين على أصحاب الزوزني ، فالقي القبض على مجموعة كبيرة بلغ عددها اربعين فقتلوا في اوقات متعددة ، فامتعض جميع العسكر والرعية من هذا الأمر، فأجتمع الأتراك وذهبوا إلى دار صاحبهم الدرزي واحاطوا بها ، فغلقها الدرزي على نفسه ومن كان من أتباعه ، وحاربهم من على سطوحها وحيطانها ، فهدمت داره وتم نهبها كما وقتلوا أربعين رجلاً ممن تواجدوا معه في الدار[٢].

وأما الدرزي فقد هرب ودخل إلى القصر فأخفاه الحاكم بأمر الله فيه ، عند ذلك اجتمع الأتراك ولبسوا سلاحهم واخذوا يطالبون الحاكم بأمر الله بتسليمه إليهم ، وقالوا : ((نحن لا نمنعك ان تتصرف في ملكك كيف شئت ، ولكن هذا رجل منا ونحن لا نتركه)) فأعطاهم الوعود بتسليمه فرجعوا ، وعندما تبين لهم ان الحاكم بأمر الله أخفاه ، فركبوا بأجمعهم وانضم اليهم بقية العسكر بالزحف نحو مسجد ريدان في طلب الزوزني فلم يعثروا عليه فقاموا بحرق باب المسجد[٣].

فأظهر الحاكم بأمر الله الغضب على جميع الجند طيلة شهر ربيع الاول ، وفي الرابع من ربيع الآخر رضى عنهم ، فأجرى الواجبات عليهم وأطاب قلوبهم ، ولما تيقن الحاكم بأمر الله ان أهل مصر كان لهم دور في تجرأ العسكر عليه وحملهم على قتل دعاته ، فبدء بالتدبير عليهم ومقابلتهم على فعلهم في شهر جمادى الآخرة[٤].

فأول ما قام به هو ان سلط الرَّجَّالة ومقدمي السودان وغيرهم عليهم ، وقررّ معهم ان ينزلوا إلى مصر على هيئة المناسر[٥][٦] ، فيكبسون الحمامات ويأخذون بنات أهل مصر نهاراً جهاراً ، فغدت الفحشاء على عين ومرأى من الجميع من دون تدخل من قبل الشرطة لردع هؤلاء الرجال من إرتكاب الفاحشة ، ولما طلب العامة من الحاكم بأمر الله بمنع هؤلاء الجنود وأمر رجال الشرطة من حمايتهم ، فلم يرد جواباً عليهم[٧].

---

(١) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٧٤.
(٢) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٠٥.
(٣) المصدر والجزء والصفحة نفسها.
(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٢٠٦.
(٥) المناسر : جمع كلمة منسر وهي الخيل ما بين المائة إلى المائتين ، والمنسر : الجيش الذي لا يمر بشيء إلا اقتلعه نسره كما يفعل الطائر . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٧ / ٢٤٣ ؛ ابن فارس ، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، (مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، قم ، ١٩٨٤م) ، ٥ / ٤٢٥.
(٦) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٢٦.
(٧) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٠٦ ؛ شادي ، الفساد في الدولة ، ص ٣٠٣.

وعلى الرغم ما تميز به الحاكم بأمر الله من قسوته وشدته مع المخالفين ، إلا أَنَّـهُ ترك أصحاب هذه الدعاوى مستمرين في دعوتهم من دون ان يكون له موقف منهم أو ينالهم بأذى ، فقد كان موقفه سلبياً من هذه المسألة تاركاً للرأي العام البت فيها ، وكل ما يمكن قوله ان الحاكم بأمر الله كان يميل إلى حرية الفكر والرأي ، وكان يشجع المناقشات الحرة في مجال العلم والدين وخلافه ، وأسس لهذا الغرض داراً للمناظرات والذوات الدينية والعلمية عرفت بأسم دار الحكمة أو دار العلم ، فلعل هذه السياسية السلبية التي تبناها مع أصحاب هذه البدعة ترجع إلى هذا الاتجاه الفكري الحر[١].

وفي عهد الظاهر لإعزاز دين الله أدّعى أحد الدعاة الكبار النبوةً في سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) وعلى إثر ذلك قام الظاهر لإعزاز دين الله بقتله فثار أصحابه ، وكادت ان تحصل فتنة كبرى ، إلا أَنَّ الظاهر لإعزاز دين الله تمكن من السيطرة على مجريات الأحداث فأعتقل عدد كبير منهم[٢].

كما وحدثت جرائم الكفر في عصر الآمر بأحكام الله ، والذي أمر وزيره المأمون باتخاذ دار العلم وفتحها على الأحكام الشرعية ، فقد أخذ حميد بن مكي الاطفيحي القصار بالذهاب إلى دار العلم ((فأفسد عقل أستاذ وخياط وجماعة وأدعى الربوبية)) فاختص به رجل خياط وخصي ، فأمر المأمون بإلقاء القبض على حميد القصار وكافة أصحابه ، ففر الخياط ولم يعثروا عليه ، وأما القصار وأصحابه فقد اعتقلوا ولم يقروا بشيء من حاله ، وبقى معتقلاً كل من لم يتبرأ منه إلا الخصي ، والذي قال ان القتل لا يصل إليه ، فأمر بقطع لسانه ورمي قدامه وهو مصرٌ على ما في نفسه ، فأخرج القصار والخصي وأصحابه الذين لم يتبروا منه فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب إلى ان ماتوا ، ثم أحضر الخياط وفعل به كما فعل بأصحابه[٣].

ويذكر ان بعض أصحاب القصار ، كان يشتري الكافور ويرميه بالقرب من الخشبة التي مصلوب عليها ، فمن سار في هذا الطريق يستقبل رائحته ، وكانت غايته من وراء ذلك هو تشتيت عقول من أضله القصار، فلذا أمر المأمون بإنزالهم عن الخشب وخلط رممهم ودفنهم متفرقين ، لكي لا يتعرف على قبر القصار من قبورهم ، وكانت بداية هذه القضية في سنة (٥١٣ هـ / ١١١٩م) وأما قتلهم فكان في سنة (٥١٧ هـ / ١١٢٣م)[٤].

---

(١) العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٢٩٠ ــ ٢٩١ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ٥٥.
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٨٠ ؛ تامر ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٦٢.
(٣) ابن المأمون ، نصوص من اخبار ، ص ٤٦ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٩٥.
(٤) ابن المأمون ، نصوص من اخبار ، ص ٤٦.

ولـم يخـلُ ايضـاً عهـد الحـافظ لـدين الله مـن جـرائم الكفـر التـي حـدثت ، ففـي سـنة (٥٣١هــ / ١١٣٦م) خرج رجل من بني سليم في ناحية برقة وأدعى النبوة ، فـأجتمع عليـه عدد كبيـر مـن العامـة وزعم أنه ينزل عليه قرآن ومنه ((أيها النـاس أنما النـاس بالنـاس ، ولولا النـاس لم تكن النـاس والجميـع برب الناس)) ، ثم تفرق عنه جمعه وانتهى أمره[1].

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٢٨.

الفصل الثالث

أنواع العقوبات في العصر الفاطمي وطرق تنفيذها

المبحث الأول : **عقوبات الإعدام وأنواعها**

أولا : **الضرب بالسيف** (**الرقاب والأعناق**)

ثانياً : **الشنق**

ثالثاً : **الصلب**

رابعاً : **الحرق**

خامساً : **التغريق في النيل**

المبحث الثاني : **العقوبات البدنية**

أولاً : **الضرب والتشهير**

ثانياً :**عقوبات بدنية اخرى مثل** (**قطع اليد – التسمير – التعليق**)

المبحث الثالث : **عقوبات السجن والنفي وتحديد الاقامة**

المبحث الرابع : **العقوبات الإدارية والمالية**

أولاً: **المصادرة والعزل من الوظيفة**

ثانياً : **الغرامـــــة**

أنواع العقوبات في العصر الفاطمي وطرق تنفيذها

لاشك أَنَّ في كل عصر نظامه القانوني والإداري الذي يحكمه ويسعى إلى ضبط وتنظيم المجتمع خلال تقويم سلوكياته وأخلاقياته ، والتي تتفق مع المنهج الذي ترجع اليه الدولة . وقد ظهرت في العصر الفاطمي موضوع الدراسة والبحث مجموعة كبيرة ومتنوعة من العقوبات المادية ، أو المعنوية التي تهدف إلى كبح وردع الجرائم المرتكبة ، وأخذت العقوبات في التدرج من عقوبات بسيطة ومتواضعة إلى عقوبات كبيرة ، طبقاً لنوع الجريمة وطبيعة صفات الخليفة أو الحاكم الشخصية ومدى قسوته ، أو مرونته ، فضلاً عن الظروف الراهنة التي يمر بها البلد سواءً كان الوضع مستقراً أم غير مستقر ، ناهيك عن الجريمة المرتكبة من قبل فرد ، أو جماعة . ولذا شهد العصر الفاطمي عدداً من أنواع العقوبات وطرق تنفيذها وسوف نتطرق إلى ذكرها في محور هذا الفصل.

المبحث الأول : عقوبات الإعدام وأنواعها

اختلفت طبيعة أو أسلوب القتل المستعمل في تنفيذ عملية الإعدام تبعاً لطبيعة المنطقة والمجتمع والظروف المحيطة بهما ، فكانت كل حالة من عقوبة الإعدام تنفذ بالطريقة والكيفية التي يتوسمها المنفذ لتحقيق الغاية ، ولذلك تباينت طرق تنفيذ عقوبات الإعدام في العصر الفاطمي وهي كما يلي :

أولاً : الضرب بالسيف [(١)] (الرقاب والأعناق)

كان السيف يمثل إحدى الأدوات التي تستعمل في تنفيذ عقوبة الإعدام ، طبقت هذه العقوبة في العصر الفاطمي لأول مرة في سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٩م) ، والتي قام بتنفيذها القائد جوهر الصقلي بضرب أعناق مجموعة من الأفراد الذين افسدوا في الطرقات وصلبهم في السكك[(٢)].

---

(١) السيف : هو عبارة عن سلاح للهجوم يستعمل بواسطة اليد ، له نصلٌ طويل قد يكون مستقيماً أو مقوس ، يصنع من الحديد ويثبت في مقبض ، وتكون مهامه الطعن أو القطع. ينظر. زكي ، عبد الرحمن ، السيف في العالم الاسلامي ، (مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ص١. وقد أشتق أسمه من قولهم : ((ساف ماله أي هلك)) ولكون السيف كان سبباً للهلاك أطلق عليه هذا الأسم . ينظر. أبن سيدة ، المخصص ، ٢ / ١ : ١٦ ؛ الكجوري ، محمد باقر ، الخصائص الفاطمية ، ترجمة : سيد علي جمال شرف ، (مطبعة شريعت ، قم ، ٢٠٠٢م) ، ١ / ٢٤٢. وعرف عنه أسماء كثيرة منها القضيبُ ، المُصَمَّمُ ، الصِّمصَامُ ، الباتر ، الصَّلتُ وغيرها من الأسماء. للمزيد من التفصيل ينظر. اللبابيدي ، أحمد بن مصطفى الدمشقي ، معجم أسماء الأشياء المسمى : اللطائف في اللغة ، دراسة وتحقيق : أحمد عبد التواب عوض ، (دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، د.ت) ، ص ٢١٧.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٢٠.

كما طبقت في عهد الحاكم بأمر الله ، ففي سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) نفذت العقوبة من قبل والي دمشق جيش بن الصمصامة بحق مجموعة من زعماء الأحداث الذين عاثوا في البلاد فساداً ، فدعاهم إلى حضور مأدبة طعام عنده في القصر ، وعند تناولهم الطعام اصدر أمراً بضرب رقابهم وصلبهم ، وبعدها القى القبض على أشراف مدينة دمشق وحملوا إلى مصر وهم مقيدين إذ تم تشهيرهم بها[١].

واقدم الحاكم بأمر الله على تنفيذ عقوبة ضرب العنق في سنة (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) بحق أبي الطاهر محمود بن النحوي[٢] الذي كان ناظراً في أعمال بلاد الشام ؛ وذلك لكثرة جبروته وتعسفه مع العامة [٣]، وفي شهر ذي الحجة من السنةِ نفسِها ضرب عنق صاحب المظلة [٤] الاستاذ ابو الفضل زيدان [٥]. ويبدو سبب عقوبته هو إخلاله بمنصبه وتجاوزه على الصلاحيات الممنوحة له.

كما قام الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٤ هـ / ١٠٠٣م) بمعاقبة صاحب ديوان النفقات بضرب عنقه ؛ بسبب إقدامه على سرقة مبلغ من المال قدرهُ مائتي ألف دينار ذهب [٦].

وفي سنة (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) أصدر الحاكم بأمر الله قراراً منع بموجبه بيع الملوخية التي كانت الأكلة المفضلة عند معاوية بن ابي سفيان [٧] ، فقد كانت محببة لدى المصريين فخالف بعضهم أوامره ، فألقي القبض على مجموعة ممن كانوا يأكلونها ، فضربوا بالسياط وطيف بهم ، ومن ثم ضربت أعناقهم[٨].

كما القي القبض على رجل في مدينة القاهرة سنة (٣٩٦ هـ / ١٠٠٥م) على إثر قيامه بسب عائشة ، فتقرر ضرب عنقه ، وبعدها أصدرت الأوامر إلى الشرطة بإلقاء القبض على أي شخص يقدم على سب السلف ، ومن جراء ذلك توقف الرعاع عن السب [٩]، ويبدو أَنَّ الثورة التي قام بها أهل السنة في مدينة الفسطاط كان لها صدى وتأثير كبير في الحياة الدينية ، ولهذا قرر الحاكم بأمر

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٣ – ٥٤ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٦٩.
(٢) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .
(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٥ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٧.
(٤) المظلة : هي قبة من حرير اصفر مزكرش بالذهب ، على اعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان في العيدين ، ويعبر عنها بالجتر (بجيم مكسورة) . ينظر. الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، اشرف على تحقيقه وخرج احاديثه : شعيب الارنؤوط ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، (ط٤ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦م) ، ١٥ / ١٨٣ : هـــ (١) ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤ / ٧ – ٨.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٧. وذكره ابن خلكان بأسم الاستاذ ابو الفضل رَيدان الصقلبي . ينظر. وفيات الاعيان ، ١ / ٢٧٠.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٨.
(٧) المصدر نفسه ، ٢ / ٥٣ .
(٨) حسن ، الفاطميون في مصر، ص ٢٢١ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٩٥.
(٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٧ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٣٩.

الله تجنباً لأثارة عواطف العامة إصدار اوامره بمنع السب[١].

وفي سنة (٤٠١ هـ / ١٠١٠م) قلد الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد القشوري (٤٠١هـ / ١٠١٠ م) [٢] السفارة والوساطة بين العامة والحاكم بأمر الله ، كما فوض اليه الأمور ، إلا أَنَّهُ لم يستمر في منصبه طويلاً ، فقد قبض عليه ظهراً وضربت رقبته ، وكان سبب هذه العقوبة هو إكرامه وتعظيمه للقائد الحسين بن جوهر ، ((واكثر من السؤال في حوائجه))[٣].

وقرر الحاكم بأمر الله في السنةِ نفسِها من أعادة الأذان على النحو الشيعي ((حي على خير العمل)) إلى ما كان عليه من قبل ، وألغى صلاة الضحى والتراويح ، وعندما وصل خبر إقامة صلاة التراويح في الجامع العتيق خلال شهر رمضان ، أصدر أمراً بضرب عنق أمام الجامع[٤].

وفي شهر (جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م) ركب الحاكم بأمر الله بصحبة الوزير الحسين بن طاهر الوزان (٤٠٣ ـ ٤٠٥ هـ / ١٠١٢ ـ ١٠١٤م) [٥] إلى حارة كتامة [٦] وعندما وصلا اليها أمر بضرب رقبته ودفنه في مكانه [٧]، وقد حاول ابن الوزان ان يقف أمام إسراف الحاكم بأمر الله في البذل ، فتوقف عن إمضاء ما يقرره الخليفة ، فكتب إليه الحاكم بأمر الله ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله ومستحقه:

أصبحت لا أرجوا ولا أتقي	إلا إلهي ولهُ الفضلُ
جدّي نبي وإمامي أبي	وديني الإخلاصُ والعدلُ[٨]

ما عندكم ينفد وما عند الله باق، والمالُ مال الله ، والخلق عيال الله ، ونحن أمناؤه في الأرض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام)) [٩]. ويبدو أنَّ عقوبته بذلك كانت لاعتراضه على إسراف

---

(١) خلف ، ثورة المصريين ، ص ١٧٩.

(٢) هو أحمد بن محمد القشوري ، وصحتهُ القشيري ، كان أحد كتاب الدواوين ويغلب أَنَّهُ كان عراقي الأصل ، تولى الوزارة في عهد الحاكم بأمر الله ، أستمر في منصبه عشرة أيام فقط ، قتل من قبل الحاكم بأمر الله . ينظر . المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٨.

(٣) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١١٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٨٦ ؛ حسن ، الفاطميون في مصر ، ص ٢٢٤.

(٥) هو أمين الأمناء ابو عبد الله الحسين بن طاهر الوزان ، كان متولي بيت المال ، وعندما تقلد الوزارة في عهد الحاكم بأمر الله ، حل محله أخيه ابو الفتح مسعود في ولاية بيت المال . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٨ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٢ / ٢٤٠.

(٦) هي الحارة التي تنسب إلى قبيلة كتامة ، والتي هي أصل دولة الخلفاء الفاطميين ، نزلوا بها عندما جاءوا من المغرب برفقة القائد جوهر الصقلي ، وأما موضعها اليوم المنطقة التي يتوسطها حارة الأزهري وعطفة الدويداري وما يتفرع منهما من العطف والدروب التي تقع في الجنوب الشرقي من الجامع الأزهر . ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ /٥٠ : هـ (١).

(٧) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٨٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠٨ ؛ خليل ، الاغتيالات السياسية ، ص ١٢٣.

(٨) نسبت هذه الأبيات أيضاً إلى المستنصر بالله . ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٨٢.

(٩) ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٦٠ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ٨٧ ـ ٨٨.

الحاكم وتمرده على أوامره.

وفي عهد الحاكم بأمر الله ورد أَنَّ رجلاً من مدينة سجلماسة [١] كان في طريقه إلى الحج ، فأودع ماله في السوق عند رجل توسم فيه الخير وحفظ الأمانة ، وعندما رجع من أداء فريضة الحج ، طلب ماله من الرجل لكي يعود به إلى بلده ، فأنكر الرجل عليه ذلك وقال : ((طيب عنه نفساً فو الله لا رأيته أبداً)) فازداد الرجل غضباً ، وأخذ يتوسل إليه بكل سبب ، إلا أَنَّهُ من دون جدوى ، فشكى أمره إلى الحاكم بأمر الله فقال له : ((أجلس في دكان مقابل لدكانه ، فإذا جزتُ في تلك السوق فأعمل كأني أعرفك وأسألك عن مالك وأكثر من الوقوف معك)) وعندما عمل الرجل بما أمر به الحاكم بأمر الله ، أتى الرجل الذي عنده الوديعة وأكب على يديه يسأله الصفح عما سلف واحضر له جميع ماله ، فعلم الحاكم بأمر الله بما جرى ، وأصبح الرجل الذي أنكر الأمانة مقتولاً ومعلقاً برجله على دكانه[٢]. ويبدو أَنَّهُ عوقب بضرب رقبته او عنقه ؛ لكونه ارتكب جريمة خيانة الأمانة وعدم صيانتها وهي من العقوبات الشائعة في ذلك الوقت.

كما أوردت المصادر في حقبة الحاكم بأمر الله أَنَّهُ أمرَ بحجرة من حجر القصر فأغلق بابها على مجموعة من الجواري ، فطلب خادماً فهرب واستجار بالحجرة التي فيها القبور ، فقيل له : ((وحق من فيها لا ضُربت رقبتك ، ولا خرجت إلا محمولاً)) فأمر به فضرب بالسيوف حتى توفي، ومن ثم حُمل[٣].

واستعملت هذه العقوبة بكثرة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله وخصوصاً في سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) ، ففي شهر شعبان من السنةِ نفسِها وصل مع الصقالبة نسيم صاحب الستر إلى بيت المال ، وانتقل جميعهم إلى الشيخ محسن بن بدوس (صاحب بيت المال) ، وهو جالس وبين يديه قراطيسه وحسباناته ، فقال له نسيم : ((أجمع يا شيخ هذه القراطيس واختمها ، فجمعها وختمها بخاتمه . ثم قال له قم !فقام وختم الخزائن بأسرها)) ، ثم أشار عليه ان يسير راجلاً ، فسار معه إلى حجرة القصر الكبير فأعتقله ، وبين العشاء والعتمة ، أُخرج محسن بن بدوس إلى مجاز القصر فضربت عنقه بالسيف [٤] وكان سبب عقوبته أنه عثر عنده على خط حسان بن جراح يشجعه على النفاق والإيقاع بالدولة الفاطمية ، وذكر غير ذلك[٥].

---

(١) سجلماسة : هي مدينة تقع في جنوب المغرب من طرف بلاد السودان ، بينها وبين مدينة فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب ، وهي في منقطع جبل درن . للمزيد من التفصيل ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ١٩٢.

(٢) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٧٥ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٢٠٤.

(٣) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٦٣ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٤٦.

(٤) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٧٦ ــ ١٧٧ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٧ / ٢٥٣.

(٥) للمزيد من التفصيل عن الاقوال التي ذكرت في سبب عقوبة الشيخ محسن بن بدوس . ينظر . المسبحي ، اخبار مصر، ص ١٧٧ ــ ١٧٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٥٨.

وفي السنةِ نفسِها صلى أنوشتكين الدزبري في مدينة الرملة صلاة العيد ، وبعدها انتقل إلى الموضع المعروف بـــ (لُدّ)[١] ، فشكى أهل البلد من الضرر الذي وقع عليهم لمجموعة من الغمازين[٢] الذين كانوا يغمزون بهم إلى حسان بن جراح ، فقاموا بكتابة أسمائهم والتي بلغ تعدادها أربعون رجلاً ، فتم إلقاء القبض عليهم جميعاً وضرب رقابهم بسيف واحد[٣].

وفي سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤م) أيضاً أخذ أحمد بن طَاطِوا الكتامي[٤] ، وعليهِ أثار السفر ، وله شعرة طويلة ابقاها على رأسه ، فزعم أَنَّهُ قادمٌ من مدينة الكوفة ، وانه كان مع الحاكم بأمر الله ، والذي بعثه إلى العامة ((لينتهوا عما هم فيه عليه)) فصدر الأمر بضرب عنقه[٥]. ويبدو أَنَّ العقوبة جاءت جراءً لمحاولته خداع السذج من العامة.

ولم تتردد الدولة الفاطمية في عهد الظاهر لإعزاز دين الله من حماية قوت المجتمع من الدقيق حتى في حالات الانفلات الأمني ، وعلى الرغم من وجود اللصوص وسيطرتهم على أسواق مدينة القاهرة ، إلا أَنَّ احد رجالات الدولة واسمه حظي الصقلبي خرج اليهم ومعه سيف من الحضرة أمر بقتالهم ، فأستطاع من القاء القبض على مجموعة منهم بلغ عددهم اثنا عشر رجلاً وضرب رقابهم ورمى جثثهم إلى الكلاب [٦]، كما قام بضرب عنق احد الكتامين واسمه سليمان ؛ لأنه أخذ حماراً محملا بالدقيق وأدخله إلى داره ، واستدعى عرفاء العبيد إلى قصر الخلافة ، وطلب منهم إحضار الجناة من العبيد[٧].

كما القي القبض على رجل من قبل متولي الطوف قام بقتل امرأة قامت بتربيته خنقاً ، وأخذ جميع ما في دارها ، فاسترجع منه الرحل ، ثم ضربت رقبته وصلب في القرافة[٨].

وارتكبت في السنةِ ذاتها جريمة قتل بشعة ، قام بها مجموعة من اللصوص بحق التاجر أبي الحسن السوسنجردي وغلامه فَذُبحوا ، وأخذ ما وجد من ماله ، وعندما تم البحث على الفاعلين ، قبض على شخص واحدٌ منهم على يد متولي الشرطة السفلى ابن كافي الكتامي ، والذي أمر بضرب

---

(١) لُدّ : هي قرية تقع بالقرب من بيت المقدس من نواحي فلسطين ، وفي بابها يدرك عيسى بن مريم (عليه السلام) الدجال فيقتله . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ١٥.

(٢) الغمازين: الغَمز: الإشارة بواسطة العين والحاجب والجفن، غَمَزَه يَغمِزُه غَمزاً . ابن منظور، لسان العرب، ٣٨٨/٥ ؛ فتح الله، معجم ألفاظ الفقه، ص٣١٠ . والغمازين هم الذين يدلّون اصحاب الشرطة على المطلوبين او بيوتهم وكانوا ملثمين لكونهم من اقرباء المطلوبين اومن ابناء حيهم وحارتهم . ينظر . صالح ، حضارة مصر ، ٢ / ٤٣٩.

(٣) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٠٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٦٨ ؛ صالح ، حضارة مصر ، ٢ / ٤٣٩.

(٤) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .

(٥) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٢١٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣٦.

(٦) المصدر نفسه ، ٢ /١٧٠.

(٧) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢١٠.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢١٩.

رقبته [١] ، وعاقب معضاد بضرب رقاب تسعة أشخاص من العبيد نزلوا إلى مصر ، ورمى بجثثهم إلى الكلاب[٢] ، وبعدها القي القبض على ستة أشخاص كذلك منهم ، فتم ضرب رقابهم في مدينة القاهرة [٣].

أما في عهد المستنصر بالله ، فقد شهدت أيامه عدداً من الأزمات الاقتصادية والمجاعات مما أدى توسع الدولة في هذه العقوبة ، فبعد اشتداد المجاعة في سنة (٤٥٧ هـــ / ١٠٦٤م) وفقدان الخبز من الأسواق ، أحضر والي مدينة القاهرة وهددهُ وأقسم له بالله أنه ان لم يظهر الخبز في الأسواق وينحل سعره ، ضرب رقبته وانتهب ماله ، فقام الوالي بجمع التجار والخبازين والطحانين ، وعقد لهم مجلساً واحظر احد المجرمين وادخله عليهم على شكل احد التجار ، وقال له : ((ويلك ! اما كفاك انك خنت السلطان ، واستوليت على مال الديوان ، إلى ان خربت الاعمال ومحقت الغلال ، فادى ذلك إلى اختلال الدولة وهلاك الرعية ؟ أضرب رقبته ! فضربت في الحال ، وأمر بإحضار آخر منهم وقال له : ((كيف جسرت على مخالفة الأمر لما نهى عن احتكار الغلة ، وتماديت في إرتكاب ما نهيت عنه ، إلى ان تشبه به سواك ، فهلك الناس ؟ أضرب رقبته ! فضربت في الحال))[٤]. ويبدو أنَّ التهديد الذي أطلقه المستنصر بالله للوالي كان له دور كبير ومؤثر في دفعه نحو اتخاذ الإجراءات الكفيلة والرادعة للحد من استغلال التجار والخبازين للعامة في ظل الأزمات الاقتصادية والمجاعات.

ومن جراء المجاعات التي حدثت في عهد المستنصر بالله ، وصل الأمر إلى اختطاف النساء في الطرقات واكل لحومهن وهن على قيد الحياة ، فقد قام أحد العبيد السود بسحب امرأة سمينة إلى بيته بعد تعليقها بواسطة الكلاليب ، فاخذ يقطع من أفخاذها شرائح اللحم وهي تصرخ ، ثم جلس يأكل ظناً منه أنَّها لن تتمكن من الفرار ، إلا أنَّها استطاعت الخروج من بيته زحفاً طالبةً النجدة ، فجاء الوالي واخذ بتفتيش داره ، فألقى القبض عليه ، وبعدها أمر بضرب عنق الجاني ، في سنة (٤٦١ هـ / ١٠٦٨م)[٥].

وبعد نجاح الوزير بدر الجمالي من انقاذ الدولة الفاطمية من فقدان أملاكها وإعادة نفوذها في بلاد الشام ، علماً ان السجلات المستنصرية أيدت بدر الجمالي ضد كل أعدائه ، ومن بينهم الذين هربوا من مصر إلى بلاد اليمن ، فلذا أمر المستنصر بالله السيدة الحرة ملكة اليمن بقطع رؤوسهم[٦].

---

(١) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٢٩ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٤٩.
(٢) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٣٥.
(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٧٠.
(٤) اغاثة الامة ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ٦٦ ؛ دسوقي ، حكاية الاجور ، ص ٣٣٧.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣١١.
(٦) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (١٦) ، ص ٦٧ ــ ٦٩ ، سجل رقم (٥٣) ، ص ١٧٣ ــ ١٧٥ ؛ ماجد ، ←

كما وعرف عن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أَنَّهُ كان شديد الغَيرة على نسائه ، فقد صعد ذات يوم إلى سطح داره ، وإذا به ينظر إلى جارية من جواريه وهي متطلعة إلى الطريق ، فعند ذلك أمر بضرب عنقها[1].

وأصدر وزير الظافر بأمر الله العادل ابن السلار عقوبة ضرب العنق بحق شاب وجّهت له تّهمة تزوير التواقيع[2].

ثانياً : الشنق[3].

طبقت عقوبة الشنق في العصر الفاطمي بعدد من المخالفين والمجرمين ، ففي عهد المعز لدين الله تعرضت زوجة كافور الإخشيدي إلى سرقة بغلطاقاً (قباء) لها من قبل رجل يهودي ، وعند سماع المعز لدين الله بذلك ، أمر بإحضار اليهودي ، ولما جلس بين يديه ، أنكر كل ما حصل ، فعندها أمر بشنقه[4].

وفي عهد العزيز بالله شعر المسلمون بالتسلط والاذى الذي لحق بهم من جراء زيادة نفوذ أهل الذمة وعلو شأنهم عليهم ، فقام بعضهم إلى مبخرة من الجريد ، والبسها ثياب النساء ، وزيّرها بإزار ، وجعل في يدها قصة على جريدة ، وكتب فيها ((بالذي أعز النصارى بنسطورس ، وأعز اليهود بمنشاة ، وأذل المسلمين بك ، ألا ما رحمتهم ، وأزلت عنهم هذه المظالم)) ، وعند مرور العزيز بالله على تلك الصورة ، ظن أنها امرأة لها حاجة ، وعندما قرأ قصتها أزداد غضباً ، وأصدر أمراً بشنق الوزير عيسى بن نسطورس على باب قصر الزمرد ، وبعدها أرسل إلى بلاد الشام بشنق اليهودي منشاة بن إبراهيم على باب قلعة بلاد الشام [5]. ويبدو أَنَّ هذه العقوبة من قبل العزيز بالله جاءت بعد تأثره بقراءة القصة وما لحق بالمسلمين من تسلط وتعسف من اهل الذمة آنذاك.

→ ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي، (ط ٤ ، دار الفكر العربي للطبع والنشر، ١٩٩٤م) ، ص ٣٢٩.

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٨٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٧٣ ؛ دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ١٦١.

(٢) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٠ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٨٠.

(٣) الشنق : لغةً : الشين والنون والقاف أصل صحيح منقاس ، وهو يدل على امتداد في تعلق بشيء من ذلك الشناق وهو الخيط الذي يشد به فم القربة ، وشنق الرجل بزمام ناقته إذا فعل بها كما يفعل الفارس العربي إذا كبح بلجامه ، ويقال ان الشنق طول الرأس كأنما يمتد صعداً ، ويقال للفرس الطويل : شناق ومشنوق . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٥ / ٤٢ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٣ / ٢١٩ . واما اصطلاحاً : فالشنق هو تعليق المرء من عنقه بواسطة حبل حتى الموت. ينظر . قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص ٢٦٦.

(٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١ / ٦٠٠ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ١٨٨ ــ ١٨٩ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٠٧.

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٩٧ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ١٩٦ ؛ قاسم ، اليهود في مصر ، ص ١٤٠.

وعرف عن الحاكم بأمر الله اتخاذه مجموعة من القرارات والإجراءات ، والتي وصفت بالمتشددة ، ومنها انه منع بيع الكبب اللحم ، والفقاع ، وأمر بشنق كل من يقوم ببيعه[١].

أما في عهد المستنصر بالله فقد طبقت العقوبة بحق رجل صيرفي قام بضرب ناصر الدولة بن حمدان بسكين في سنة (٤٦١هـ / ١٠٦٨م) ، وعلى إثر ذلك القي القبض عليه وشنق في الحال ، وحمل بن حمدان إلى منزله جريحاً ، فتم معالجته وشفاؤه بعد أن شارف على الموت ، وربما يكون المستنصر بالله ووالدته كانا وراء عملية قتل ابن حمدان عندما حرضا الصيرفي عليه[٢].

وفي أثناء الشدة العظمى – أو الشدة المستنصرية – التي ضربت الدولة الفاطمية ، والتي أتسمت بغلاء الأسعار وانتشار المجاعات والاوبئة ، فقد عوقبت طائفة من العامة بالشنق من قبل وزير المستنصر بالله الفارقي ؛ وذلك لأقدامهم على أكل بغلته بسبب حالة الجوع الشديدة ، وبعدها قامت مجموعة من النسوة بالاجتماع عليهم وأكلهم[٣]. ويبدو أَنَّ الشدة المستنصرية كان لها دور كبير في انتشار مختلف الجرائم وأفظعها في المجتمع المصري آنذاك.

وفي سنة (٥٦٢ هـ / ١١٦٦م) أقدم وزير العاضد لدين الله شاور بن مجير بشنق القاضي الرشيد بن الزبير[٤] ، لميله إلى أسد الدين شيركوه ومكاتبته له عند قدومه إلى مصر ، وقتاله إلى جانب صلاح الدين الأيوبي أثناء محاصرة مدينة الإسكندرية[٥].

وعندما دخل أسد الدين شيركوه إلى مصر، وأصبح وزيراً للعاضد لدين الله في سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) ، قام بشنق الوزير شاور ؛ لكونه كان سبباً في تسهيل دخول الصليبيين إلى مصر ، فقد أخذ يكاتبهم في السر ويحثهم على الدخول للبلاد نكاية بأسد الدين شيركوه[٦].

---

(١) ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٥٨ ؛ أبن تغري بردي ، مورد اللطافة في من ولّى السلطنة والخلافة ، تحقيق ودراسة وتعليق : د. نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧م) ، ١ / ٢٧٥.

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٨٤ ؛ ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٣٢٠.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٩٨ ؛ إغاثة الأمة ، ص ٩٩.

(٤) هو احمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الاسواني المصري ، القاضي الرشيد أبو الحسين ، كان شاعراً كاتباً فقيهاً لغوياً مؤرخاً مهندساً طبيباً موسيقاراً منجماً، وهو من بيت كبير في الصعيد معروف بالثراء ، تولى النظر في ثغر مدينة الإسكندرية بغير اختياره ، له مؤلفات من بينها ((منية الألمعي وبنية المدعي)) ، والذي تضمن على علوم كثيرة . للمزيد من التفصيل ينظر. الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٤٤/٧ ــ ١٤٨ ؛ الزركلي، الأعلام ، ١٧٣/١.

(٥) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٧ / ١٤٤ ، ١٤٧ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٤٩.

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ٢٣٢.

ثالثاً : الصلب [١].

ومن عقوبات الإعدام التي كان معمولٌ بها في العصر الفاطمي عقوبة الصلب ، ففي سنة (٣٥٩هـ / ٩٦٩م) خرج على طاعة الدولة الفاطمية تبر الإخشيدي ، إلا أَنَّ القائد جوهر الصقلي أرسل اليه جيشاً لمحاربته ، فتم إلقاء القبض عليه في مدينة صور وأرسله إلى مدينة القاهرة ، فتمت معاقبته على فعلته فشهر وسجن لمُدَّة ثمانية أشهر، وعندما أشتد عليه الطلب قام بجرح نفسه ، وبعدها سلخ جلده وحشي تبناً وصلب[٢].

كما حصل خروج على طاعة الدولة الفاطمية في السنةِ نفسِها أيضاً فعوقب عدد من أصحاب تبر والإخشيدية بضرب أعناقهم ، وصلبوا حتى دخل المعز لدين الله من المغرب [٣] كما أمر القائد جعفر بن فلاح بضرب أعناق مجموعة من المعارضين للسلطة في بلاد الشام وصلب جثثهم وتعليق رؤوسهم على الأبواب ومن بينها رأس إسحاق بن عصودا[٤][٥].

وفي سنة (٣٦١هـ /٩٧١م) قام المغاربة بنهب بعض المواضع في مدينة مصر فأدى إلى زيادة حفيظة العامة وأدى هذا إلى احتدام القتال بينهم وبين الرعية ، وعلى إثر ذلك لجأ جوهر الصقلي بتعويض الأهالي عن الأضرار التي لحقت بهم ، إلا أَنَّهم في سنة (٣٦٢هـ / ٩٧٢م) عادوا إلى هذا الأمر من جديد ، فعندها قرر جوهر الصقلي إلقاء القبض عليهم وصلبهم[٦].

وبعد انهزام الحسن بن أحمد القرمطي[٧] في مدينة دمشق ، أرسل المعز لدين الله ظالم بن موهوب العقيلي[٨] والياً على المدينة ، فأعتقل متوليها أبا المُنَجّا

---

(١) الصلب : لغةً : صَلَبُ يَصلُبُ ويَصلِبُ : صلباً ، علقه مشدود الرجلين ممدود اليدين . ينظر . مسعود ، جبران ، الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى ، (ط٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٩٢م) ، ص ٤٩٨.

(٢) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٤٤- ١٤٥ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٥٨٥.

(٣) اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٢٢.

(٤) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/ ١٢٦ ؛ المقفى الكبير، ٥٥/٣ ؛ مال الله ، ـ و الحدراوي ، التشهير، ص ٢٧٠.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٣١ و ١٤٣ ؛ دسوقي ، حكاية الاجور ، ص ٣٣.

(٧) هو ابو علي الحسن بن احمد بن ابي سعيد حسن بن بهرام الجَنَّابي القرمطي الملقب بالأعصم ، ولد في مدينة الإحساء في سنة (٢٧٨ هـ / ٨٩١م) فتنقلت به الأحوال واستولى على بلاد الشام في سنة (٣٥٧ هـ / ٩٦٧م) واستناب على مدينة دمشق وشاحاً السُّلمي ، وبعدها رجع إلى مدينة الإحساء ، ثم جاء إلى بلاد الشام في سنة (٣٦٠هـ / ٩٧٠م) . للمزيد من التفصيل ينظر . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، اشرف على تحقيقه وخرج احاديثه : شعيب الارنؤوط ، تحقيق : اكرم البوشي ، (ط ١١ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م) ، ١٦ / ٢٧٤ ــ ٢٧٦ ؛ سرور ، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، (دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص ٣٩ ــ ٤٥.

(٨) هو ظالم بن موهوب العقيلي ،والذي قصد مدينة دمشق غير مرة ، وتغلب عليها ، وكان فيها صالح بن عمير أمير دمشق أول مرة سنة (٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م) ،ومرة اخرى في سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩ م) . للمزيد من التفصيل ينظر .الصفدي ،أمراء دمشق في الإسلام ،(ط٢، دار الكتاب الجديد ، بيروت ،١٩٨٣م) ، ص ٦٨ ، ٧٢ ، ١٠٤؛ تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ،حققه : أحسان بنت سعيد خلوصي ــ و زهير ←

القرمطـــي[1] مـع والـــده ، فضـلاً عـن أعتقـال شـخص يعـرف بـــ (ابـو بكـر) [2] مـن أهـل مديـــنة نـابلس[3] والذي كان يقدح في الفـاطميين ويقـول : ((لـو كـان معـي عشـرة أسـهم لرميتُ الرومَ بسـهم ورميتُ المغاربة – يَعنى الفاطميين – بتسعة))[4] ، وعلـى إثر هذه المقولة تقرر معاقبتـه بسلخ جلده وحشي تبناً وبعد ذلك تم صلبه[5].

وفـي عهد العزيـز بـالله احتـال الـوزير يعقـوب بـن كلـس علـى بكجـور[6] فـي سـنة (٣٧٧ هـ/ ٩٨٧م) والذي كان في مدينة دمشق من قبل العزيز بالله بمن يقوم بقتلـه غيلـةً ، فأختـار لهذه المهمـة غلام نصراني عطار يعرف بـ (ابن الكويس) [7] من أهالي مدينة دمشق وأعطاه الوعود بأن يرفـع من شأنه ان تمكن من قتله ، ولما علم بكجور بـذلك ، القـى القبض علـى ابـن الكـويس ومجموعـة مـن أصحابه فأكحَّلهم وصلب ابن الكويس ، بعد أخذ مالـه ، كمـا صـلب رجـلان كانـا معـه يقـال لأحدهما السويق ، والآخر ابن البازل فماتوا جميعهم[8].

وفي سنة (٣٩١هـ /١٠٠٠م) ألقي القبض علـى رجـل مـن أهل بـلاد الشـام فـي مصـر قـال : ((لا أعرف علي بن ابي طالب ، وأقول ان النبي صل الله عليـه وسلم مرسـل ، غيـر أنـي لا أعـرف علي بـن أبـي طـالب)) فحبس وأصـر علـى عدم معرفتـه عليـا ، فرفق بـه القائد الحسـين بـن جـوهر فأصرَّ كذلك على إنكاره الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولما علم الحاكم بأمر الله بأمره ، أمر بضرب عنقه ومن ثم صلب[9].

→

حميدان الصمصام ،(مطابع وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩١م)،١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(١) هو أبو المُنجّا ، ويقال أبو عبد الله علي بن المُنجّا ، يُعد من وجوه أصحاب الحسن بن احمد القرمطي ، أستخلفه عليها بعد أنهزامه من أبي محمود أبراهيم بن جعفر ، وفي ناحية بعلبك قصده ظالم العقيلي ، والذي تمكن من أسره مع والده في شهر (رمضان سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣ م) وأرسلهما إلى مصر في قفصين من خشب ، حيث حبسهما به . ينظر . أمراء دمشق ، ص ١٠٤.

(٢) هو محمد بن احمد بن سهل ، أبو بكر الرملي المعروف بــــ (ابن النابلسي) ، شاعر من أهل مدينة الرملة في فلسطين ، أصله من مدينة نابلس ، عرف عنه انه كان شديد الذم للمعز لدين الله وللفاطميين . للمزيد من التفصيل ينظر . الزركلي ، الاعلام ، ٥ / ٣١١.

(٣) نابلس : هي مدينة مشهورة تقع في أرض فلسطين بين جبلين مستطيلة ليس لها عرض ، كثيرة المياه لكونها لصيقة في الجبل ، أرضها حجرية ، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ . ينظر. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ٢٤٨.

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥ / ٣٤٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢١٠.

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٤٤ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ١٤٤.

(٦) هو أبو الفوارس التركي بكجور ، مولى قرعويه ، أحد غلمان سيف الدولة ابي الحسن بن حمدان ، ولي مدينة دمشق في سنة (٣٧٣هـ / ٩٨٣ م) من قبل الفاطميين ، والتي قدمها من مدينة حمص ، قتل في سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١ م) ، وقيل في سنة (٣٨٢هـ / ٩٩٢م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، ١٠ / ٣٧٦ ؛ سرور ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص ٤٩ ـ ٥١.

(٧) ذكره ابن القلانسي بـ (ابن اخي الكويس) . ينظر . ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠.

(٨) المصدر والصفحة نفسها ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٩ ؛ حسن ، الفاطميون في مصر ، ص ٢٢٠.

وفي السنةِ نفسِها قام رجل مغربي أندلسي بالهجوم على القاضي الحسين بن علي بن النعمان، وكان يجلس في الجامع بمصر يقرأ عليه الفقه ، فضربه بمنجل ضربتين غاصت في وجهه ورأسه ، فألقي القبض عليه ، وتقرر عقوبته بالقتل والصلب(١).

وعندما تم هزيمة جيش ابي ركوة ، والذي دعا إلى القائم بأمر الله العباسي في مصر ، فقتل الآلاف من عسكره ، ففر إلى بلاد النوبة ، ثم تمكن رسول الحاكم بأمر الله من تسلمه وإرساله إلى مصر ، فشهر وطيف به على جمل ، وبعدها حُمل إلى ظاهر مدينة القاهرة لتنفيذ العقوبة بحقه ، فوافاه الأجل قبل وصوله ، فقطع رأسه وصلب في سنة (٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م)(٢) .

كما نفذت عقوبة الصلب في عهد الظاهر لإعزاز دين الله في سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) بحق أحد الرجال ، والذي قام بضرب أحد الصيارفة بسكين كانت معه ، أراد من خلال ذلك سرقة الكيس الذي تضمن ماله ، فلم يتمكن من سرقته ، فتم ملاحقته من قبل العامة حتى قبض عليه ، واودعَ في الشرطة السفلى ، فخرج الأمر بضرب عنقه ، ومن ثم صلبه في كوم دينار (٣)، وأما الصيرفي فقد حُمل مع ماله في قفص إلى داره ، ورجع إلى دكانه بعد شفائه(٤) .

وفي السنةِ نفسِها أيضاَ القي القبض على رجل فضربت عنقه ، وبعدها صلب في مدينة القرافة ، على إثر قيامه بنبش قبر في صحراء المقطم (٥)، كما صلب في كوم دينار حدث نصراني ، كان قد أسلم وحج ((وربى ذؤابتين ، وجعلهما مسبلتين ، وأدعى الشرف)) ، ثم رجع عن ذلك وتنصر(٦).

وفي عهد المستنصر بالله ظهر في مدينة القاهرة سنة (٤٣٤ هـ / ١٠٤٢م) رجل يعرف بـ(سكين) (٧) يشبه الحاكم بأمر الله ، فقد كان في مصر أفراد لهم عقيدة في الحاكم بأمر الله بأنَّه ُحي وقد غاب لرأي في نفسه ، فيحلفون ما بينهم ويقولون : ((وحق غيبة الحاكم)) ، فاجتمعوا عليه وزفوه وأدخلوه إلى القصر ، واندهش العامة من جراء ذلك ، فتمت محاربتهم من قبل أولياء الدولة ، فأخذوا جميعهم وتم صلبهم وهم أحياء ، ورشقوا سهامٌ حتى ماتوا(٨) ، وكان من جملتهم أحد دعاته

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ١٤٠.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٢ و ٤٦ ؛ الدلجي ، احمد بن علي (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤م) ، الفلاكة والمفلُوكون ، (مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٠٤م) ، ص ٢٧ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٤١.

(٣) كوم دينار : هو الكوم الذي عرف بالشيخ دينار وهو مدفون به ، وهو سكن العامة من الناس ، وله طرق سبعة : أثنتان من قبيله من حارة الهنود ، وواحدة من بحرية من خط الساحل القديم ، واربعة من غربيه يسلك اليها من حارة الهنود . ينظر . ابن دقماق ، الانتصار ، ٤ / ٥٢ ــ ٥٣.

(٤) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٢٠ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٤٨.

(٥) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٢٠ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٤٩.

(٦) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٢١ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ٣٤٩.

(٧) ذكره المقريزي بأسم (سليمان) . ينظر . اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٨٩.

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ / ٢٦٠ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٥ ــ ١٣٦ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣. وقد اختلف عماد الدين القرشي عن بقية المؤرخين في نوع عقوبة كل من سكين ، وابن عاني الكتامي ، فيذكر ان سكين تشبه بالحاكم بأمر الله ، واستطاع ان يدخل ذلك في عقول الجهلاء من العامة، فكان يركب

←

ويدعى محمد بن عاني الكتامي[١].

وفي شهر (ذي القعدة سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م) قام أحد الصيارفة بالقفز من دكانه في باب الزُّهومة [٢] على وزير الآمر بأحكام الله الأفضل بن بدر الجمالي ، فَسلِمَ الوزير منها ووزعت الصدقات بمناسبة سلامته ، وأما الصيرفي فتمت معاقبته على هذا العمل بالقتل والصلب على دكانه[٣].

وعوقب في شهر (صفر سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢م) أحد صبيان الخاص بالصلب بعدما ضربت عنقه ؛ وذلك لقيامه بسب الآمر بأحكام الله[٤].

وألقى الآمر بأحكام الله القبض على وزيره المأمون البطائحي في سنة (٥١٩هـ / ١١٢٥م) وعلى إخوته البالغ عددهم خمسة أفراد ، فضلاً عن ثلاثين شخصاً من أهله وخواصه ، فأعتقله واستمر في الاعتقال حتى سنة (٥٢٢ هـ / ١١٢٨م) ، فتم صلبه مع إخوته [٥] ، ويقال أَنَّ سبب عقوبته بذلك أَنَّ المأمون أرسل إلى الأمير جعفر شقيق الآمر بأحكام الله التعزية بقتل أخيه وإعطاء الوعود بتنصيبه كخليفة محل أخيه ، إلا أَنَّ ابا الحسن علي بن ابي أسامة كاتب الدست [٦]، والذي كان قريباً وخصيصاً بالآمر بأحكام الله ، وكان الوزير المأمون يؤذيه كثيراً ، قام بإبلاغه في الحال عن ذلك ، كما يقال أيضاً أَنَّهُ سمَّ مِبضَعاً دفعه لفصَّاد الخليفة ، إلا أَنَّ الفصَّاد قاموا بإعلام الخليفة بالمِبضَع[٧].

وفي عهد الآمر بأحكام الله أيضاً ، أحضر داعي اليمن نجيب الدولة في سنة (٥٢١ هـ / ١١٢٧م) ، والذي أرسله الوزير المأمون البطائحي إلى بلاد اليمن ، فقام صاحب اليمن بأرساله إلى

←

حماراً ويلبس الملابس بزي الحاكم بأمر الله ، وفي إحدى الايام دخل قصر مدينة القاهرة من بعض ابوابه ، فتمكن الخدم من معرفته فأمسكوه وامسكوا معه ابن عاني ، فقد كانا يظهران السحر ويستخدمونه في امور كانت تخالف الشريعة ، وعلى إثر ذلك أمر الوزير علي بن احمد الجرجرائي برميهما في نهر النيل حتى ماتوا . ينظر. عيون الأخبار ، ٦ / ٣٢٨.

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٨٩.

(٢) باب الزُّهومة : هي باب كانت في نهاية ركن القصر مقابل خزانة الدرق ، فقيل له باب الزُّهومة ؛ لكون اللحوم وحوائج الطعام تدخل إلى مطبخ القصر الذي للحوم فيدخل بها من هذا الباب ، كما يعني باب الزُّهومة باب الزفر . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٢٢٣.

(٣) اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٥٣.

(٤) المصدر نفسه ، ٣ / ٧٨.

(٥) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٨ / ١٨٨ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٦ / ٦٣.

(٦) كاتب الدست : هو كاتب الإنشاء أو صاحب ديوان الإنشاء ، ويُعد أكبر الكتاب في العصر الفاطمي ، كما يسمى كاتب الدست الشريف ، أو كاتب السر ، وأحياناً يسمى كاتم السر ، فيكون هذا الكاتب مسؤولاً عن المكاتبات الواردة إلى الخليفة فيتسلمها ويصفها حسب موضوعها ، ويعرض رأيه ومن ثم يعرضها على الخليفة لاتخاذ ما يراه فيها . ينظر . أبن الطوير، نزهة المقلتين ، ص ٨٧ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ / ١٠٥ ؛ الانصاري ، ناصر ، المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، (ط٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧م) ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦.

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٢٣٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١١٠.

مصر ، فدخل على جمل وخلفه قردٌ يصفعه بدرة محشوة حصى ، وصلب بعدها في يوم عاشوراء[١].

وفي عهد الفائز بنصر الله قامت أخت الظافر بأمر الله بمراسلة الصليبيين في مدينة عسقلان للتخلص من عباس الصنهاجي فأخبرتهم بقتل أبن السلار والظافر بأمر الله ، فعرضت عليهم الأموال الجزيلة ، إذا تمكنوا من الإيقاع به ، وبالفعل تم قتله في شهر (ربيع الآخر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م) ، وأخذوا أمواله وولده نصر أسيراً ، وأما أصحابه فتمكنوا من الهروب إلى بلاد الشام وفيهم أسامة بن منقذ [٢]، وأما نصر فقد بعث في قفص حديدي إلى نساء القصر في مدينة القاهرة اللاتي قُمن بتعذيبه ، فأرسل فاقداً للبصر مقعداً ليعرض في شوارع مدينة القاهرة ، وبعدها يصلب حياً على باب زويلة [٣]. ويبدو أَنَّ هذه العقوبة كانت بمثابة اخذ الثأر من قتلة ابن السلار والظافر بأمر الله.

رابعاً :الحرق

أستعملت هذه العقوبة أيضاً في العصر الفاطمي ، ففي شهر (محرم سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) أمر الحاكم بأمر الله بإحراق جثة أبي علي الحسن بن عُسلوج [٤]، وكان من الاكابر المباشرين لشؤون المال ، كذلك أمر في السنةِ نفسِها بإحراق جثة الرئيس أبو العلاء فهد بن إبراهيم ؛ وذلك على إثر رفضه اعتناق الدين الإسلامي[٥].

---

(١) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٠٦.

(٢) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطة ، ١ / ٢٥٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ،٣ / ٢٢٠؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٨٠.

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٩٣ ؛ ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٥٦٨ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٨١ ــ ٢٨٢.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٦ .

(٥) ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٥٨ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٧ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ١٤٦. ويذكر المقريزي انه في الثامن من شهر (جمادى الآخرة سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١م) ضربت رقبة فهد بن إبراهيم ، وكان مُدَّة نظره في الرئاسة خمس سنين وتسعة اشهر واثنتا عشر يوماً ، فقام أخيه ابو غالب بحمل مال أخيه فهد بجرايات تضمنت خمسمائة الف دينار إلى سقيفة القصر ، وقد سأل الحاكم بأمر الله عنها ، ولما تبين له خبرها أعرض عنها ، فبقت هناك مُدَّة ، وبعدها أمر الحاكم بأمر الله بإرجاعها إلى أولاد فهد ، فقال : ((انا لم نقتله على مال)) فعادت إليهم ، ثم قام أصحاب الاخبار بنقل كلمه تكلم بها ابي غالب أخي فهد بن إبراهيم ، فأمر به فقتل ، ومن ثم احرق بالنار . وبذلك يختلف عن بقية المؤرخين في تحديد السنة التي عوقب بها فهد بن إبراهيم ، وكذلك نوعية العقوبة فهو يقتصر على عقوبة ضرب العنق دون الحرق . ينظر. اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٤.

وفي شهر شعبان من السنةِ نفسِها عاقب الحاكم بأمر الله علي بن عمر بن العداس (٣٨٠ ـ ٣٩٣هـ/٩٩٠ ـ ١٠٠٢م) [١] بالحرق [٢] ، وكان سبب عقوبته بذلك كما يبدو انه كان من جملة الذين وشوا بـ (ابو العلاء فهد بن إبراهيم) وكذبوا على الحاكم بأمر الله ، أو تكون عقوبته ناتجة عن سوء سيرته واستغلال النفوذ[٣].

كما أقدم الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) بمعاقبة القاضي الحسين بن علي بن النعمان بالحرق ، بعد ضرب عنقه ، بعد ما ثبتت لديه أَنَّ القاضي مدَّ يدهُ إلى أموال اليتامى فأخذها ، على الرغم من الراتب الشهري الضخم الذي كان يتقاضاه لكي لا يكون له طمع في أخذ أموال العامة[٤].

وكان الحاكم بأمر الله يستعمل هذه العقوبة ضد رجال دولته ، ففي السنةِ نفسِها أمر بإعداد شونه كبيرة ملئت بالسنط والبوص والحلفا ، فأرتاع العامة ، وظن كل من له صلة بالحاكم بأمر الله من رجال القصر أو الدواوين أنها أعدت لإعدامهم بها حرقاً ، وبعدها انتشرت الإشاعات المخيفة ، فاجتمعوا في احد ميادين مدينة القاهرة سائر الكتاب وأصحاب الدواوين ، والمتصرفين من المسلمين والنصارى ، حتى وصلوا إلى القصر فوقعوا على بابه يضجون ويتضرعون ويسألونه العفوا عنهم ، فصدر سجل بالعفو عن المسلمين ، وآخر للنصارى ، وكذلك لليهود[٥].

وفي سنة (٤٠٥هـ / ١٠١٤م) مرَّ القاضي مالك بن سعيد الفارقي علي بيت امرأة ، فرآها باكية وذكرت له أنها تريد مشاهدة أخيها قبل وفاته ، عند ذلك امر القاضي بعض رجّالته أن يرافقها إلى بيت أخيها ، وبعدها تبين ان المرأة ذهبت إلى منزل عشيقها ، فأتى زوجها إلى القاضي ، وقال له : ((ما أعرف زوجتي الا منك)) ، فذهب القاضي إلى الحاكم بأمر الله وأطلعه على ذلك الأمر ، كما أخذ يبكي أمامه ، فأصدر الحاكم بأمر الله أمراً باستدعاء المرأة والرجل ، فذهبا أعوانه إليهما بغتةً فشاهدوهما نائمين ومتعانقين لا ينتبهان من شدّة السُكر ، وعند وصولهما إلى الحاكم بأمر الله أصدر أمراً بمعاقبتهما ، فأما المرأة فلفت في بارية وأحرقت ، وأما الرجل فتم ضربه ضرباً مبرحاً

---

(١) هو ابو الحسن علي بن عمر بن العداس ، كان من ضمن القائمين على امور الخراج ، وفي أيام المعز لدين الله ضمن كورة بوصير فخلع عليه في سنة (٣٦٤ هـ / ٩٧٤م) ، وبعد وفاة ابن كلس ولاه العزيز بالله الوساطة ، وبقى في منصبه لمُدَّة سنة ، اما في عهد الحاكم بأمر الله عمل ابن العداس في ديوان الاستيفاء ، وبعد مقتل الوزير فهد بن إبراهيم أصبح ابن العداس وزيراً في الرابع عشر من شهر (جمادى الآخرة سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢) ابو شجاع الروذرواري ، ذيل تجارب الأمم ، ٣ / ٢٣٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٦ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٧.

(٣) ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٥٣ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الإصر ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ؛ العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٢٨٥.

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٤ ـ ٥٥.

بالسياط [١] ، وتدل هذه الحادثة على فساد المجتمع المصري في عهد الحاكم بأمر الله ، وان الاكثار من التشدد كان بسبب فسق وفجور النساء ، والذي دفع بهن إلى إختراع الحيل من اجل إرضاء نزواتهن[٢].

كما استعملت هذه العقوبة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله ، ففي سنة (٤١٤ هـ / ١٠٢٣م) قام رجل من مصر يحمل بإحدى يديه سيف وفي الأخرى دبوس [٣] فضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات بواسطة ذلك الدبوس فقال : ((إلى متى يعبد الحجر الأسود ، ومحمد ، وعلي ؟ فليمنعني مانعٌ من هذا)) [٤] ، فكان راغب بهدم هذا البيت ، فدب الخوف في نفوس الحاضرين ، وكاد ان يهرب ، فبرز اليه رجل فضربه بخنجر فقتله ، كما قام العامة بتقطيعه وحرقه وأحراق مجموعة ممن وجهت لهم تهمة مساعدته[٥].

وفي سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤م) أخذ أبو زكريا الذي كان نصرانياً ثم أسلم ، فأخذ يكتب الحديث ويقرأ القرآن الكريم ، كما أدى فريضة الحج ، إلا أَنَّهُ عاد وأرتدَ إلى دين النصرانية وقال : ((ما عمِل فيَّ سحرُ نبيكم)) ، وبعد ما ثبت عليه هذا الأمر ، صدر الأمر بضرب عنقه وحَرقِه بالنار في بركة رُميس[٦][٧].

وفي عهد الظاهر لإعزاز دين الله أيضاً ، والذي أمر في سنة (٤٢٣هـ / ١٠٣١م) بجمع جواري مصر والقاهرة ، وأن يلبسن أفخر الملابس ، ويجلبوهن إلى قصر الخليفة ، وعندما اكتملن جميعهن ، أمر بجعلهن في مجلس وأغلق بابه عليهن ، ثم قام ببناء أبواب المجلس ، وتركهن على هذه الحالة لمُدَّة ستة أشهر ، وبعدها قام بإحراقهن كلهن ، وقد بلغ تعدادهن الفين وستمائة وستين جارية [٨]. ويبدو أَنَّ هذا النص الذي أورده ابن إياس فيه كثير من التهويل والمبالغة ، لكون الظاهر لإعزاز دين الله عرف عنه انه كان منفتحاً واقل تشدداً من أبيه الحاكم بأمر الله الذي كان قاسياً

---

(١) الكندي، الولاة والقضاة ، ص ٦٠٦ – ٦٠٧ ؛ العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود – وعلي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م) ، ٣ / ٥٥٧ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٧ / ٢٢٥ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية، ص ٣٠١.

(٢) ايوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٥٥.

(٣) الدبوس : جمع دبابيس ، هو قضيب صغير من معدن له رأس دقيق يشكل نصف كرة ، يتم غرزه بالثياب أو نحوها ، وهو على أنواع . والدبوس : هو عصا من خشب أو حديد لها رأس كالكرة . ينظر . الجوهري ، الصحاح ، ٣ / ٩٢٦ ؛ مسعود ، الرائد ، ص ٣٥٤.

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ١٤١.

(٥) النويري ، نهاية الإرب ، ٢٣ / ٢١٤ ؛ ابن فهد ، النجم عمر بن محمد المكي الهاشمي (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم : فهيم محمد شلتوت ، (ط٣، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ٢٠٠٥م) ، ٤٤٩/٢ – ٤٥٠ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ١٤٩/٧.

(٦) بركة رميس : هي احدى البرك المشهورة في الفسطاط بمصر ، وهي فيما بين حارة الصيادين وسويقة معتوق ومسجد الغفاري ودار النحاس وبطيون قديماً كانوا ببركة رميس المذكورة. ينظر. ابن دقماق، الانتصار، ٥٤/٤.

(٧) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٢١١ - ٢١٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣٦.

(٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ /١ : ٢١٤ ؛ ايوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٥٦.

وشديداً في اتخاذ القرارات وخصوصاً تلك المتعلقة بالنساء ، فضلاً عن إيراد هذا العدد الهائل من الجواري وجمعهن جميعاً في مجلس واحد صغير لا يكفي لهن.

كما أمر وزير الآمر بأحكام الله الأفضل بن بدر الجمالي بعقوبة الحرق بحق جوهر الذي كان خادماً لأخيه المظفر جعفر ، بعد أن ذكر ان جوهر كانت له اليد في قتل أخيه ، كما قيل أن هذا الأمر حصل بأمر من الآمر بأحكام الله نفسه ، وقد رفض المأمون البطائحي تنفيذ ذلك ، وقال : ((معاذ الله هذه عقوبة لا يضرب بها إلا الله تعالى))[١].

خامساً : التغريق في النيل

ومن عقوبات الإعدام الأخرى التي كانت معمولاً بها في العصر الفاطمي عقوبة التغريق في النيل ، لكن على نطاق محدود وضيق بعكس العقوبات الأخرى التي كانت بشكل أوسع ، ففي حقبة تولي القاضي محمد بن النعمان منصب القضاء رفع إليه ان أحد النصارى أسلم ، لكن بعدها أرتد وكان عمره قد تجاوز الثمانين ، وعندما وصل أمره إلى العزيز بالله سلمه إلى والي الشرطة ، وبعث إلى القاضي أن يرسل أربعة من الشهود ليستتيبوه ، فإذا تاب كان ضامناً له عنه مبلغ قدرهُ مائة دينار ، وإذا أصرَّ فأنه يقتل ، وعندما عرض عليه الإسلام رفض فقتل ، ومن ثم أمر بتغريقه في نهر النيل[٢].

وفي سنة (٤٠٥هـ / ١٠١٤م) قام الحاكم بأمر الله بتغريق مجموعة من النساء في نهر النيل ؛ بسبب مخالفتهن أوامره في منعهن من الخروج من دورهن ، ودخول الحمامات والتطلع من الاسطحة والطاقات ، وكذلك منع الخفافين من عمل الخفاف والاحذية لهن[٣].

كما قام الحاكم بأمر الله بتغريق مجموعة من الجواري والحظايا ربما لولائهن لأخته ست المُلك ، أو قيامهن بنقل الاخبار لها ، ففي أحد الايام أخرج من قصره أغلب الحظايا ، وقيل أنه غرقّ بعضهن في نهر النيل بواسطة صناديق وضعن بهن وأغلقت عليهن[٤].

---

(١) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ١٥٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٤٢٤.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١١٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٢٣٦ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ٢٨٣.

(٤) عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٦٢.

المبحث الثاني : العقوبات البدنية

تُعد العقوبات البدنية من أشهر واكثر العقوبات شيوعاً في العصر الفاطمي ، وغيره من العصور الإسلامية ، فلذا كانت هناك أنواع عديدة من العقوبات البدنية التي كانت الدولة الفاطمية تقوم بتنفيذها ضد المخالفين والمجرمين والخارجين على سلطتها وهي كما يأتي :

أولاً : الضرب والتشهير[(١)].

شهد العصر الفاطمي حالات كثيرة من عقوبة الضرب والتشهير ، ففي سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٩م) دخل القائد جوهر الصقلي بجيوش المعز لدين الله إلى مصر ، فقد كانت الأوضاع الاقتصادية مضطربة من خلال ارتفاع الأسعار وعدم وجود الأقوات ، ولأجل معالجة الموقف قام جوهر بضرب مجموعة من الطحانين وشهّرهم ، كما جمع سماسرة [(٢)] الغلات في موضع واحد ، وأمر بعدم بيع الغلات ، إلا في ذلك الموضع بأن جعل طريق البيع واحد فقط[(٣)].

وفي السنةِ نفسِها خرج على طاعة الدولة الفاطمية مجموعة من الإخشيدية والكافورية ، إلا أَنَّ القائد جوهر الصقلي تصدى لهم فتمكن من إلقاء القبض على ثلاثة عشر فرد منهم فأعتقلهم لمُدَّة ستة أشهر ، ثم أرسلهم إلى المغرب مقيدين بصفة التشهير[(٤)].

كما خرج على طاعة الدولة الفاطمية في سنة (٣٥٩ هـ / ٩٦٩م) في بلاد الشام ابن ابي يعلى[(٥)] ، وعند مدينة تدمر[(٦)] تم القاء القبض عليه من قبل ابن عليان العدوي ، والذي أتى به إلى جعفر بن فلاح ، والذي قام بدوره بمعاقبته بتشهيره على جمل ، وفوق رأسه قلنسوه وعلى لحيته

---

(١) التشهير : لغةً : هو ظهور الشيء في شنعة حتى يشهره العامة ، رجل مشهور ومشهر . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٣ / ١٠٠ ؛ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ٢ / ٥١٥ . كما تعني الشهرة في اللغة : الفضيحة . ينظر . ابن منظور، لسان العرب ، ٤ / ٤٣٢ . وأكد آخر ان التشهير بالتشديد يعني : المبالغة في الشهرة بين العامة ، ويضيف ايضاً ان التشهير يأتي بمعنى الانتشار : أي نشر الخبر . ينظر . الفيومي ، المصباح المنير ، ١ / ٣٢٦ ؛ مال الله ، ـ و الحدراوي ، التشهير ، ص ٢٢٦ . وأما اصطلاحاً : هو اشاعة السوء عن انسان بين أوساط العامة . ينظر . قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص ١٣٢ . أو هو عرض الإنسان في وضع مزرٍ ، القصد منه إذلاله وتشنيعاً عليه . ينظر . الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢١٣.

(٢) سماسرة : هي جمع سمسار ، وهو الشخص الذي يتوسط بين البائع والمشتري لغرض امضاء البيع . ينظر . ابن منظور ، لسان العرب ، ٤ / ٣٨١ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٢ / ٥٢.

(٣) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٨٨ ــ ٨٩ ؛ ايوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٧٥ ــ ٧٦.

(٤) المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ١٠٢ ؛ مال الله ، ــ و الحدراوي ، التشهير، ص ٢٧٠.

(٥) هو ابو القاسم بن ابي يعلى الشريف الهاشمي ، جاء إلى مدينة دمشق وقام معه جماعة من احداث مدينة دمشق فقطع دعوة الفاطميين ولبس السواد ودعا إلى المطيع لله العباسي (٣٣٤ ــ ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ ــ ٩٧٤ م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٨م) ، ٦٧ / ١٣٨ ــ ١٤٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٦ / ١٣٩ ــ ٤٠ ؛ تاريخ الإسلام ، ٢٦ / ٢٢٠ ــ ٢٢١.

(٦) تدمر : هي مدينة قديمة مشهورة في برية بلاد الشام ، بينها وبين مدينة حلب خمسة ايام . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ١٧ ــ ١٩.

ريش وبيده قصبة ، ثم أرسل به إلى مصر[١].

وفي سنة (٣٥٩ هـ / ٩٦٩م) أعادَ جوهر الصقلي أمور الحسبة إلى سليمان بن عزَّة ، فقام هذا المحتسب بضبط الساحل وجمع في مكان واحد القماحين ، ولم يترك كف قمح يُجمع إلا بحضوره ، كما عاقب أحد عشر رجلاً من الطحانين بالضرب وطيف بهم [٢]، ويبدو أَنَّ العقوبة كانت بسبب محاولتهم خزن بعض القمح واحتكاره ليقوموا بعد ذلك ببيعه بسعر مرتفع[٣].

وفي سنة (٣٦٠هـ /٣٧٠م) سير بلكين يوسف بن زيري رأس محمد بن خزر، وإلى جانبه رؤوس ثلاثة آلاف شخصاً من الزناتيين إلى مصر؛ لكونهم خرجوا على طاعة الدولة الفاطمية في المغرب [٤]، كما قدم على المعز لدين الله رأس محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي ، والذي يُعد من أكابر ملوك المغرب سلطاناً على زناته وغيرهم ، فقد هجم عليه ابن زيري وكان معه القليل من أصحابه ، وعندما أُحيط به التجأ إلى قتل نفسه بواسطة سيفه في السابع عشر من شهر (ربيع الآخر من السنةِ نفسِها)[٥].

وشهدت سنة (٣٦١ هـ /٩٧١م) معاقبة عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي ، ومجموعه من أعوانه ممن خرجوا على طاعة الدولة الفاطمية في صعيد مصر، ورفعوا السواد شعار العباسيين ، فتم إدخاله في قفص وهو مقيد اليدين والطواف به وبمن معه مشهّرين في شوارع مدينة القاهرة [٦].

كما طالت عقوبة التشهير أهالي مدينة تنيس لقيامهم بدعم جند القرامطة المعارضين للدولة الفاطمية ، وقاموا أيضاً برفع السواد شعار العباسيين ، وعلى إثر ذلك تم التشهير بثلاثة وسبعين منهم ، كما وشُهّر بعدد من رؤوس قتلاهم ، ونُكّست أعلامهم التي رفعوها رمزاً لسلطان العباسيين أثناء تشهيرهم ، وكان ذلك في سنة (٣٦٢ هـ / ٩٧٢م) [٧] ، وفي السنةِ نفسِها شُهّر الحسن بن عمار ببضع وتسعين أسيراً[٨].

وشُهّر كذلك في سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣م) أسرى ورؤوس مجموعة من القرامطة الذين خرجوا على طاعة الدولة الفاطمية بأمر من الأمير عبد الله بن المعز ، فشُهّروا في شوارع مدينة

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٢٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٣٤ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٣٨ ؛ الامين ، مستدركات اعيان الشيعة ، ٥ / ١٠٣.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٢٠/١ ؛ خلف ، ثورات المصريين، ص ٦٨ ؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص٨٧.

(٣) الحدراوي ، اثر الازمات الاقتصادية ، ص ١٦٠.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٢٨.

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٢٨؛ السلاوي ، أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ــ ومحمد الناصري ، (دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م) ، ١ / ١٩٦.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٣١ ؛ عمارة ، عندما أصبحت مصر عربية ، ص ١٠٨.

(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٤٢ ــ ١٤٣.

(٨) المصدر نفسه ، ١ / ١٣٢.

القاهرة ، وبعدها تم عرضهم على المعز لدين الله ، وهو جالسٌ على منظرته وهم على هذا الوضع المزري والمهين [١]. ويبدو أَنَّ الغاية من ذلك كانت من اجل إخافة الموالين والعامة بهذه الإجراءات القاسية.

وفي سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣م) تم التشهير بمئتي رأس جيءَ بها من المغرب [٢]، وكذلك طيف في مدينة القاهرة بنيف [٣] واربعين رأساً جيءَ بها من الصعيد[٤].

وشُهّر في مدينة القاهرة سنة (٣٦٤هـ / ٩٧٤م) رؤوس من الاعراب والروم جاءت من بلاد الشام والصعيد ؛ بسبب خروجهم على طاعة الدولة الفاطمية ، كما شهدت السنة نفسها تشهير رؤوس على الرماح بلغ عددها اثنا عشر الف ، ومن بينها رأس خلف بن جبر الذي خرج على طاعة الدولة الفاطمية مع البربر في المغرب[٥].

واستعملت عقوبة التشهير كذلك في عهد العزيز بالله ، فقد تم التشهير بأفتكين التركي بعد اسره وتقديمة بإذلال إلى العزيز بالله ، كما تم تجريده من عمامته وتقييده بها ، فشُهّر امام جنده في بلاد الشام ، واخذت المغاربة تلطم وجهه ، ووضع له حبلاً في عنقه وسحب على هذه الحالة حتى عُرض على العزيز بالله في هذه الحالة المزرية[٦].

وفي عهده ايضا وبالتحديد في سنة (٣٧٣هـ / ٩٨٣م) عوقب قسَّام التَّرَّاب[٧] لخروجه على طاعة الدولة الفاطمية في مدينة دمشق ، فأرسل إلى مصر مع ابنه وخال ولده إلى مصر حيث أُشهروا بها على البِغال[٨].

وفي سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١م) القي القبض على والي الفاطميين في مدينة دمشق منير الخادم ، فقد أُركب على جمل ومعه قرد يصفعه ، كما اركب مئة من اصحابه على الجمال وشُهّروا فنادى منادياً ((هذا منير لعنه الله ، اصبحت دياره خاليه ، وكلابه عاويه ، ونساؤه صائحة ، طاعنته الرماة

---

(١) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٥٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٠٨.
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٤٦.
(٣) النيف : الزيادة ، يخفف ويشدد ، واصله من الواو ، ويقال عشرة ونيف ، ومائة ونيف ، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني . ينظر. الجوهري ، الصحاح ، ٤ / ١٤٣٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٩ / ٣٤٢ ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣٥١.
(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢١٤.
(٥) المصدر نفسه ، ١ / ٢٢٣.
(٦) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٨١ ؛ مال الله ، ــ و الحدراوي ، التشهير ، ص ٢٧٢.
(٧) هو من بني الحارث بن كعب من اليمن ، وكان من أهل قرية تسمى (تلفيتا) وهي من قرى سنير والتي تعد من أعمال مدينة دمشق ، وكان يقوم بنقل التراب على الدواب ، ثم أخذ يتصل برجل يسمى (أحمد بن الجسطار) وهو من احداث مدينة دمشق ، قام قسّام بسد الخلل وادارة شؤون مدينة دمشق على مدار سنوات عدَّة. للمزيد من التفصيل ينظر. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٧م) ، ٤٩ / ٣٢٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٢ ــ ٤٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥ / ٣٩٠ ــ ٣٩١.
(٨) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٠٠.

، ونازلته الحماة ، هذا جزاء من نافق على الله عز وجل ، وعلى مولانا العزيز بالله))[(١)].

وفي السنةِ نفسِها ايضاً عوقب رجل بالضرب من أهل مصر وطيف به في المدينة ؛ وذلك لعثورهم على كتاب (الموطأ) لمالك بن انس في حوزته[(٢)].

وأقدم بعض فقهاء مصر في شهر (صفر سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢م) بالشغب على القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان في مدينة القاهرة ، فالقي القبض على بعضهم ، فطيف بثلاثة منهم على الجمال[(٣)].

وفي سنة (٣٨٥ هـ / ٩٩٥م) خرج على طاعة الدولة الفاطمية في الصعيد حمدان الأسيوطي[(٤)]، فأرسل اليه العزيز بالله القائد الفاطمي المحنك ابن الزبير ، فتمكن من القضاء عليه وأسره ، وبعدها أدخل مدينة القاهرة على جمل ، وعلى رأسه طرطور [(٥)] طويل ، والعامة تهتف وهي ساخرةٌ منه[(٦)].

وفي أثناء ولاية ابو مناد باديس بن المنصور الصنهاجي في افريقية ، خرج على سلطته خليفة بن مبارك الصنهاجي في سنة (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) ، فقُبض عليه وأرسل إلى باديس ، فأُركب حماراً وجعل خلفه رجل أسود يقوم بصفعه ، كما طيف به ولم يصدر أمراً بقتله احتقاراً ، وبعدها أرسل إلى السجن[(٧)].

وفي عهد الحاكم بأمر الله ، طالت عقوبة التشهير احد الاشخاص الذي خرجَ على طاعة الدولة الفاطمية في مدينة صور ، واسمه العلاقة حيث قام بقتل رجال الدولة هناك وضرب السكة بأسمه واعلن عن استقلاله في المدينة ، واتصل بالبيزنطيين لكسب الدعم والمساعدة ، وبعد قتال شرس معه هُزِمَ وتم اسره هو ومجموعة من اتباعه وحمل إلى مصر في سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) مقيداً وقد وضع على رأسه طرطور ضخم مصنوع من مادة الرصاص ، وتم تشهيره في شوارع مدينة

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠ ـ ٤١ ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٧٠.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/ ٢٧٣ ؛ حسن ، الفاطميون في مصر ، ص ٢١٩ ؛ عطا الله ، الحياة الفكرية ، ص ٤٩.

(٣) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٥٩٤ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٤٠.

(٤) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته.

(٥) طرطور: هو قلنسوة للأعراب طويلة دقيقة الرأس . ينظر . الجوهري ، الصحاح ، ٢ / ٧٢٦ . ومن العادات التي كانت تُتبع في هذه العصور بعد القى القبض على الشخص الذي يخرج على طاعة الدولة بأن يُشهّر على جمل ويطاف به ، فكانت مدينة القاهرة تتزين بأفضل الزينة ، ويوجد بها شيخ يقال له الابزاري ، إذا خرج خارجيٌ صُنع له طرطوراً وعمل فيه الوان ، كما يقوم بتعليم قرداً ويجعل في يده درة لكي يضرب بها الخارجي من ورائه ، ويعطى في سبيل ذلك مبلغ قدرهُ مائة دينار وقطع قماش عددها عشرة . ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ /٢١٧.

(٦) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٣٦ ؛ خلف ، ثورات المصريين ، ص ٩١.

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٤٥٨ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٤٠.

القاهرة ، ومن ثم قتل ومعه أصحابه[١].

وتقدم في عهده سنة (٣٩١ هـ / ١٠٠٠م) الحسن المغربي[٢] إلى القاضي الحسين بن علي النعمان في خصومه ، فزل لسان الحسن بشيء خاطب به القاضي ، ومن جراء ذلك أزداد غضباً ، فبعثه إلى والي الشرطة ، والذي قام بدوره بضربه الف وثمانمائة درة ، كما طيف به فتوفي في يومه[٣].

وأمر نائب مدينة دمشق من قبل الحاكم بأمر الله تمصولت [٤] برجل مغربي بالضرب ؛ لمخالفته أعتقاد الفاطميين وتفضيله أبي بكر وعمر، كما طيف به على حمار ، ونودي عليه : ((هذا جزاء من يحب ابا بكر وعمر)) ، وبعدها ضُربت عنقه ، وكان ذلك في سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)[٥].

وفي سنة (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) ألقي القبض على مجموعة من الاشخاص وجدوا من غير مئزر بعد مراقبة الحمامات ، فتمت معاقبتهم بالضرب والتشهير[٦].

وفي السنةِ نفسِها أمر الحاكم بأمر الله بمنع شرب الخمر وأكل الجرجير ، والطلينس [٧] وسائر السمك الذي ليس له قشر ، واي شخص يقوم ببيع تلك الاشياء فيتم عقوبته بالتشهير[٨].

كما أمر الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٧ هـ/ ١٠٠٦م) بمحو ماكان مكتوباً على المساجد والأبواب وغيرها من سب السلف ، وأمر صاحب الشرطة ان يُلزم كل صاحب منزل بمحو ما كتب على جدران منزله ، وأمر كذلك بضرب وتشهير كل من يقوم بسب الصحابة ، وقد تم عقوبة رجل بالضرب والتشهير ونودي عليه : ((هذا جزاء من سب ابا بكر وعمر))[٩].

وسعى الحاكم بأمر الله في السنةِ نفسِها بتكثيف المراقبة على الأسواق ، والضرب بقوة على المخالفين والمتلاعبين بالأسعار، إذ أمر بضرب مجموعة من الخبازين والطحانين بالسياط

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩ ؛ سرور ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٤٢.
(٢) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .
(٣) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ١٤١.
(٤) هو تمصولت أو طزملت أو طمزان بن بكار ، ابو محمد الأسود القائد ، ولاه الحاكم بأمر الله الفاطمي إمرة دمشق وقيادة الجيوش الشامية في سنة (٣٩٢ هـ / ١٠٠١م) ، واستمر في منصبه إلى وفاته سنة (٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م) . للمزيد من التفصيل ينظر. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ١١ / ٤٩ ـ ٥٠ ؛ الصفدي ، أمراء دمشق ، ص ٢١ ؛ الأمين ، أعيان الشيعة ، ٣ / ٦٣٨.
(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م) ، ٢٧ / ٣٠٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٢٠٨.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٤ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٤٠.
(٧) الطلينس : لعله السمك الحلزوني الذي يشبه الثعبان . ينظر . يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٥٧ : هـ(١).
(٨) المصدر والصفحة نفسها ؛ حسن ، الفاطميون في مصر ، ص ٢٢٨.
(٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٩ ؛ خلف ، ثورات المصريين ، ص ١٧٩.

وشُهّروا ؛ بسبب أزدحام العامة على الخبز ، فكان يباع مبلولاً بقصد زيادة وزنه[(١)]، وفي السنةِ نفسِها ايضاً تم الضرب بالسياط لعدد كبير من الباعة وشُهّروا ، فألقي القبض على مجموعة من أصحاب الفقاع والسماكين ، فضرب مجموعة وشُهّروا لمخالفتهم على مانهو عنه[(٢)].

وقام مسعود الصقلبي[(٣)] في سنة (٣٩٨هـ / ١٠٠٧م) بضرب جماعة من الخزانين بالسياط ، وأخرج القمح نتيجةً لما لحق العامة في تلك السنة من مجاعة شديدة وغلاء عظيم[(٤)].

ولم تنتهِ ظاهرة بيع الخبز المبلل ، فقد تكررت في سنة (٣٩٨هـ / ١٠٠٧م) وما رافقها من غلاء في اسعاره نتيجة انخفاض منسوب نهر النيل وتراجع مردود الإنتاج الزراعي ، فأمرت الدولة بضرب جماعة من بائعي الخبز وتشهيرهم على خلفية فقدانه في العشايا[(٥)(٦)].

واستعملت عقوبة الضرب والتشهير على نطاق واسع في عهد الظاهر لإعزاز دين الله ، فقد تعرضت البلاد في عهده لمجاعة شديدة خلال سنتي (٤١٤ ـ ٤١٥ هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٢٤م) فأشتد الغلاء وارتفعت الاسعار ؛ بسبب امتناع التجار عن بيع الغلات [(٧)] ومن اجل مواجهة ذلك عينت السلطة دواس بن يعقوب الكتامي كمحتسب لمعالجة الأزمة فاستخدم القوة لضرب ايدي المتلاعبين في الأسعار ، كما قام باستدعاء الخبازين وتجار الدقيق ، فتم ضرب قوماً منهم وتشهيرهم ، فظهرت الاخباز واستقامت أحوال الرعية[(٨)].

وبعد أقل من سبعة ايام رجع الغلاء مجدداً ، وعلى إثر ذلك قام ابن دواس بضرب مجموعة من الخبازين وشهرهم ، كما ضيق على الطحانين وختم على مخازنهم ، وتم تفتيش طواحينهم [(٩)]، وبلغ عدد مخازن القمح التي نالها الختم مائة وخمسين مخزناً[(١٠)].

وعلى الرغم من هذه الإجراءات الرادعة ، إلا أَنَّ مجموعة من الباعة والتجار المنتفعين عادوا إلى رفع الأسعار ، لكن ابن دواس واجههم بأن لجأ إلى ضرب مجموعة منهم بالدرة ، وخصوصاً تجار الدقيق ضربا موجعاً وطيف بهم في شوارع مصر ، وقد بلغ عددهم اثنى وعشرين

---

(١) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٩١.
(٢) اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٦٩.
(٣) هو ابو الفتوح مسعود الصقلبي صاحب الستر في عهد الحاكم بأمر الله ، ثم أسندت له مهمة الشرطتين السفلى والعليا (الفسطاط والقاهرة) . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٣٦ ؛ المقفى الكبير ، ٣ / ٤٩٧.
(٤) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٢٧٧ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ٣٧.
(٥) العشايا: هي جمع عشيه : أي آخر النهار . ينظر . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٤ / ٣٦٢.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧١.
(٧) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٣٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٣٥.
(٨) المسبحي ، أخبار مصر، ص ٣٣ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر، ص ٤٣ ؛ الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية، ص ١٦٦.
(٩) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٣٥ .
(١٠) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٦٥.

رجلاً بتهمة رفع الأسعار وفساد الدقيق وسواد الخبز ، ولم تكن إجراءات ابن دواس محصورة على المتلاعبين بالأسعار والمحتكرين فحسب ، بل شملت كذلك المتلاعبين بأوزان الكيل من الباعة في الأسواق ، فأقدم على ضرب أحد الحلوانيين من العاملين في زقاق القناديل [١] بعد ان وجد عياره ينقص كل رطل منها اوقيتين [٢] وكل صنجة كانت توزن بها الدراهم تزيد عن ثمن الدراهم ، فطيف به على جمل وكان ذلك في سنة (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)[٣].

كما وحدثت في سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤م) عقوبات كثيرة من الضرب والتشهير استهدفت كثيراً من الأفراد ، ففيها ضرب انسان قام بسرقة حاملين من النحاس في الشرطة السفلى ، وشُهّر على جمل والحاملان بين يديه بعد ضربه ضرباً مبرحاً ، وطيف به على جمل ، ومن ثم رجع إلى السجن[٤] .

وعوقب بالضرب بالسياط شخصاً من العامة وحُمل على جمل وطيف به في البلد ، وفي يده جرصين يُجِّرص على نفسه ويقول : ((هذا جزاء من يسرق في اليوم دفعتين)) [٥]، وعاقب متولي الشرطة السفلى ابن كافي الكتامي مخنثاً ، زعم انه كان يقود في داره على خمسة من النساء وشهَّرهُ[٦].

كما قام المحتسب بضرب مجموعة من الخبازين ضرباً مبرحاً ؛ وذلك لعثوره على موازينهم للارطال باخسة وصنجهم التي كان يزنون بها الدراهم زائدة[٧].

وقام ايضاً صاحب الصناعة الشريف ابو طالب العجمي بمعاقبة ابن ابي الرداد [٨] بالضرب ثلاثين عصا ، ومن ثم اعتقله ، وكان السبب في عقوبته انه كان يقوم بتسخير المساكين والضعفاء لبناء مقياس الماء في الجزيرة ولا يدفع لهم الاجور[٩].

---

(١) زقاق القناديل : هو احد الازقة المشهورة حول جامع عمر بن العاص في مدينة الفسطاط ، اما سبب تسميته بهذا الاسم فتعود لوجود قناديل معلقة على أبواب منازل الاشراف . ينظر . ابن دقماق ، الانتصار ، ٤ / ١٣ ــ ١٤.

(٢) الاوقية : هي مقدار أربعون درهماً . ينظر . المقريزي ، النقود القديمة والإسلامية ، (مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ، ١٨٨٠م) ، ص ٣.

(٣) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٩ ؛ مال الله ، ــ و الحدراوي ، التشهير ، ص ٢٧٨.

(٤) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٧٩.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨١ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٤٢.

(٦) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٨٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٩١ ؛ دسوقي ، حكاية الاجور ، ص ٣٣٥.

(٨) هو ابو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن البصري ، صاحب المقياس بمصر ، كان رجلاً صالحاً تولى مقياس النيل الجديد في جزيرة مصر ، كما جمع اليه جميع النظر في امره وما يتعلق به في سنة (٢٤٦ هـ/٨٦٠ م) ، واستمرت الولاية في ولده ، بعد وفاته في سنة (٢٧٩ هــ / ٨٩٢ م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ / ١١٢ ــ ١١٥.

(٩) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٥٩ ؛ دسوقي ، حكاية الاجور ، ص ٢٤٧.

كما واشتدت العقوبة بحق جواري محسن بن بدوس ، فتم ضربهن ضرباً شديداً ، وتمت ايضاً مطالبتهن باموالهـ[١].

وشهدَ عهد الحافظ لدين الله استعمال عقوبة التشهير، فعندما اندلعت مناوشات في سنة (٥٢٩ هـ / ١١٣٤م) في مصر بين جنود الاستاذ ابن اسعاف الواصل من بلاد الصعيد ، وجنود الامير حسن بن الحافظ ، فوقع في الاسر ابن اسعاف ، والذي أرسل إلى مدينة القاهرة على جمل وفي رأسه طرطور أحمر[٢].

ثانياً : عقوبات بدنية أخرى مثل (قطع اليد - التسمير - التعليق)

كما شهد العصر الفاطمي عقوبات بدنية اخرى مثل (قطع اليد ، والتسمير ، والتعليق) ، ولكن على نطاق ضيق ، فعندما توفي المعز لدين الله في سنة (٣٦٥ هـ / ٩٧٥م) ، قام القرامطة بجباية الأموال في مدينة دمشق ، فأمن افتكين من مصر ، وعمل على أخذ الساحل فذهب مع من اجتمع اليه ، ونزل في مدينة صيدا ، والتي كان بها ابن الشيخ ، وزعماء المغاربة ومعهم ظالم العقيلي ، فحدث بين الطرفين قتال شديد ، فانهزم على إثر ذلك أفتكين عنهم أميالاً ، فقصدوا اليه إلا أَنَّ أفتكين تمكن من هزيمتهم وقتل عدد منهم ، فيقال انه قُتل من عساكر المغاربة اربعة آلاف ، فقطعت ايمانهم وارسلت إلى مدينة دمشق ، فطيف بها [٣]. ويبدو أَنَّ هذه العقوبة من قبل افتكين جاءت لسوء سيرتهم في بلاد الشام ، فضلاً عن أَنَّهُ من الأتراك وهم في عداء وصراع مستمر مع المغاربة ، وربما من اجل تحجيم نفوذهم ومحاولة الحد منه.

وفي سنة (٣٦٧ هـ / ٩٧٧م) كان الأمير على موسم الحج في مكة باديس بن زيري ، فقد أرسله العزيز بالله إلى هناك ، وعند وصوله جاءه اللصوص بها فقالوا له : ((نتقبل منك الموسم بخمسين الف درهم ولا تتعرض لنا . فقال لهم : أفعل ذلك أجمعوا لي أصحابكم ، حتى يكون العقد مع جميعكم)) فاجتمعوا وكان عددهم يبلغ نيفاً وثلاثون رجلاً فقال : ((هل بقى منكم أحد ؟ فحلفوا له أنه لم يبقَ منهم أحد)) ، وبعدها قرر قطع أيديهم كلهم ، فأراح بذلك المسلمين من شرورهم[٤].

وطبقت هذه العقوبة ايضاً في عهد الحاكم بأمر الله ، والذي طبقها في سنة (٣٩١هـ / ١٠٠٠م) بحق متولي الحسبة ابن أبي نجدة ، فقد أخذ هذا المحتسب يتدخل فيما لايليق به ، ويسيء في التعامل مع العامة ، فأعتقله ومن ثم قطعت يده ولسانه وشُهّر على جمل ، وبعد ذلك ضربت

---

(١) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٠.
(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٤٠٣ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٤٧.
(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٣٨ ــ ٢٣٩.
(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٣٨٠ ؛ ابن فهد ، اتحاف الورى ، ٢ / ٤١٥ ــ ٤١٦ ؛ الجزيري ، الدرر الفرائد ، ١ / ٣٣٢.

عنقه[١]. ويبدو أَنَّ الحاكم بأمر الله قد تفنن في معاقبته من خلال استخدامه لاكثر من أسلوب بحقه ؛ لكونه قد أخلَّ في المهام والواجبات الاساسية التي ينبغي على المحتسب ان يقوم بتفيذها.

كما عاقب الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م) الكثير من خدمه وغلمانه ،فضلاً عن الصقالبة والكتاب بقطع ايديهم عن طريق الساطور على خشبة من وسط الذراع ، وعمل الاسلوب نفسه مع الجواري في قصره[٢].

وفي سنة (٤٠٤ هـ / ١٠١٣م) أعتقل الوزير ابو القاسم أحمد بن علي الجرجرائي ، من قبل الحاكم بأمر الله ؛ لكثرة المرافعات عليه ، وبعدها أمر بقطع يده ، فأخرج اليسار بدلاً عن اليمين فقطعت ، فنقل ذلك للحاكم بأمر الله فذكر : ((أنما أنا أمرت بقطع يمينه ، وأمر بقطع اليمين)) فقطعت هي الأخرى على باب البحر[٣][٤].

وبعد قطع يد الجرجرائي بخمسة عشر يوماً ، تم قطع يد غين[٥] ، مع العلم أَنَّهُ قد قطعت أحدى يديه قبل ثلاث سنوات وشهر ، فأصبح قطيع اليدين ، ثم ان الحاكم بأمر الله أرسل اليه آلاف من الذهب ، وعدة من الثياب كما أمر بمعالجته ، وفي الثالث عشر من شهر(جمادى الاولى من السنةِ نفسِها) أمر بقطع لسانه[٦].

كما استعملت هذه العقوبة في عهد الظاهر لاعزاز دين الله ، ففي سنة (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) ، تم القاء القبض على رجل قام بسرقة مال القرافية ، فأرسل إلى الشرطة السفلى فتقرر عقوبته بقطع

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٣ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ١٤٦.
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٧٩ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ١٤٧.
(٣) باب البحر : هو أحد ابواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية ، وهذا الباب من انشاء الحاكم بأمر الله ، وثم هدم هذا الباب في ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البند قداري . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٢١٨ ــ ٢٢٠.
(٤) ابن الأَبَّار ، إعتابُ الكُتاب ، حققه وعلق عليه وقدم له : د. صالح الاشتر ، (المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٦١م) ، ص ١٩٩ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٦ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٣ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١١٥. ويذكر المقريزي ان سبب قطع يداه من قبل الحاكم بأمر الله ، انه كان في خدمة ست الملك فتركها ، وهي غير راضية عنه ((وخدم عند غين ، فبعث اليها رقعة يستعطفها ، فأرتابت منه وسيرتها في طيّ دَرجها إلى الحاكم بأمر الله ، فأمر بقطع يديه وقد أشتد غيظه)) . ويقال ان صاحب الخبر عقيل كان يحمل الرقاع بالخبر إلى غين لكي يرفعها وهي مختومة إلى الحاكم بأمر الله ، وفي أحد الايام حمل عقيل الرقاع إلى غين ، والذي بدوره أعطاه إلى ابي القاسم الجرجرائي حتى يجد فراغاً فرسلها إلى الحاكم بأمر الله ، إلا أَنَّ الجرجرائي فك الختم وقرأها ، وإذا به يجد في بعضها طعن على غين وذكره بسوء ، فأقدم على قطع ذلك المكان من الرقعة وحكّه وأصلحه ، وأرجع الختم ، وعندما أعلم عقيل بذلك أوصله إلى الحاكم بأمر الله الذي أمر بقطع يديه . ينظر . اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠١ ــ ١٠٢ . وعلى الرغم مما ذكره النويري والمقريزي في سبب عقوبة قطع اليد ، إلا أَنَّهُ يُعد في نظر الحاكم بأمر الله جريمة ومخالفة أرتكبها الوزير فهي تستحق عقوبة قطع اليدين .
(٥) هو خادم اسود كان مقرباً من الحاكم بأمر الله ، تولى شؤون الحسبة والشرطة والنظر في جميع الاحوال ، وقد ذكر اسمه في بعض المصادر بـ (غبن) والبعض الاخر بـ (عين) . للمزيد من التفصيل ينظر . يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٣٠٩ ؛ ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٦٣.
(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٠٢ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ١٣٥.

يمينه ، وطيف به على جمل ، وبعدها أعيد إلى السجن وتوفي[١].

وفي السنةِ نفسِها حصل أرتفاع في الأسعار ، فقام دواس بن يعقوب بضرب بعض حمالي القمح ومعهم السماسرة بالدرة ، وقال : ((أكتبوا لي مخازن البلد ، فكتبوا له مائة وخمسين مخزناً قمحاً)) ، فعمد على وضع الطوابع عليها وقال : ((إن امتدت يد إنسان إلى بيع شيء منها قطعت ، وانصرف))[٢].

ومن العقوبات الأخرى المطبقة هي عقوبة التسمير[٣] والتي نفذت في عهد عدد من الخلفاء الفاطميين ، ففي عهد الحافظ لدين الله ، قام أحد المتظلمين بتقديم شكوى ضد أحد الكتّاب إلى الحافظ لدين الله ، والذي عمل على تزوير خراج عليه لعداوة حصلت بينهما ، فتم تأييد شكوى المتظلم ، وبعدها أمر الحافظ لدين الله بعقوبة الكاتب بالتسمير ، فسُمّر في مركب وطيف به في سائر الأعمال، وينادى عليه فطبق بحقه ذلك[٤].

وقام الظافر بأمر الله بمعاقبة ابني الانصاري [٥] في سنة (٥٤٤ هـ / ١١٤٩م) [٦] ؛ وذلك لانهما أستفردا بالسلطة في عهد أبيه الحافظ لدين الله ، فاحضرهما واستدعى متولي الستر ؛ لكي ينفذ العقوبة بهما ، فتم ضرب الأكبر بحضوره بالسياط إلى أن شارف على الموت ، وثنى بأخيه ، وأمر بعدها بأخراجهما وقطع ايديهما ، وسلّ السنتهما من القفا [٧] ، ومن ثم صلبا على باب زويلة الأول والثاني مُدَّة من الزمن[٨].

---

(١) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٣.
(٣) التسمير : لغةً : شدك شيئاً بالمسمار ، ومنه المسمار لأنه يشدّ بين اللوحين . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٧ / ٢٢٥ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٧٨ . واما اصطلاحاً : هو تعذيب الانسان بدقّ المسامير في كفّيه ، او قدميه ، أيّ عضواً من اعضائه . وتحصل عملية التسمير بواسطة دقّ مسامير في المعذبين ، تسمّرهم إلى الواح قائمة ، او حيطان . ينظر . المرجع والجزء والصفحة نفسها.
(٤) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٥٧ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٧٩.
(٥) وهما من جملة الكتاب الذين توصلا إلى الحافظ لدين الله ، فأستعملهما في ديوان الجيش ، كان هدفه ان يميزهما وهما غير قانعين بذلك ، فتجرآ على السادة من رؤساء الدولة مثل كاتب دست الخليفة ومشورته الأصل الموفق ابي الحجاج يوسف ، والقاضي المرتضى المحنك ، والخطيري البواب وغيرهم من الامراء ، وحصل لهم أمور قبيحة والقوم يُطلعون الحافظ لدين الله بخبرهم شيئاً بعد شيء ، وهو غير ملتفت لقولهم ، وقد اصبح ابن الأنصاري الأكبر شريكاً للموفق في ديوان المكاتبات ، أما الموفق فخصص له ديوان الإنشاء جميعه ، كما نعت ابن الأنصاري الأكبر بالقاضي الاجل سنا الملك عندما تولى نصف ديوان النفقات ، أما ابن الأنصاري الأصغر فقد تجنّد فتأمر ، وخُلع عليه بالطَّوق وما يلزم الامرية، وأصبح أمير طوائف الأجناد . ينظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢٨٣.
(٦) ذكر ابن ميسر قطع ايدي ابني الأنصاري في شهر (رجب سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م) وبذلك يختلف عن المقريزي . ينظر . المنتقى ، ص ١٣٩.
(٧) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٩٣ ـ ١٩٤ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٤ / ١٣٧ ـ ١٣٨.
(٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٩٤.

وفي عهد الظافر بامر الله ايضاً نفذت عقوبة التسمير بحق أبي المكرّم الموفق محمد بن معصوم التنيسي ، والذي كان ناظراً للدواوين[١] في السنةِ نفسِها علي يد وزيره العادل ابن السلار ، فقد دخل عليه ابن السلار قبل أن يصبح وزيراً، ليطالبه باستحقاقٍ له ، إلا أنَّ التنيسي لم يلتفت إليه وأهمل أمره كراهيةً وإهانةً له، فعاود ابن السلارالقول عليه ، دفعةً بعد أخرى، عند ذلك قال له التنيسي:((ياأميرالعوام، يقولون: كلامك يدخل من هاهنا ، ويخرج من هاهنا ، وأشار إلى اذنيه))[٢].

فخرج ابن السلار وكتمها له ، وعندما نال الوزارة طلبه ، ولما ظفر به أمر بإحضار لوح خشب ، ومسمار طويل ، فأمر به فألقي على جنبه ، وطرح اللوح تحت أذنه ، وبعدها ضرب المسمار في الأذن الأخرى ، وصار كلما صرخ يقول له : ((دخل كلامي في أذنك بعدُ أم لا ؟ ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الأذن التي على اللوح ، ثم عطف المسمار على اللوح ، ويقال : أنه شنقه بعد ذلك))[٣] .

وأما عقوبة التعليق فكان لها نصيب أيضاً في العصر الفاطمي ، ففي سنة (٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م) علّق الحاكم بأمر الله مجموعة من النصارى من ايديهم ، وأخذ جميع ما كان لهم ، وبقوا أياماً معلقين في البرد والحر وسقوط المطر ، إلى أن هلكت مجموعة منهم في ظل هذه العقوبة [٤]. ويبدو ان هؤلاء قد ارتكبوا بعض المخالفات والتجاوزات حتى طالتهم هذه العقوبة.

وفي عهد الظاهر لإعزاز دين الله استعملت أيضا هذه العقوبة ، ففي سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤م) ، تم تعليق رجل لص في مدينة القاهرة ، عثر عليه وهو يفتح دكاناً ، كما ضرب وشُهّرَ في البلد على جمل ، وبعدها اعيد إلى المُطبق[٥][٦].

---

(١) تولى النظر في الدواوين سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) . ينظر . ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٤٣: هـ (٤٨٨).
(٢) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطة ، ١ / ٢٥١ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٢٠٥.
(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ / ٤١٧ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٧ / ٤٣.
(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٧٧.
(٥) المُطبق : هو سجن تحت الارض . ينظر . مسعود ، الرائد ، ص ٧٤٨ .
(٦) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٣٨ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٢٤٢.

المبحث الثالث : عقوبات السجن [1] والنفي [2] وتحديد الإقامة

حفل العصر الفاطمي بعقوبات السجن والنفي وتحديد الإقامة ، والتي اتخذتها الدولة وسيلة لمعاقبة الجناة والفاسدين والخارجين على طاعتها والمتمردين على قراراتها ، ويُعد السجن من العقوبات البدنية والمعنوية المؤقتة للمعاقب ، وقد طالت عقوبة السجن شخصيات مختلفة ، مثل (الوزراء ، والأمراء ، وكبار رجال الدولة ، وعامة الإفراد) كما شهد العصر الفاطمي على حالات كثيرة أفضت إلى عقوبة السجن.

وحفلت مدينتا (الفسطاط ــ مصر ــ والقاهرة) بمجموعة من السجون ، ومنها دار المعونة التي استعملها الفاطميون كسجن ، والتي كانت في الأصل منزلاً لسكن الولاة بعد الفتح الإسلامي لمصر في سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠م) ، وأخذ أسمها من أسباب بنائها ، أي تم أنشاءها بمعونة المسلمين ، وأشار (المقريزي) إلى ذلك بقوله : ((وأصله خطة قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، أختطها في أول الإسلام ، وقد كان موضعها فضاء وأوصى فقال : إن كنتَ بنيتَ بمصر داراً ، واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهي للمسلمين ينزلها ولاتهم ...))[3].

واستمر هذا السجن قائماً طيلة العصر الفاطمي في مصر ، تنفذ فيه العقوبات وسفك الدماء ، وقد هدم في سنة (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) من قبل صلاح الدين الايوبي نكايةً بالفاطميين ، والذي بنى محله مدرسة للشافعية أخذت على عاتقها نشر أعلام الأدلة الشرعية[4].

---

(١) السجن لغةً : سجنتُه اسجُنه سَجناً ، أي : حبسته في السجن ، والسجن الاسم والسجان صاحب السجن ، ورجل سجين ومسجون ، والجمع سُجناء . ينظر . ابن سيدة ، المخصص ، ٣ / ٣ : ٩٣ . ويذكر آخر : السجن الحبس والسجن : الحبس ، والسجن البيت الذي يحبس فيه السجين . ينظر . الفراهيدي ، العين ، ٦ / ٥٦ . أما اصطلاحا فالسجن : هو حجز الفرد في مكان من الامكنة ، ومنعه من التصرف بنفسه حتى يتبين حاله ، او مخافة هروبه لاستيفاء العقوبة ، فالحبس ، او السجن هي المؤسسات المُعدة خصيصاً لاستقبال الافراد المحكوم عليهم بعقوبات تكون مقيدة للحريات . ينظر . منصور ، اسحاق ابراهيم ، الموجز في علم الاجرام ، ص ١٦٢ ــ ١٦٣ ؛ محمد ، سجون مصر والقاهرة في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار للمقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية - جامعة بابل ، العدد الثامن عشر ، السنة ٢٠١٤م ، ص ١٢٧.

(٢) النفي : لغةً : يدل على معان شتى منها الطرد والدفع ، ومنه قولهم : نفيت الحصى نفياً أي : دفعته عن وجه الارض . كما جاء بمعنى خلاف الاثبات ، ومنه قولهم نفي النسب إذ لم يثبته. وجاء ايضاً بمعنى الاخراج ، وهو المعنى المراد هنا فيقال : نفي فلان عن بلده إذا أخرج عنه ، ومنه قوله تعالى﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ﴾. ينظر . سورة المائدة : آية ٣٣ ؛ الفيومي ، المصباح المنير ، (دارالفكر للطباعة والنشروالتوزيع ، لا.م ، د.ت) ، ٢ / ٦١٩ ؛ الطبسي ، نجم الدين ، النفي والتغريب ، (مؤسسة الهادي ، قم ، ١٩٩٦م) ، ص ١٧ ؛ الحموي ، اسامة محمد منصور ، عقوبة النفي (دراسة مقارنة في الفقه الاسلامي والقانون) ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ١٩ ، العدد الثاني، السنة ٢٠٠٣ م ، ص ٥٠٠. واما اصطلاحاً : هو التغريب عن الوطن تعزيراً ، أو جزء من حد . ينظر . فتح الله ، معجم الفاظ الفقه الجعفري ، ص ٢٥.

(٣) المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٨١١.

(٤) البنداري ، ابو ابراهيم قوام الدين الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) ، سنا البرق الشامي (٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م : ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، اختصره من كتاب البرق الشامي للعماد الاصفهاني الكاتب ، تحقيق : د . فتحية النبراوي ، (مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ص ٥٧.

وطبقت عقوبة السجن في مصر من قبل جوهر الصقلي ، ففي شهر (رمضان سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م) القي القبض على عجوز كَفِيفة البصر ، وهي تنشد في الطريق فتم حبسها ، ونادوا جماعة من الرعية بذكر الصحابة ((معاوية خال المؤمنين ، وخال علي)) ، فنادى جوهر في الجامع العتيق : ((أيها الناس : أقلوا القول ، ودعوا الفضول ، فأننا حبسنا العجوز صيانة لها ، فلا ينطقن أحد إلا حلت عليه العقوبة الموجعة)) ، وبعد ذلك تم أطلاق سراح العجوز[(١)].

وفي سنة (٣٦٢هـ / ٩٧٢م) وصلت الأخبار إلى المعز لدين الله تفيد بأَنَّ محمد أخ ابي أسماعيل الرَّسِّي كان عازماً على الهروب إلى بلاد الشام ، فألقى القبض عليه ، وسجنه وهو مقيد[(٢)]، ويبدو أَنَّ هروب محمد الرَّسِّي ينبىء عن خوفه من الفاطميين ، أو عدم رضاه منهم ، وخصوصاً أنهم جميعاً من أبناء بيت النبوة ، وشرف بعضهم لبعض الشرف ، أوربما دفعه الحقد على أن يقوم بمعاقبته بالسجن[(٣)].

وفي سنة (٣٦٤ هـ / ٩٧٤م) ، وبالتحديد في يوم النوروز، والذي كثر فيه الاحتفال واللعب بالماء وإيقاد النيران في الطرقات ، وطوافهم في الأسواق ، وقصدوا مدينة القاهرة لأجل المرح ، فاستمروا على ذلك لمُدَّة ثلاثة ايام ، فأظهروا السماجات في اللعب بالأسواق ، مما ولد الغضب لدى المعز لدين الله ، والذي أمر بدوره إيقاف هذا الاحتفال ، والقاء القبض على بعض المحتفلين ، فتم حبس قوم منهم ، كما طيف بآخرين في الطرقات على ظهور الجمال[(٤)].

وأسند العزيز بالله في سنة (٣٦٥هـ / ٩٧٥م) إلى علي بن النعمان [(٥)] مهمة الإشراف على دار الضرب [(٦)] والجامعين في مدينة مصر والقاهرة ، (أي جامع عمرو بن العاص والجامع الأزهر)، ولهذا رفض أهل السنة هذا الإجراء ، وحز في نفوسهم أن يشاهدوا القاضي الشيعي المغربي علي بن النعمان يشارك القاضي السني أبا طاهر محمد بن احمد [(٧)] ، فانتصر له عدد من

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٣٠ – ١٣١ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٣٩.
(٣) عبد العزيز ، ثناء عبد العظيم ، وسائل التصفية في مصر في العصر الفاطمي الاول (٣٥٨ – ٤٨٧ هـ / ٩٦٨ – ١٠٩٤م) ، حولية كلية اللغة العربية ، جامعة الزقازيق ، العدد الثامن والثلاثون ، د. ت ، ص ١٦٤٢.
(٤) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٥٦ ؛ عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ١ / ٣٧٤.
(٥) هو علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي القيرواني الاسماعيلي ، ولد في شهر (رجب سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) وجاء من المغرب مع المعز لدين الله ، فأمره في النظر في الحكم ، فكان يحكم ومعه القاضي ابو طاهر محمد ، والشهود يشهدون عليهما جميعاً وعندهما ، واما الاجتماع فيكون عند القاضي ابي طاهر. للمزيد من التفصيل ينظر. ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٢٨١ – ٢٨٣.
(٦) دار الضرب: هي الدار التي كانت تقع بجوار خزانة الدرق ، والتي هي اليوم خان مسرور الكبير ، وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التي تعرف اليوم بالخراطين ، ومكان هذه الدار اليوم درب يعرف بدرب الشمسي ، والذي يقع في وسط سوق السفطيين المهامزيين ، وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفر ، وكان يصنع في هذه الدار الدنانير الغرة ، ودنانير خميس العدس ، يتولى الدار قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم . للمزيد من التفصيل ينظر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٢٤٤ – ٢٤٥.
(٧) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته.

الشهود وأهل السنة ، فضلاً عن عدد كثير من التجار ، فعُدَّ ذلك العزيز بالله خروجاً على طاعة الدولة الفاطمية ، وعلى المذهب الإسماعيلي ، فقام رجال الشرطة بالقبض على كافة المتظاهرين واودعوهم في السجن ، ولم يطلق سراحهم إلا بعد تدخل القاضي علي بن النعمان(١).

وفي عهد الحاكم بأمر الله ، ألقي القبض على ثلاثة عشر رجلاً في سنة (٣٩٤ /١٠٠٣م)، فتم معاقبتهم بالضرب والتشهير على الجمال ، وبعدها حُبسوا لمُدَّة ثلاثة ايام ؛ وذلك بسبب أدائهم صلاة الضحى الممنوعة من قبل الحاكم بامر الله(٢).

وأما في عهد الظاهر لإعزاز دين الله ، فقد ألقي القبض في شهر (رمضان سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤م) على رجل تاجر كان جالساً في قيسارية البَزّ(٣) في مصر ، وهو في حالة سُكر ، فتم اعتقاله في حبس الشرطة السفلى (٤)، وفي السنةِ نفسِها انفذ متولي حرب فلسطين انوشتكين الدزبري إلى بيت جبرين(٥) اقطاع حسان بن جراح من القبض على أمواله ، فأرسل إلى أعوان الدزبري وقام بضرب أعناقهم(٦)، وعندما وصل خبر ذلك إلى الدزبري ، قام بالقاء القبض في مدينة الرملة على أبي الغول الحسن بن فيروز ، صاحب حسان وعلى كاتبه فسجنهما مقيدين في حصن يافا(٧)(٨).

كما استعملت الدولة الفاطمية خزانة البنود ، والتي هي من ضمن خزائن القصر الفاطمي كسجن ، ففي سنة (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) اعتقل فيها وزير المستنصر بالله ابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي الوزير السابق الحسن بن علي الانباري (٤٣٦هـ / ١٠٤٤م)(٩)، وبعدها قتله ودفنه فيها ، إلا أنَّ الوزير الفلاحي لم تطل أيامه ، ففي سنة (٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) تم اعتقاله في الخزانةِ نفسِها ،

---

(١) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٢٥ ؛ حسن ، ــ و شرف ، طه احمد ، المعز لدين الله أمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، (مطبعة الشبكشي ، القاهرة ، د.ت) ، ص ١٩٧ ــ ١٩٨.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٤٩ ؛ أيوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٢٢٢.

(٣) قيسارية البَزّ : هي القيسارية التي أنشأها الاخشيد في ولاية محمد بن بدر الاخيرة في سوق الحمَّام ، واراد ان يبني السقيفة فتقبل محمد بن عبد الله الخازن قطعة من حبس السري ابن الحكم في الموضع المعروف بالمدينة المقابل لقيسارية الاخشيد . ينظر. الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٥٦٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٣٥١.

(٤) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٨٢ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٣ / ٥١.

(٥) بيت جبرين : هي بلدة تقع بين بيت المقدس وغزة ، بينها وبين القدس مرحلتان ، وبين غزة اقل من ذلك ، وتوجد بها قلعة حصينة قام صلاح الدين بتخريبها لما استنقذ بيت المقدس من الصليبيين . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٥١٧.

(٦) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٤٥.

(٧) يافا : هي مدينة تقع على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا في الإقليم الثالث ، طولها من جهة المغرب ٥٦ درجة ، وعرضها ٣٣ درجة . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ٤٢٦.

(٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٥٠.

(٩) هو أبو علي الحسن بن علي الانباري ، كان من أصحاب الوزير ابو القاسم الجرجرائي ، وقد خلفه في الوزارة إلا أنَّهُ لم ينعم بهذا المنصب ، اذ ظهرت نوايا ام المستنصر بالله ومتولي أمورها ابي سعيد سهل التستري في التفرد بالنفوذ ورغبتهما في ان يكون الوزراء مجرد منفذين لرغباتهما . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩٠ ــ ١٩١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٤.

ولقى المصيرنفسهُ الذي تجرعه الوزير الأنباري من قبل[1].

وتعرضت خزانة البنود إلى حريق في سنة (٤٦١ هـ / ١٠٦٨م) ، وبعد احتراقها استعملها الفاطميون سجناً ذات طابع سياسي ضم عدداً من الأمراء والأعيان ، كما اتخذها الايوبيون سجناً اعتقل فيه الأمراء والمماليك[2].

ويذكر القاضي المهذب ابن الزبير[3] خزانة البنود عندما أعتقل بها ، فكتب إلى الكامل بن شاور قصيدة من جملتها هذه الأبيات :

يا صاحِبَي سجن الخزانة خَلِّيَا نَسِم الصّبا تُرسل إلى كَبِدِي نَفحَا

وقُولا لضوء الصُّبح هل أنت عائدٌ إلى ناظِري أم لا أرى بعدها صُبحَا

ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى سريعاً بفضل الكامل العَفوَ والصَّفحَا

فإن تحبسِاني في النجُّوم تجبُّراً فلن تَحبسَا مني له الشكرَ والمَدحَا[4].

وفي سنة (٤٧٨ هـ /١٠٨٥م) اتَّخذ وزير المستنصر بالله بدر الجمالي جملة من الاجراءات التي تصب في محور العقيدة والدعوة ، فقد حمل العامة أن يكبِّروا على الجنائز خمس مرات ، وأن يُسدلوا ايديهم في الصلاة ، ويتختموا في الأيمان ، ويثوبوا في صلاة الفجر ((حي على خير العمل)) ، وقد أقدم بدر على معاقبة مجموعة بالحبس ؛ وذلك لأنهم رووا فضائل الصحابة [5]، ويبدو أَنَّ هذه الإجراءات كانت تدل على تحمس بدر لمذهبه ، كما تبين ايضاً على أَنَّهُ يعمل على ترسيخ قواعده ، وأسسه من خلال فرض أحكامهِ على العامة[6]. ويبدو ان الرواية التي ذكرها ابن الجوزي لم ترد في أغلب المصادر التاريخية التي تحدثت عن الدولة الفاطمية.

كما اتخذ الفاطميون القصر الكبير[7] سجناً يُسجن فيه بعض الخلفاء، أو الوزراء ، أو الامراء، فقد حبس في أجزاء هذا القصر نزار بن المستنصر بالله ، من قبل الأفضل بن بدر الجمالي ، عندما

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢٠٣/٢ ؛ المواعظ والاعتبار، ٢ / ١٩٩؛ محمد ، سجون مصر والقاهرة، ص ١٣٢.
(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٩٦ ـ ١٩٨.
(٣)هو ابو محمد الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير ، الملقب بالقاضي المهذب ، وهو اخو القاضي الرشيد احمد بن علي ، كان محكم الشعر مثل البناء المشيد ، ويُعد اشعر من اخيه واعرف بصناعته وإحكام معانيه ، ولم يكن في زمانه اشعر منه أحد ، وله شعر كثير ومحلٌ في الفضل اثير ، توفي في مصر شهر (ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ /١١٦٥م) . ينظر . العماد الأصفهاني الكاتب ، خريدة القصر قسم شعراء مصر، ١ / ٢٠٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٩ / ٤٧.
(٤) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ٨٤ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٩٧.
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ / ٢٤٢ ؛ دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ٨٨.
(٦) المرجع والصفحة نفسها.
(٧) القصر الكبير : هو القصر الذي يقع في الجهة الشرقية من مدينة القاهرة ، ويقال له القصر الكبير الشرقي ، كما يسمى بالقصر المعزي ؛ لكون المعز لدين الله هو من امر عبده وكاتبه جوهر الصقلي ببنائه ، وكان وضعه بالتزامن مع وضع اساس سور مدينة القاهرة في الثامن عشر من شهر (شعبان سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م) . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٠٦ ـ ١١٢.

تمكن من الانتصار عليه في سنة (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) ، فبقى فيه إلى أن وافاه الاجل ، وقد أشار (المقريزي) إلى ذلك بقوله : ((أنه سلم نزاراً لأهل القصر من أصحاب المستعلي ، وأنهُ بنى عليه حائط ومات ؛ وقيل أنه قتل بالاسكندرية ، والاول أصح))[١].

وحُبس في بعض جنبات أو جوانب القصر، (والتي هي دار الضرب ، فكان خزانة بجوار الإيوان الكبير) ، الحافظ لدين الله من قبل وزيره أبي علي كتيفات ، واستمر في حبسه إلى أن قُتل كتيفات في سنة (٥٢٦ هـ / ١١٧١م) ، فأطلق سراح الحافظ لدين الله ، فعُدَّت الدولة الفاطمية ذلك عيداً سمي بعيد النصر ، فقد كان يحتفل بهذا العيد إلى نهاية الدولة الفاطمية في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م)[٢].

كما سُجن فيه ايضاً وزير الحافظ لدين الله أبي الفتح رضوان بن الولخشي ، بعد فراره من مصر إلى بلاد الشام ، على إثر الفتن الكثيرة ، ومن ثم عودته إلى مصر ، وبعدها خرجَ إلى بلاد الشام يستجيش على الحافظ لدين الله ، إلا أَنَّ الأخير أخذ يُطمعه ويرغبه حتى استقدمه[٣]، وعندما طالت مُدَّة حبسه أخذ ينقب ويحفر إذ لايعلم به أحد ، وبلغ طول مانقبه خمسة وثلاثين ذراعاً ، فتمكن بعدها من الهروب إلى مدينة الجيزة في سنة (٥٤٢هـ / ١١٤٧م) [٤].

ومن عقوبات السجن الأخرى التي حصلت في العصر الفاطمي ، ماحدث في آخر شهر (رمضان سنة ٥١٥هـ/١١٢١م) حينما أودع أبوعلي أحمد بن الافضل في السجن بعد مقتل ابيه الافضل ، وكان الهدف من سجنه من قبل الآمر بأحكام الله هو إبعاد تأثيره وخطره على الفاطميين، فضلاً عن خوفه من محاولة السيطرة على السلطة إذا بقى حراً طليقاً[٥].

وفي سنة (٥٢٦هـ / ١١٣١م) استيزر حسن ابن الحافظ لدين الله في مصر ، وخطب له بولاية العهد ، فلجأ الأخير إلى سفك الدماء بشكل كبير ، فقد بلغت قتلاه في ليلة واحدة اربعين اميراً ، وعلى إثر ذلك اجتمع الأمراء الباقون وراسلوا الحافظ لدين الله ، وقالو له : ((إما أن تسلم إلينا ولدك لنقتله ، أو نقتلكما جميعاً)) فطلب الحافظ لدين الله ابنه وحبسه ، إلا أَنَّهم لم يرضوا بذلك ، فطالبوا بقتله ، فسقاه سماً فتوفى ، فأصّر القادة على التاكد من وفاته ، فجاء بعضهم وجرحوا أسفل رجليه ، فلم يخرج منها دم ، فأيقنوا بموته ، وكان ذلك في سنة (٥٢٩هـ / ١١٣٤م)[٦].

---

(١) اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤. ويذكر النويري أن الافضل عندما دخل الى مدينة الاسكندرية ، القى القبض على نزار وافتكين ، وبعثهما الى مصر ، وكان آخر العهد بنزار ، فقيل : ((أنه جعله بين حائطين الى ان مات)) . ينظر . نهاية الارب ، ٢٨ / ١٥٨.

(٢) المواعظ والاعتبار ، ٢ / ١٥٩ ، ٣٤٩ ــ ٣٥٠.

(٣) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٥٢١.

(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٨٣ ؛ محمد ، سجون مصر والقاهرة ، ص ١٣٩.

(٥) دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ١٠٣ ــ ١٠٤.

(٦) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٢٦٢ ، ٢٨٠ ؛ الشالجي ، موسوعة العذاب ، ٦ / ١٥٩.

وقام وزير الفائز بنصر الله الصالح طلائع بن رزيك في التاسع عشر من شهر (ذي الحجة سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م) ، بإلقاء القبض على ناصر الدولة ياقوت وأبنائهِ واعتقلهم ؛ وذلك لبلوغه أنه كاتب أخت الظافر بأمر الله وقصد الخروج على الصالح ، وكان ياقوت والياً على الأعمال القوصية وهو في مدينة القاهرة ، وبقى في سجنه إلى أن وافاه الأجل في شهر (رجب سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م)(١).

وأما في مايتعلق بعقوبات النفي وتحديد الإقامة ، فقد حصل عدد منها في العصر الفاطمي ، ففي سنة (٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، منع القبط من إظهار اللَّهو والمجون ، وارتكاب مختلف المنكرات في عيد الغطاس ، حيث تم تهديدهم من قبل العزيز بالله بالعقاب والنفي خارج البلاد لكل من يعمل هذه المنكرات(٢).

وفي سنة (٤٠٢هـ / ١٠١١م) أصدر الحاكم بأمر الله أمراً يقضي بنفي سائر المغنيين وأصحاب الملاهي وتسييرهم في البلاد ، وعلى وقع هذا القرار اجتمعوا واستغاثوا به وسألوه ان يعفُ عنهم ((فاستتيبوا واستحلفوا))(٣).

وفي السنةِ نفسِها أعفي سائر المتصرفين والكتاب الذميين من وظائفهم ، واشتد الأمر على اليهود والنصارى ؛ فطردوا واضطهدوا ، وانتشر بينهم الخوف فأسلم كثير منهم ، كما تظاهر بعضهم بالإسلام ، واختفى أغلبهم من الطرقات ، وهاجر بعضهم إلى الدولة البيزنطية ، ونفي بعض آخر إلى خارج الديار المصرية(٤).

كما أمر الظاهر لإعزاز دين الله في سنة (٤١٦هـ / ١٠٢٥م) بنفي من وُجد من الفقهاء المالكية وغيرهم ،وأمر الدعاة ان يُحفظوا العامة كتاب(دعائم الاسلام) للقاضي النعمان بن حيون(٥)، وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في (الفقة) ، ومنح المكافات المالية لمن يقوم بحفظهما(٦).

---

(١) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٢١١.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٢٤٢ ؛ خلف ، ثورات المصريين ، ص ١١٥ ؛ عامر ، تاريخ اهل الذمة ، ص٣٧٥.

(٣) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٩٣ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢١٩ ؛ العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٢٨٦.

(٤) عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٤٠.

(٥) هو النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون الاسماعيلي المغربي ، يكنى ابا حنيفة ، جاء بصحبة المعز لدين الله من المغرب وهو يتولى القضاء في عسكر المعز لدين الله ، واول ما فوض للنعمان الحكم في الضيعة التي كان محمد بن علي الماذرائي حبسها ، ومن ثم باعها في المصادرة ، فاشتراها منه عمر بن الحسن العباسي ، ثم باعها اولاده فاشتراها فرح التحكيمي . للمزيد من التفصيل ينظر . الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٦ ــ ٥٨٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٤٤٥ ــ ٤٤٦.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٧٥ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٨٤.

وأمر المستنصر بالله في سنة (٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م) بإلقاء القبض على وزيره ابي البركات الحسين بن محمد الجرجرائي (٤٣٩ ـ ٤٤١ هـ / ١٠٤٧ ـ ١٠٤٩ م) [(١)]، ونفي إلى مدينة صور التي اعتقل بها ، وكان السبب في هذه العقوبة هو ماقام به اعداؤه من أيغار المستنصربالله به ، وانه شّرع في تجهيز الجيوش إلى مدينة حلب ، مما الحق الضرر بالدولة ، فدفعت هذه الاقاويل ومايشبهها عليه المستنصر بالله ، والذي كان يكن الحقد نحوه من ((استبداده بأمورٍ من غير أمر ولاأستئذان))[(٢)].

وفي سنة (٤٥٠هـ / ١٠٨٥م) ألقي القبض على وزير المستنصر بالله ابو محمد الحسن اليازوري ، والذي تقرر نفيه بصحبة نساؤه واولاده وحاشيته إلى مدينة تنيس ، والتي اعتقلوا بها[(٣)] ، ويذكرابن ايبك الدواداري ان اليازوري قُتل في المدينة[(٤)].

وفي سنة (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) تولى منصب القضاء احمد بن عبد الكريم الفارقي[(٥)] عوضاً عن القاضي الحسن بن ابي كدينة [(٦)]، ثم عزل عنها وأعيد اليها أكثر من مرة ، وبعدها نُكب وتقرر نفيه إلى بلاد الشام فتوفي بها [(٧)].

وعندما دخل بدر الجمالي إلى مدينة القاهرة في سنة (٤٦٦ هـ / ١٠٧٣م) أمر بنفي الوزير ابي العلاء عبد الغني المعروف بالضيف إلى قيسارية ، وبعدها نقل إلى مدينة تنيس فقتل بها[(٨)].

كما أصدر الآمر بأحكام الله في شهر(ذي الحجة سنة ٥١١ هـ / ١١١٧م) أمراً يقضي بنفي بني عبد القوي مع أهاليهم إلى بلاد الاندلس [(٩)]. ويبدوأنَّ هذهِ العقوبة جاءت لاتهامهم بالتعاطف مع الامويين في الاندلس.

---

(١) هو الوزير الاجل الكامل الاوحد علم الكفاة سيد الوزراء ظهير الائمة سماء الخلفاء فخر الامة ذو الرياستين صفي امير المؤمنين ، ابو البركات الحسين بن عماد الدولة محمد بن احمد الجرجرائي ، وهو ابن اخ الوزير ابي القاسم الجرجرائي ، تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله بعد الوزير الفلاحي ، فكثرت في أيامه القبض والمصادرات واصطفاء الاموال والنفي . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص ٧٢ ــ ٧٣ ؛ المناوي ، الوزراة ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٣٥٢.

(٢) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٣٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢١٠.

(٣) ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة ، ٦ / ٣٧٠ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٢٤١.

(٤) الدرة المضيئة ، ٦ / ٣٧٠.

(٥) هو احمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد بن مالك بن سعيد الفارقي ، جلال الملك ، ويكنى ابا احمد ، كما يكنى بأسم نفسه ، تولى منصب القضاء في الثالث عشر من شهر (محرم سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٦١ ــ ٦٢.

(٦) هو الحسن بن ثقة الدولة مجلى بن اسد بن ابي كُدينة ، ابومحمد المرادي ، ويقال انه من ذرية عبد الرحمن بن ملجم ، تولى القضاء في دولة ناصر الدولة بن حمدان ، المتغلب على أمور المستنصر بالله في السابع والعشرون من شهر (شعبان سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م) . للمزيد من التفصيل ينظر . المصدر نفسه ، ص ١٣٥ ــ ١٣٧.

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦١ ــ ٦٢.

(٨) ابن ايبك الدواداري، الدرة المضيئة، ٤٠٠/٦ ؛ المناوي، الوزارة، ص٢٦٧ ؛ الصاوي، مجاعات مصر، ص٨٩ .

(٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٥٦.

وفي السابع من شهر (محرم سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦م) ، واثناء وزارة بهرام الارمني ، تقرر عزل أبي عبد الله محمد بن ميسر [١] عن منصب قاضي القضاة [٢]، وبعدها نفي إلى مدينة تنيس وعند وصوله أليها قتل بها في الثاني من شهر (ربيع الاول من السنةِ نفسِها)[٣].

وأما بخصوص عقوبة تحديد الإقامة ؛ فقد شهد عهد الحاكم بأمر الله تنفيذ هذه العقوبة ، والذي عرف عنه تشدده في أمور الدولة وبخاصةً إنَّ الفساد الإداري كان منتشراً بشكل كبير آنذاك ، ومن هذه القرارات التي كان يتخذها منع التجول والإقامة الجبرية ، والتي فرضت بحق كل من الحسين بن جوهر ، والقاضي عبد العزيز بن النعمان بعدم الخروج من منزلهما سنة (٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م)[٤].

وفي سنة (٤٠٠ هــ / ١٠٠٩م) تم عزل الوزير أبي الفضل صالح بن علي الروزباري ، والذي كان يلقب : (بالحاكم ، وثقة ثقات السيف والقلم)، كما كان ينظر في الأمور، ويقوم بإدارة الأعمال وحفظ الاموال لمُدَّة سنتين ، وبعد صدورقرارعزله ألزم في البقاء بداره لمُدَّة ثمانية أشهر[٥].

---

(١) بعد الاطلاع على المصادر والمراجع لم نعثر على ترجمته .
(٢) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٢٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٦٢.
(٣) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٢٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٤٢٩.
(٤) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٨٥ ؛ ايوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ٥٠.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٨١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٧.

المبحث الرابع : العقوبات الإدارية والمالية

حفل العصر الفاطمي بمجموعة أخرى من العقوبات الإدارية والمالية ، والتي كانت تفرض على مختلف الشرائح من أمثال (القادة ، والوزراء ، والقضاة) ، فضلاً عن بعض العوام في حالة ارتكابهم المخالفات وسوء إدارتهم الأعمال والمهام المناطة بهم . وكانت هناك أنواع عديدة من العقوبات الإدارية والمالية وهي كما يأتي :

أولاً: المصادرة والعزل من الوظيفة

كانت مصادرة أموال وممتلكات كبار رجال الدولة في أعقاب عزلهم ، أو التخلص منهم ، يُعد مورداً من موارد الدولة [١]، فقد كانت هذه الأموال تودع في ديوان المفرد[٢]، والذي يتصل اتصالاً مباشراً بديوان المواريث الحشرية [٣] في وظيفته[٤]، وكان الوزير يعقوب بن كلس أول من تمت مصادرة أمواله في العصر الفاطمي ، فبعد صرفه من منصبه من قبل العزيز بالله في (شهر شوال سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م) ، اعتقله وحمل من ماله مبلغ خمسمائة ألف دينار ، إلا أَنَّهُ أفرج عنه وأعاده إلى منصبهِ في السنة التالية [٥]، كما صادر ايضاً املاك الوزير أبا الحسن علي بن عمر العداس ، عندما وجّه اليه تهمة تبديد اموال الدولة بغير وجه حق شرعي[٦].

كما قام الحاكم بأمر الله بمصادرة أموال القاضي محمد بن النعمان ؛ وذلك لقيامه بالاستيلاء على أموال اليتامى وغيرهم ، والتي بلغت ستة وثلاثون الف دينار، وأمر بعد ذلك بعدم إيداع مال اليتيم ولاغائب عند أحد الشهود ، وعين مكاناً يوضع فيه المال وختم عليه من قبل أربعة شهود ولايفتح إلا بتواجدهم جميعاً[٧].

---

(١) مشرفة ، نظم الفاطميين ، ص ٢١٥.

(٢) ديوان المفرد : هو الديوان الذي قام باستحداثه الحاكم بأمر الله في سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) برسم من يقبض ماله من المقتولين ، او من يسخط عليه الخليفة . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٨١ ؛ السيوطي ، الوسائل إلى مسامرة الاوائل ، تحقيق : د. اسعد عبد الوهاب طلس ، (مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٠م) ، ص ١٠٣ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٥٢ ؛ البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٣٢٠.

(٣) المواريث الحشرية : هي مال من يموت وليس له وارث بقرابة، أو نكاح، أو ولاء ، أو الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض ولا يستغرق جميع المال ولا غاصب له . ينظر ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٨٥ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣ / ٤٦٤ ؛ البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٣١٩ ــ ٣٢٠.

(٤) مشرفة ، نظم الفاطميين ، ص ٢١٥.

(٥) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٩٩ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٦٣ ؛ الخربوطلي ، العزيز بالله ، ص ٧٩.

(٦) ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٥٤ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٦٣.

(٧) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٤٢٥ ؛ دسوقي ، حكاية الاجور ، ص ١٢٩.

وأصدر الحاكم بأمر الله قرارات عديدة منع بموجبها النصارى من الاحتفال بعيد الزيتونة[١]، وتزيين الكنائس وحمل الخوص ، وأمر بإلقاء القبض على كل من يجد بحوزته شيء منه ، وأمر كذلك بمصادرة أغصان الزيتون والزينات التي كانت معلقة على الكنائس وحرق كثيراً من الصلبان، وامتد هذا المنع في كافة أراضي الدولة الفاطمية [٢]. ويبدو أَنَّ الحاكم بأمر الله اراد من خلال ذلك ان يضع حداً للتجاوزات والانتهاكات التي تحدث عند الاحتفال بهذا العيد.

وفي سنة (٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م) أقدم الحاكم بأمر الله على مصادرة أموال الحسين بن جوهر وصهره القاضي عبد العزيز بن النعمان وأملاكهما [٣]، ولم يقتصر الحاكم بأمر الله على مصادرة اموال رجال دولته فحسب ، بل تعداه لتشمل الأملاك العقارية لوالدته واخته وعماته وحرمه وخواصه من النساء التي في مصر والقاهرة [٤]. وقد حصل من جراء ذلك على الإيرادات الكثيرة التي دخلت خزانة الدولة وانعشتها بالأموال.

وفي عهد المستنصر بالله ، وبالتحديد سنة (٤٣٦هـ/١٠٤٤م) صرف وزيره أبا علي الحسن بن علي الانباري عن الوزارة ؛ لكون أمره قد فسد بسبب عداوتهِ وصراعه مع متولي ديوان أم المستنصر بالله وناظر جميع أمور الدولة أبي سعيد التستري ، فألقي القبض عليه وتمت مصادرة أمواله ، ثم قتل في سجن بخزانة البنود ودفن بها[٥].

كما لجأ المستنصر بالله إلى مصادرة أملاك كثير من وزرائه ، وهذا مافعله بحق وزيره أبي البركات الحسين بن محمد الجرجرائي ، والذي كان يكثر من مصادرة أموال أفراد العامة وضمها إلى أمواله من دون وجه حق ، مما دفع بالمستنصر بالله إلى القاء القبض عليه واقصاءه من الوزارة ، فضلاً عن مصادرة أمواله في سنة (٤٤١هـ / ١٠٤٩م)[٦].

وفي عهد الآمر بأحكام الله حدث غلاء وأرتفاع في الأسعار في سنة (٤٩٦ هـ / ١١٠٢م) ، وعلى إثرهِ كلف القائد المأمون البطائحي بتدبير الأحوال عن طريق تتبع التجار والمحتكرين للغلال ومصادرة أملاكهم إذا لم يلتزموا بالأسعار المحددة لهم ، وقد تم بالفعل مصادرة عدد من مخازن

---

(١) الزيتونة : هو احد الاعياد التي يحتفل بها الاقباط ، وهو عيد الشعانين ومعناها بالعربية التسبيح ، يعملونه في الاحد السابع من صومهم ، والذي يوافق اليوم الثاني والاربعين من بداية الصوم ، ويحيى فيه ذكرى ركوب السيد المسيح (عليه السلام) لحماره ودخوله إلى بيت المقدس ومن حوله النصارى يسبحون ، وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ينظر . القلقشندي ، صبح الاعشى ،٢ / ٤١٥ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٨٢.
(٢) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٧٦ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٨٢.
(٣) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٦٣.
(٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص ٢٧٩ ؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ١١٦ ؛ البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٣٥٢.
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٩١ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٤ ؛ تامر ، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين الخليفة الثامن : المستنصر بالله ، (دار الجيل ، لا . م ، ١٩٨٠م) ، ص ٩.
(٦) ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص ٧٢ ــ ٧٣ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ ؛ الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية ، ص ٢٠٤.

التجار ، ولم يفرج عما بها من الغلال إلا بعد وصول محصول السنة الجديدة [١].

وعندما تخلص الآمر بأحكام الله من وزيره المأمون البطائحي ، وأستعان بالراهب ابي نجاح بن قنا ، والذي كثرت المصادرات على يديه ، بقيامه بمصادرة قوم من النصارى بمبلغ مائة الف دينار ، كما أَنَّهُ لم يسلم منه كافة رؤساء الديار المصرية وقادتها وكتابها وغيرهم[٢]، فوصل به الأمر إلى أن صادر رجلاً جمّالاً فأخذ منه مبلغ عشرين ديناراً ثمن جمل ابتاعه ، ولم يكن يملك سواه[٣].

ومن الآثار السلبية لسياسة مصادرة أموال أفراد العامة ، أنها كانت السبب الرئيس لحادثة مقتل الآمر بأحكام الله في سنة (٥٢٤هـ / ١١٢٩م) ، وبعدها تمكن وزير الحافظ لدين الله أبي علي أحمد بن الأفضل من إرجاع أموال المصادرين ، فأسترجع أملاكاً كثيرة وأعادها إلى أصحابها[٤].

وأما الحافظ لدين الله فإنه انتقم من أحد أطبائه المسمى ابن قرقة اليهودي [٥]، لكونه قام بتدبير عملية قتل ولده الحسن عن طريق السم ، إذ أمر بالقاء القبض عليه ، وحبسه في خزانة البنود، كما صادر جميع ممتلكاته وموجوداته وأعادها إلى الديوان، وقام بالإنعام على رفيقه ابي منصور الذي رفض تحضير الشراب المسموم ليسقي به ابنه حسن[٦].

وسار أيضاً وزير العاضد لدين الله الصالح طلائع بن رزيك في سياسة المصادرة ، فقد كان ((أشد الناس تطلعاً إلى ما في أيدي الناس من أموالهم ، وصادر أقواماً لم يكن بينهم وبينه معاملة ، ولاسبب يوجب التعرض))[٧].

واستمرت سياسة المصادرة في أواخر الدولة الفاطمية ، فقد قام صلاح الدين الأيوبي ، والذي وزر للعاضد لدين الله سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) ، بمصادرة قسم من الأراضي المزروعة بلغت حوالي ثلاثين فداناً [٨] كانت من ضمن أملاك دير نهيا [٩] في مدينة الجيزة ، والتي منحها الآمر

---

(١) المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ١٠١ ؛ دسوقي ، حكاية الأجور ، ص ٣٣٧.

(٢) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطة ، ١ / ٢٣٦ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٠٨ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٨٩ ؛ حسن ، الفاطميون في مصر، ص ٢١٣.

(٣) ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطة ، ١ / ٢٣٦ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٥٣٨ ؛ الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية ، ص ٢٠٥.

(٤) ابن ظافر ، اخبار الدول المنطقة ، ١ / ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٤٠ ؛ شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٦٧.

(٥) كان ابن قرقة يتولى الاستعمالات في دار الديباج وخزائن السلاح ، وكان ماهراً في علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الاوائل . للمزيد من التفصيل ينظر . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٥٠٣.

(٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢٣٧ ــ ٢٣٨ ؛ ايوب ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ص ١٧٨.

(٧) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطة ، ١ / ٢٥٨ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٢١٣.

(٨) فدان : يستخدم في تقدير الاراضي الزراعية ، وهو بالقصبة يساوي ثلثمائة وثلاثة وثلاثين قصبة مربعة وكسوراً منها ، وبالذراع المعماري سبعة آلاف وأربعمائة وستة وستين ذراعاً مربعاً وكسوراً من ذراع ، وبالمتر أربعة آلاف ومائتي متر وكسوراً من متر . ينظر . فكري ، عبد الله باشا ، الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية ، (ط٤ ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، القاهرة ، ١٨٩٣م) ، ص ١٥.

(٩) نهيا : هو من أحسن الديارات في مصر وأنزهها وأطيبها موضعاً وأجلها موقعاً ، عامر برهبانه وسكانه ، وله في الليل منظر عجيب كون المياه تحيطه من كافة جهاته . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٥٣٩.

بأحكام الله إلى الرهبان بصورة دائمية[١]، ويتضح من خلال ماتقدم إنَّ الدولة الفاطمية لجأت إلى استعمال المصادرة كنوع من العقوبة ، والتي كانت موجهة ضد كبار الموظفين في الدولة ؛ بسبب استغلالهم للعامة ، أو للحد من سيطرتهم وإضعاف شوكة بعض الشخصيات المهمة في المؤسسات الإدارية كنوع من الردع المعلن[٢].

وأما مايتعلق بخصوص عقوبة العزل من الوظيفة ، والتي سارت عليها الدولة الفاطمية ، ففي أواخر سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) ، قام المعز لدين الله بعزل والي صقلية [٣] أحمد بن الحسن الكلبي (٣٤١ ـ ٣٥٩ هـ / ٩٥٢ ـ ٩٦٩م) ، ونصب محله مولى الحسن الكلبي يعيش ، كما طلب من الوالي المعزول ترك صقليه والتوجه مع عائلته إلى المغرب [٤]، وكان السبب الحقيقي من وراء هذا القرار هو مخافة المعزلدين الله وخشيتهِ من تذمر وأستبداد الوالي وإعلان الاستقلال بالجزيرة ، خصوصاً بعد إحساس المعزلدين الله من عدم رضا الوالي بقرار الانسحاب من طبرمين [٥] ورمطة [٦] ، فضلاً عن أَنَّهُ أخذ يتبادل الرسائل مع جوذر بهذا الصدد ، فأنتشر بين صفوف العامة أنها البداية للخروج والعصيان على المعزلدين الله[٧].

وبعد توجه المعز لدين الله إلى مصر فكر بمن يخلفه في المغرب ، فوقع الاختيار على ابي احمد جعفر علي بن حمدون ، فطلبه وأسرَّ اليه أَنَّهُ يعمد على استخلافه في المغرب فقال : ((أشرك معي أحد أولادك أو أخوتك جالساً في القصر وانا أُدبِّر ، ولاتسألني عن شيء من الأموال ان كان ما أجبيته بإزاء ما أُنفقه ، وإذا أردتُ امراً فعلته ... ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي)) ،ولهذا غضب المعز لدين الله وقال :((ياجعفر :عزلتني عن ملكي ، وأردتَ أن تجعل لي شريكاً في أمري ، واستبددت بالأموال والاعمال دوني ، قم فقد أخطأت حظك ، وما أصبت رشدك)) ، وعلى إثر ذلك قرر المعزلدين الله عزله ، وأمر بإحضار يوسف بن زيري الصنهاجي[٨]

---

(١) شادي ، الفساد في الدولة الفاطمية ، ص ٣٦٨ .

(٢) الحدراوي ، اثر الأزمات الاقتصادية ، ص ٢٠٥.

(٣) صقلية : هي من جزر بحر المغرب مقالبةً لأفريقية ، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية واخرى مسيرة سبعة أيام ، وهي من الجزر الخصبة التي تحتوي على الكثير من البلدان والقرى والامصار ، وتمتاز بالمعادن والفواكه على اختلاف انواعها . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٤١٦ ـ ٤١٧ .

(٤) ابن ابي دينار ، أبو عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م) ، المؤنس في اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق : محمد شمام ، (ط٣ ، مطبعة ٢٠ مارس ، تونس ، ١٩٦٧م) ، ص ٨٧ ؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص ٧٥.

(٥) طبرمين : هي قلعة حصينة تقع في جزيرة صقلية . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١٧.

(٦) رمطة : هي قلعة حصينة بينها وبين جزيرة صقلية ثمانية ايام ، سكنها المسلمون بعد فتحها سنة (٣٥٤ هـ / ٩٦٥م) . ينظر . المصدر نفسه ، ٣ / ٦٨.

(٧) الجوذري ، سيرة الاستاذ جوذر ، ص ١٣١ ــ ١٣٣ ؛ الدوري ، صقليه علاقاتها بدول البحر المتوسط ، ص ١١١ ؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص ٧٥.

(٨) هو ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ، استخلفه المعز لدين الله على افريقية والمغرب عندما توجه إلى مصر ، وانزله مدينة القيروان وسماه يوسف وكناه ابو الفتوح . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن ←

، وقال له : ((تأهب لخلافة المغرب)) [١]. ويبدو أَنَّ عقوبة العزل التي اقدم عليها المعز لدين الله جاءت بعدما وجد فيه طموح ورغبة التفرد والاستبداد بالسلطة من دونه.

كما قام المحتسب سليمان بن عزَّة بعزل مجموعة من الصيارفة في سنة (٣٦٢ هـ / ٩٧٢م) ، فأثارت طائفة منهم الشغب ، وقالوا : ((معاوية خال علي بن ابي طالب)) ، فأراد جوهر الصقلي حرق رحبة الصيارفة ، إلا أَنَّهُ خاف على الجامع [٢].

ومن حوادث العزل الإداري التي قام بها المعز لدين الله سنة (٣٦٤هـ / ٩٧٤م)، هو عزله للقائد جوهر الصقلي من مهام دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في كافة أمورها[٣]، ويبدو أَنَّ المعز لدين الله قد سلك مع جوهر الصقلي ما قام به غيره من الخلفاء قبله مع كبار قادتهم من مؤسسي الدول وذوي الشخصيات البارزة ؛ لأنهم كانوا يخشون منهم على نفوذهم الذي ربما ان ينتقل إلى هؤلاء ومثالا على صحة هذا القول ما قام به أبو جعفر المنصور(١٣٦ – ١٥٨ هـ / ٧٥٤ – ٧٧٥م) من قتل أبي مسلم الخراساني ، والذي قامت على أكتافه الدولة العباسية ، وكذلك فتك عبد الله المهدي بأبي عبد الله الشيعي[٤] بعد انتشار الدعوة الشيعية الإسماعيلية وتأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب على يده[٥].

وفي سنة (٣٧٨ هـ / ٩٨٨م) عزل بكجور عن ولاية دمشق ؛ بسبب أنه كان سيء السيرة مذموماً في الولاية ، وارتكب الاعمال الذميمة ، ولما وصلت افعاله إلى الوزير يعقوب بن كلس الذي كان يسيء الرأي فيه ، تحرك في عزله ، وذكره عند العزيز بالله بالقبح ، فأجابه إلى ذلك وعين بدله منير الخادم من السنةِ نفسِها[٦].

وفي عهد الحاكم بأمر الله عزل عن منصب الوزارة ابن عبدون النصراني في سنة (٤٠١هـ / ١٠١٠م) ، وإِنَّ السبب في عزله كان الحسين بن جوهر الذي هرب من وجه الحاكم بأمر الله والتجأ إلى بني قرة في البحيرة ، فأرسل إليهِ الكتب يؤمنه ويطلبه للحضور ، فرفض الحسين بن جوهر

→
خلكان ، وفيات الاعيان ، ١ / ٢٨٦ ؛ ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٦٣.
(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٩٩.
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٣٢.
(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١ / ٣٧٦ ؛ مقديش ، محمود ، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار، تحقيق : علي الزواري – و محمد محفوظ ، (دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨م) ، ١ / ٣٥٧.
(٤) هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي ، القائم بدعوة عبد الله المهدي جَدّ ملوك مصر ، اصله كان من اليمن من صنعاء ، ويُعد من الرجال الذين تميزوا بالدّهاة ، دخل إلى افريقية واستطاع ان يملكها ، قُتل مع اخيه الاكبر ابو العباس احمد ، بعد ان استشعر منهما المهدي فدسَّ عليهما من قتلهما في ساعة واحدة في مدينة رقادة منتصف شهر (جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ / ٩١١م). ينظر. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢ / ١٩٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢/ ٢٠٣ – ٢٠٤ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٢ / ٢٣٠.
(٥) حسن ، تاريخ جوهر الصقلي ، ص ١٠٤.
(٦) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ / ٤٣٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ١٦٣.

الدخول وابن عبدون وزير ، وقال : ((انا أحسنت اليهِ أيام نظري فسعى فيَّ إلى أمير المؤمنين ونال مني كل مَنَال ، لا أعود أبداً وهو وزير)) ولأجل ذلك عُزل من المنصب(١).

وفي السنةِ نفسِها ولى الحاكم بأمر الله لؤلؤ بن عبد الله الشيرازي مدينة دمشق ، ولقبه بمنتخب الدولة ، والذي جاء اليها من مدينة الرقة (٢) في شهر جمادى الآخره ، إلا أَنَّهُ قررعزله عنها في يوم عيد الأضحى ، وولى بدله أبا المُطاع ذا القرنين بن حمدان(٣) ، وبعدها حمل لؤلؤ إلى مدينة بعلبك (٤) ، والتي قتل فيها بأمر من الحاكم بأمر الله(٥).

كما عزل الحاكم بأمر الله في سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) من أمرة دمشق شاتكين(٦)، وعرف عنه انه كان ظالماً غاشماً ، وهو الذي قام ببناء الجسر الحديدي تحت قلعة دمشق ، وقال يوم فراغ الجسر : ((لايعبر غداً أحد عليه)) ، وقد عزم أن يكون هو أول العابرين عليه ؛ ولكن في اليوم الآتي أقبل فارس وعَبر عليه قبله ، فأنكره وقال : ((من اين ؟ قال : من مصر)) فسلمه كتاباً من قبل الحاكم بأمر الله بعزله(٧).

وعندما شكك الظاهر لإعزاز دين الله في كفاءة وأمانة المحتسب دواس بن يعقوب ، قرر عزله من وظيفته في الرابع من (شهر رجب سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م) ، ليحل محله بقى الخادم الاسود غلام بدر الدولة نافذ ، فضلاً عن توليته الشرطتين (القاهرة والفسطاط)(٨).

وفي عهد المستنصر بالله حصلت أيضاً عقوبة العزل ، فبعد القبض على الوزيرأبي محمد الحسن اليازوري تولى الوزارة بعده صاحبه ابو الفرج البابلي (٤٥٠ ــ ٤٥٥ هـ / ١٠٥٨ ــ ١٠٦٣م) (٩)، وكان خصيصاً به ، وبعد توليته اخذ يسعى كل السعي في قتله ، ويقال أَنَّهُ جهز اليه

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٨٤ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٤٧.

(٢) الرقة : هي مدينة مشهورة على نهر الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة ايام ، معدودة في بلاد الجزيرة لكونها من جانب الفرات الشرقي . ينظر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٥٥.

(٣) هو ابا المطاع ذو القرنين ابن ابي المظفر بن ناصر الدولة ابي محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان التغلبي ، قلده الظاهر لإعزاز دين الله ولاية الاسكندرية واعمالها في شهر (رجب سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م) ،فأقام بها مُدَّة سنة ، ومن ثم عاد إلى مدينة دمشق ، توفي في سنة (٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) . ينظر . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ٢٧٩ ، ٢٨١ ؛ كاشف الغطاء ، محمد حسين ، أصل الشيعة وأصولها ، تحقيق : علاء ال جعفر ، (ستارة ، قم ، ١٩٩٤م) ، ص ٣٤٦.

(٤) بعلبك : هي مدينه بينها وبين مدينة دمشق ثلاثة ايام ، ويوجد بها أبنية عجيبة وآثار عظيمة ، كما تحتوي قصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا . ينظر . ابن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ١ / ٢٠٨.

(٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٢٨٨.

(٦) ذكره ابن عساكر بأسم (ساتكين سهم الدولة). للمزيد من التفصيل ينظر . تاريخ مدينة دمشق ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، ٢٠ / ١٨- ١٩. كما يذكره زامبور بأسم (شهم ، او شمس الدولة شاهتكين) . ينظر . معجم الأسرات الحاكمة ، ص ٤٥.

(٧) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٢٤٢.

(٨) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ٢٤٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٥٠ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ٤٤.

(٩) هو ابو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ، الوزير الأجل الأسعد المكين الحفيظ الأمجد شرف الملة كفيل الدين ←

من قتله من دون أمر المستنصر بالله ، وعندما أطلع على ذلك الأمر عظم عليه ، فقرر عزله من الوزارة ، واستوزر ابا الفرج محمد المغربي ، ثم صرفه في شهر (رمضان سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م) ، وأعاد أبا الفرج البابلي[١].

وحصلت عقوبة العزل في سنة (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) ، فقد عزل وصودر عن القضاء الحسين بن علي بن احمد المكرمي [٢]، وكان سبب عزله هو قيامه بأخذ عِصَابة [٣] من القصر أيام الغلاء والشدة التي حدثت في عهد المستنصر بالله ، وكانت تعود إلى إحدى نساء الطبقة الحاكمة او الغنية ، وكانت من الذهب واحتوت على الجوهر النفيس ، وبعد توليه منصب القضاء ظهرت عليه[٤].

ومن حوادث العزل التي حصلت في عهد الآمر بأحام الله ففي سنة (٥١٦ هـ / ١١٢٢م) قام وزيره المأمون البطائحي بعزل قاضي القضاة ابو الفتح مُسَلَّم الرسَّعَني [٥] ؛ وذلك لأنه كان يُخطئ في قراءة سورة الفاتحة وكذلك القرآن الكريم[٦].

وفي أواخر عهد العاضد لدين الله وبالتحديد سنة (٥٦٦ هـ / ١١٧٠م) ، أقدم وزيره صلاح الدين الأيوبي على عزل جميع قضاة الشيعة ، وأحل محلهم قضاة من السنة الشافعية ، والذين كانَ يدين بمذهبهم [٧]. ويبدو أَنَّ هذه العقوبة اتخذت بُعداً طائفياً ؛ لأن صلاح الدين قد صمم على تجريد

→
خليل أمير المؤمنين ، تولى الوزارة في عهد المستنصر بالله ثلاث مرات ، كانت الاولى في سنة (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) ، وكان يكتب للوزير الحسن بن صالح الروزباري ، وعلي بن احمد الجرجرائي ، وفي وزارة ابو محمد الحسن اليازوري علا شأنه فأستخدمه في التوقيع وأعاد اليه ديوان مدينة تنيس ، ودمياط ، وديوان الخاص وغيره من الدواوين . للمزيد من التفصيل . ابن الصريفي ، الاشارة ، ص ٨٢ ــ ٨٣ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٥٨.

(١) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٤٢.

(٢) هو الحسين بن علي بن احمد المكرمي ، تولى منصب القضاة عند صرف محمد بن عبد الحاكم ، في سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ، فبلغت مُدَّته شهراً واحداً وثلاثة ايام . ينظر . ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ١٣٩.

(٣) عِصَابة : هي عبارة عن طرحه من الحرير مربعة الشكل ذات لون اسود ، ولها حافة حمراء وصفراء ، يلف بها الرأس لفتين ، وتتدلى عقدة وحيدة منه إلى الخلف . ينظر . لاين ، ادوارد وليم ، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم مصر ما بين (١٨٣٣ ــ ١٨٣٥ م) ، ترجمة : سهير دسوم ، (ط٢ ، مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٩م) ، ص ٦٠ ؛ دوزي ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : د. اكرم فاضل ، (الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠١٢م) ، ص ٢٦٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ١٣٩ ؛ احمد ، نريمان عبد الكريم ، المرأة في مصر في العصر الفاطمي ، (مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م) ، ص ١٤٨ . ويذكر المقريزي هذه الحادثة في سنة (٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م) ، ويذكر ايضاً اسم القاضي بأسم (الحسن بن علي بن احمد الكرخي) وهو يختلف عن ما أورده ابن حجر العسقلاني . للمزيد من التفصيل ينظر . اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٢٥.

(٥) هومُسَلَّم بن علي بن عبد الله ابو الفتح الرسَّعَني ، ويلقب بثقة الملك الاسماعيلي ، تولى منصب القضاء في سنة (٥١٣هـ / ١١١٩م) . للمزيد من التفصيل ينظر . ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٤٣٥.

ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ٢٣٣ ؛ حسن ، الفاطميون في مصر ، ص ٢٣١ ؛ الصلابي ، علي محمد ، الدولة الفاطمية ، (مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م) ، ص ١٣٩.

(٦) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٨٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ٩٣ ؛ الوخيان ، عيسى محمد سليمان ، القضاء في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٥٦٧هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧٢م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة مؤتة ، عمادة الدراسات العليا ، الاردن ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٠١.

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ / ١ : ٢٣٣ ؛ حسن ، الفاطميون في مصر ، ص ٢٣١ ؛ الصلابي ، علي محمد ، ←

الشيعة من كافة الوظائف الحكومية.

ثانياً : الغرامــــــة[1].

يمثل النظام المالي أهمية كبرى في الدولة الفاطمية ، بعدما أخذت المؤسسة الإدارية بإدارة مداخيل الدولة ، ومصاريفها العامة عن طريق قبض الأموال المستحقة على الأفراد ، بصورة ضرائب متنوعة وإيداعها بيت المال ، وتسند مسؤولية ذلك إلى موظف يتم اختياره من قبل الخليفة شخصياً ، ممن يعتقد بمذهبه وأمانته الشخصية ، وكان أبو جعفر بن حسين بن المهذب صاحب بيت المال في المغرب ، وقد أبقاه المعز لدين الله في منصبه حتى بعد انتقاله إلى مدينة القاهرة[2].

وطبقت عقوبة الغرامة أول مرة في العصر الفاطمي في عهد المعز لدين الله ، فعندما تم القضاء على ثورة أهل مدينة تنيس في سنة (٣٦٢ هـ / ٩٧٣م) ، أحضر جوهر الصقلي جماعة من اهلها، وغرمهم بمبلغ مائتي الف دينار ، ومن ثم أستقر حالهم على مبلغ الف الف درهم ، كديةً للمغاربة الذين قُتلوا عندهم[3].

كما كان الحاكم بأمر الله يستعمل عقوبة الغرامة بحق المخالفين للقرارات التي كان يصدرها ، ففي سنة (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) ، أصدر أمراً بمنع أكل أو بيع بعض المأكولات ، والتي يترتب على تناولها أخطار صحية وأمراض ، مثل الملوخية ، والجرجير ، والمتوكلية [4] وغيرها ، وقتل الخنازير ومنع عجن الخبز بالإقدام ، فمن يخالف تلك الأوامر يعاقب بالغرامة[5].

وعندما جاء بدر الجمالي إلى مدينة الإسكندرية في سنة (٤٧٧ هـ / ١٠٨٤م) لغرض محاصرة ابنه الأوحد الذي أعلن العصيان عليه ، وبعد القضاء على تمرد ولده وأخذه أسيراً ، قام بتجديد بناء جامع العطارين من ((أموال أخذها من أهل البلد)) كغرامة[6].

→
الدولة الفاطمية ، (مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م) ، ص ١٣٩.

(١) الغرامة : لغةً : تعني ما يلزم أداؤه ، أو أن يلتزم الانسان ما عليه . ينظر . ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢ / ٤٣٦ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ١٧ / ٥١٧ ؛ عبد المنعم ، معجم المصطلحات ، ٣ / ٨. وأما اصطلاحا : فعرفها الفقهاء بأنها ما يعطى من المال على كره مع تحمل أو حصول الضرر والمشقة ، كما تدخل الغرامة غالباً ضمن الضرائب ، كالغرامات التي تفرض على المخالفات القانونية ، أو كتعويضات تفرض عن القبيلة لتعويض ما ضاع ، أو رهن من دواب المخزن . ينظر . المرجع والجزء والصفحة نفسها .

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ٩٦ ؛ مال الله ، المعز لدين الله ، ص ٨٠.

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١ / ١٤٣ ؛ خلف ، ثورات المصريين ، ص ٧٨.

(٤) المتوكلية : هو نبات يستعمل في صنع الحساء ، وقد عرف بهذا الاسم نسبةً إلى المتوكل على الله العباسي (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١ م) ، حيث اطلق عليه اسمه تثميناً لما قام به من جهود وبذل أموال لبلوغ المجتمع هذا المستوى الرفيع في فن الطبيخ . ينظر . ابن ظافر ، اخبار الدول المنقطعة ، ١ / ١٩٤ ؛ الحدراوي ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٦٢ : هـ (٥).

(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ٥٣ ؛ الصاوي ، مجاعات مصر ، ص ٣٥ ؛ ماجد الحاكم بأمر الله ، ص٩١.

(٦) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ١٥٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢ / ١٤٢ . وقد قام بدر الجمالي بجمع مبلغ
←

وفي سنة (٤٨٦ هـ / ١٠٩٣م) تمكن الجيش الفاطمي من فتح مدينة صور، كما حمل صاحبها [١] إلى مصر برفقة أصحابه ، فقرر بدر الجمالي ضرب رقابهم جميعاً [٢]، وفرض على أهل المدينة مبلغ ألف دينار غرامة كعقوبة لهم في الرابع عشر من شهر (جمادى الآخرة من السنةِ نفسِها)[٣].

كما طبقت العقوبة في عهد الحافظ لدين الله ، ففي سنة (٥٣٤ هـ / ١١٣٩م) أسندت إلى قاضي القضاة هبة الله الأنصاري[٤] مهمة التدريس في دار العلم بمدينة القاهرة ، والتي كان فيها يُدرِّس ابو الحسن علي بن إسماعيل ، فحدثت بينهما مناقشات ومناكفات أدت بالنهاية إلى الخصام الشنيع ، فذهب القاضي إلى القصر ماشياً ، وهو ممزق الثياب ومن دون عمامة [٥]، فعظم ذلك على الحافظ لدين الله خروج القاضي وسيره في الأسواق بتلك الصورة المزرية الشنيعة ، فقرر بمعاقبته بالغرامة بمبلغ مائتي دينار ، فضلاً عن صرفه وإلزامه منزله ، وعدم الخروج منه[٦].

←

من اهالي مدينة الاسكندرية قدره مائة وعشرون الف دينار على سبيل الغرامة ، خصصها للإنفاق على جامع العطارين . ينظر . سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، (مؤسسة شباب الجامعة الاسلامية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٨٢م) ، ص ٢٢٠ ؛ دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ : هــ (٤).

(١) هو الأمير منير الدولة الجيوشي ، والذي خرج على طاعة الفاطميين . ينظر. ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٤.

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٣٥ ؛ المناوي ، الوزارة ، ص ٢٠٣.

(٣) ابن ميسر ، المنتقى ، ص ٥١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٨٩ ؛ دخيل ، الدولة الفاطمية الدور السياسي ، ص ٦٤.

(٤) هو هبة الله بن عبد الله بن حسين بن محمد الانصاري الاوسي المعروف بـ (ابن الازرق) كما يكنى بـــ (أبا الفضائل اسماعيل) ، عينه الحافظ لدين الله كقاضي القضاة في الحادي عشر من شهر (ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦م) . ينظر . ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٣١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ص ٤٥٨ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ١٥٢.

(٥) النويري ، نهاية الارب ، ٢٨ / ٢٠٢ ــ ٢٠٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣ / ١٧٣.

(٦) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ١ / ٢٤٨ ؛ ابن ميسر ، المنتقى ، ص ١٣٢ ؛ دسوقي ، حكاية الأجور والأسعار ، ص ٢٠٩.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة موضوع الرسالة التي بينّا فيها الجرائم والعقوبات التي حصلت في العصر الفاطمي للمُدَّة من (٣٥٨ – ٥٦٧هـ / ٩٦٩ – ١١٧١م) ، لابد أَنَّ ندون أهم النتائج التي توصل اليها الباحث وعلى النحو الآتي :

١. مثلت الدوافع السياسية والادارية دوراً بارزاً ومهماً في إرتكاب العديد من الجرائم في العصر الفاطمي سواء كان مرتكبوها من الخلفاء أو الوزراء أو القادة العسكريين أو الموظفين الكبار في الجهاز الحكومي للدولة من أجل التشبث بالسلطة والحكم وتصفية كل من ينافسهم في ذلك الأمر للاحتفاظ بالمناصب والنفوذ والتحكم بها من دون غيرهم.
٢. الضعف والتدهور والانحلال الذي عمَّ الدولة الفاطمية خصوصاً في عصرها الثاني من جراء تسلط الوزراء وسطوتهم ، وهيمنتهم على دفة الحكم وتحكمهم في شؤون الدولة من دون الخليفة ، فضلاً عن ذلك الصراع الذي حصل بين طوائف الجند الفاطمي ، وتقريب بعض الطوائف على حساب الأخرى ، وكان لأمهات بعض الخلفاء الأثر البارز في إشعال ذلك الصراع فكل ذلك أسهم إسهاماً كبيراً في حدوث عدد من الجرائم في ذلك الوقت.
٣. كشفت الدراسة عن أَنَّ الفساد الاداري والمالي المستشري بكافة صنوفه في العصر الفاطمي والذي تميز به بعض كبار رجالات الدولة الفاطمية مثل : (الوزراء ، والقضاة ، والموظفون الإداريون) في سبيل الحصول على الأموال والثروة والاحتفاظ بالمراكز الحساسة في الدولة عن طريق إتِّباع الأساليب غير الشرعيَّة ، ناهيك عن إسناد بعض الوظائف المهمة في الدولة إلى أشخاص غير مسلمين فزاد هذا الاجراء من المحاباة والمحسوبية لدى أهل الذمة من خلال تقسيم الوظائف ما بينهم مقابل تعسف وجور ضد المسلمين وهذا بدوره أدى إلى انتشار الجرائم المتعلقة بالفساد الاداري والمالي.
٤. الأساليب القسرية والقرارات المتشددة التي اتخذها بعض الخلفاء الفاطميين في مجال التضييق على الحريات العامة والتعاملات اليومية كالبيع والشراء ومراقبة الأسواق والحد من مزاولة بعض المهن وبيع بعض المأكولات ، فضلاً عن ذلك الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهل الباعة فأدت إلى أرتفاع أسعار السلع والبضائع الأمر الذي أدى إلى أنتشار عدد من الجرائم وخصوصاً تلك المتعلقة بالأسواق كالغش والاحتكار وغيرها.
٥. الأزمات الاقتصادية المتكررة والمجاعات الشديدة التي ضربت الدولة الفاطمية بفعل عوامل طبيعية أو سياسية أو غيرها ، ولاسيما في العصر الفاطمي الثاني والتي كان لها الدور الأساس في تفشي العديد من الجرائم في المجتمع مثل جرائم : (القتل ، والسلب ، والنهب ، وقطع الطريق).

٦. كشفت الدراسة عن أنَّ الدولة الفاطمية كانت تحيي كثيراً من المناسبات والأعياد لكافة طبقات الشعب ، وقد كانت الأمور في بعض هذه الأعياد والمناسبات تخرج عن نطاق السيطرة من خلال شيوع بعض الجرائم مثل : (السلب ، والفسق ، والفجور ، وأرتكاب المحرمات ، والمنكرات) والخ ، فضلاً عن ذلك : (الترف ، والثراء ، والثروة الطائلة) التي عرف بها الخلفاء والوزراء وحاشيتهم وكبار موظفي الدولة ، والذي كان له دور في ارتكاب العديد من الجرائم في المجتمع آنذاك.

٧. أوضحت الدراسة تنوع الجرائم التي حصلت في العصر الفاطمي مثل : (التمردات ، والانشقاقات ، والمؤامرات ، والخروج على طاعة الدولة) والخ من الجرائم التي تُعد خطراً حقيقياً يمس أمن الدولة واستقرارها ويُسهم في اضطراب الأوضاع وعدم إستقرارها من النواحي : (السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية) كما تشكل أيضاً عاملاً مهماً في انتشار الفوضى وفقدان السيطرة على أمور البلاد.

٨. كشفت الدراسة عن أنَّ الجرائم التي حصلت في العصر الفاطمي لم تقتصر على الجرائم المادية فقط بل شملت أيضاً الجرائم المعنوية مثل : (السب ، والشتم) والخ التي تزيد من إذلال الشخص وأهانته ، وربما كان للعاملين الديني والمذهبي دور كبير في تأجيجها في ذلك الوقت.

٩. تبنت الدولة الفاطمية عقوبات كثيرة ومتنوعة منها المادية أو المعنوية في سبيل الحد من ارتكاب الجرائم وردع أصحابها بما يسهم في تحقيق الأمن والأمان والاستقرار الداخلي للبلاد ، وكانت العقوبات المادية هي أكثر تداولاً من قبل الدولة.

١٠. تباينت العقوبات من خليفة إلى آخر في القسوة والشدة ، وهذا عائدٌ إلى طبيعة المرحلة وحساسيتها بالنسبة للمُدَّة الزمنية التي حكم بها الخليفة ، فضلاً عن نوعية المجتمع السائد واختلاف طبقاته وتوجهاته : (الدينية ، والسياسية ، والمذهبية) ، وينطبق الحال أيضاً على الوزراء والأمراء والموظفين الكبار في الجهاز الحكومي الذين يقومون بتنفيذ تلك العقوبات.

١١. كشفت الدراسة عن أنَّ الدولة الفاطمية لم تتوانَ عن معاقبة المعارضين لسلطتها والمتآمرين والخارجين عن طاعتها والعابثين بأمنها ، فضلاً عن المخالفين والمتمردين على قراراتها وأوامرها ، وعلى المتلاعبين بقوت العامة من الباعة والتجار من خلال رفع أسعار البضائع واحتكارها وعمليات الغش والتدليس التي يرتكبونها ، كما كانت تعاقب كبار الموظفين في مؤسساتها الإدارية والحكومية من أمثال : (الوزراء ، والقضاة)، وغيرهم عندما يثبت عليهم سوء وتقصير وخيانة في أداء مهامهم وواجباتهم.

١٢. لجأت الدولة الفاطمية إلى استعمال عقوبات صارمة في بعض حقب حكمها بحق الفاسدين والمفسدين الذين يروجون وينشرون الفساد والرذيلة والفسق والفجور في أوساط المجتمع آنذاك ،

من أجل صيانة الآداب والأخلاق العامة والتمسك بالقيم والمبادئ النبيلة والمحافظة على تماسك المجتمع.

١٣. كشفت الدراسة ان الدولة الفاطمية لم يكن لديها قانون خاص بالعقوبات تسير عليه على مستوى أكابر القوم ، وإنَّما العقوبات التي كانت تصدرها كانت خاضعة غالباً لهوى ومزاج وإجتهاد الحاكم ومن يخضع لأوامره ويأتمر بأمره.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : **المصادر الأولية المطبوعة.**

ثانياً : **المراجع الثانوية.**

ثالثاً : **الدوريات والابحاث.**

رابعاً : **الرسائل والأطاريح الجامعية.**

خامساً : **الانترنت.**

أولاً : المصادر الأولية المطبوعة.

- خير ما نبتدأ بة القرآن الكريم.
- ابن الأبَّار : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٤٤٨م).
١- إعتابُ الكُتاب ، حققه وعلق عليه وقدم له : د. صالح الاشتر ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٦١م.
٢- الحُلَّة السِّيراء ، حققه وعلق حواشيه : د. حسين مؤنس ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م.
- ابن الأثير : عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
٣- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣م.
٤- الكامل في التاريخ ، الجزء السابع والثامن ، راجعه وصححه : د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م. الجزء التاسع والعاشر ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م.
٥- اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
- ابن الأثير : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).
٦- النهاية في غريب الحديث والاثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ــ و محمود محمد الطناحي ، ط٤ ، مؤسسة أسماعليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، د.ت.
- أبن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م).
٧- معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق : د. محمد محمود شعبان ــ و صديق أحمد عيسى المطيعي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦م.
- الإدريسي : أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس الحمودي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) .
٨ - نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩م.
- أبن الازرق : أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي الغرناطي(ت ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م) .
٩- بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : د. علي سامي النشار ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.
- أسامة بن منقذ : مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م).

١٠ ـ الاعتبار ، حرره : فيليب حتي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت.

ـ أبن أبي أصيبعة : أ بو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي (ت ٦٨٨هـ / ١٢٦٩م).

١١ـ عيون الأنباء في طبقات الاطباء ، ط٤ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٧م.

ـ أبن اياس : محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م).

١٢ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة : محمد مصطفى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

ـ أبن أيبك الدواداري : أبو بكر بن عبد الله (ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م).

١٣ـ كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بـ (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق : د.صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١م.

ـ البكري : أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).

١٤ـ المسالك والممالك ، حققه ووضع فهارسه : د. جمال طلبه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

١٥ـ معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، حققه وضبطه وشرحه : مصطفى السقا ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م.

ـ البلاذري : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢ م).

١٦ـ فتوح البلدان ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٦م.

ـ البنداري : أبو أبراهيم قوام الدين الفتح بن علي بن محمد (ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م).

١٧ـ سنا البرق الشامي (٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م : ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، أختصره من كتاب البرق الشامي للعماد الاصفهاني الكاتب، تحقيق : د. فتحية النبراوي ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

ـ أبن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م).

١٨ـ مورد اللطافة في من ولّى السلطنة والخلافة ، تحقيق ودراسة وتعليق : د. نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

١٩ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م.

ـ الثعالبي : أبي منصور عبد الملك بن محمد بن أسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م).

٢٠- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م.

- أبن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م).

٢١- رحلة أبن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤م.

الجزيري : زين الدين عبد القادر بن محمد الانصاري الحنبلي (ت نحو سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م).

٢٢- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن أسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م.

- الجهشياري : أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م).

٢٣- الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ــ و أبراهيم الابياري ــ و عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٨م.

- الجوذري : أبي علي منصور الكاتب العزيزي (ت بعد سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م).

٢٤- سيرة الاستاذ جوذر وبه توقيعات الائمة الفاطميين ، تحقيق : د. محمد كامل حسين - و د. محمد عبد الهادي شعيره ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٤م.

- أبن الجوزي : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).

٢٥- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ــ و مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- الجوهري : أبو نصرأسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م).

٢٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق ، أحمد عبد الغفور عطا ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م.

- حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م).

٢٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤١م.

أبن حجة الحموي : تقي الدين أبي بكر علي (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م).

٢٨- خزانة الادب وغاية الارب ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.

- أبن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).

٢٩- الاصابة في تميز الصحابة ، دراسة وتحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ــ و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥م.

٣٠- رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق : د. علي محمد عمر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

- الحربي : أبي أسحاق أبراهيم بن أسحاق (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨ م).

٣١- غريب الحديث ، تحقيق ودراسة : د. سليمان بن أبراهيم بن محمد العاير ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٥م.

- أبن حماد : أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي القلعي (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م).

٣٢- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة : د. التهامي نقرة ـ و د. عبد الحليم عويس ، دار العدالة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت.

- الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم السبتي (كان حياً سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦١م).

٣٣- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : د. أحسان عباس ، ط٢ ، مطابع هيد لبرغ ، بيروت ، ١٩٨٤م.

- أبن حوقل : أبي القاسم علي بن محمد النصيبي الموصلي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).

٣٤- صورة الارض ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- أبن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد القرطبي (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م).

٣٥- المقتبس في أخبار بلد الاندلس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، مطبعة سميا ، بيروت ، ١٩٦٥م.

- الخطيب البغدادي : أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

٣٦- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م.

- أبن خلدون : ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

٣٧- تاريخ أبن خلدون . المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٠م.

٣٨- المقدمة ، تحقيق : د. علي عبد الواحد الوافي ، ط٧ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٤م.

- أبن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

٣٩- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق ، د.أحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

- الخوارزمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م).

٤٠- مفاتيح العلوم ، حققه وقدم له ووضعه فهارسه : أبراهيم الابياري ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٩م.

- أبن دقماق : صارم الدين أبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ /١٤٠٦م).
٤١- الانتصار لواسطة عقد الامصار ، نشر : فولزر ، المطبعة الكبرى ببولاق ، القاهرة ، ١٨٩٣م.
- الدلجي : أحمد بن علي (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م).
٤٢- الفلاكة والمفلوكون ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٠٤م.
- الدُميري : كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).
٤٣- حياة الحيوان الكبرى ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م.
- أبن أبي دينار : أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م).
٤٤- المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، تحقيق : محمد شمام ، ط٣ ، مطبعة ٢٠مارس ، تونس ، ١٩٦٧م.
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
٤٥- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، الجزء السادس والعشرون ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٩م. الجزء السابع والعشرون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م. الجزء الثلاثون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م. الجزء السادس والثلاثون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٥م. الجزء الحادي والاربعون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م.
٤٦- سير أعلام النبلاء ، الجزء العاشر اشرف على تحقيقه وخرج احاديثة : شعيب الارنؤوط ، تحقيق : محمد نعيم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٢م . الجزء الخامس عشر اشرف على تحقيقه وخرج احاديثه : شعيب الارنؤوط ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦م. الجزء السادس عشر اشرف على تحقيقه وخرج احاديثة : شعيب الارنؤوط ، تحقيق : اكرم البوشي ، ط١١ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م . الجزء السابع عشر حققه وخرج احاديثه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط ــ و د. محمد نعيم العرقوسي ، ط١١ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م . الجزء الثامن عشر والجزء العشرون حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط ــ و د. محمد نعيم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤م. الجزء الحادي والعشرون بتحقيق : د. بشار عواد معروف ــ و د. محي هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤م.
٤٧- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م).

٤٨- مختار الصحاح ، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م.
- الرشيد بن الزبير : رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن علي بن أبراهيم الاسواني (ت ٥٦٣هـ / ١١٦٧م).
٤٩- الذخائر والتحف ، تحقيق : د. محمد حميد الله ، قدم له وراجعه : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٥٩م.
- أبن الزيات : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الانصاري (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م).
٥٠- الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى ، نشره : أحمد تيمور باشا ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٠٧م.
- ساويرس ابن المقفع: (أسقف الاشمونين) (ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧م) .
٥١- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بـ (سير البيعة المقدسة)، المجلد الثاني الجزء الثاني ، قام على نشره : يسى عبد المسيح ــ وعزيز سوريال عطية ــ وأسولد برمستر ، مطبعة المعهد العلمي للأثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٤٨م. المجلد الثاني الجزء الثالث ، قام على نشره : يسى عبد المسيح ــ وعزيز سوريال عطية ــ وأسولد برمستر ، مطبعة المعهد العلمي للأثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٩م. المجلد الثالث الجزء الاول ، قام على نشره : د. أنطون خاطر ــ و د. ازولد بورمستر ، مطبعة المعهد العلمي للأثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
- سبط أبن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاؤغلي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م).
٥٢- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، تحقيق : جنان الهموندي ، الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠م.
- السجلات المستنصرية :
٥٣- سجلات وتوقيعات وكتب مولانا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين ، تحقيق : عبد المنعم ماجد ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٤م.
- أبن أبي السرور : أبي الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الروحي (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م).
٥٤- بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تقديم وتحقيق وتعليق : د. محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ، القاهرة ، د.ت.
- أبن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى الاندلسي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).
٥٥- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة . القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : د. حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
- أبن سيدة : أبو الحسن علي بن أسماعيل الاندلسي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).

٥٦- المخصص ، تحقيق : لجنة إحياء التراث الاسلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد الشافعي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

٥٧- تاريخ الخلفاء ، دار أبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

٥٨- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، الجزء الاول ، تحقيق : محمد أبو الفضل أبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧م. الجزء الثاني ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

٥٩- الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، تحقيق : د. أسعد عبد الوهاب طلس ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٠م.

- أبي شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن أسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧م).

٦٠- عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : أحمد البيسومي ، مطابع وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩١م.

- الشبابشتي : أبي الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م).

٦١- الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط ٢ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦م.

- أبو شجاع الروذراوري : ظهير الدين أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).

٦٢- تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق : أمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٦م.

- شيخ الربوة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م).

٦٣ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، نشر : أ . مهرن ، لامط ، لايبزك ، ١٩٢٣م.

- الشيزري : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٤م).

٦٤- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن أسماعيل ــ و أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

- الصاحب بن عبَّاد : كافي الكفاة الصاحب أسماعيل (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م).

٦٥- المحيط في اللغة ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتاب ، بيروت ، ١٩٩٤م.

- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).

٦٦- أمراء دمشق في الاسلام ، ط٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٦٧- تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، حققه : أحسان بنت سعيد خلوص ـ و زهير حميدان الصمصام ، مطابع وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩١م.

٦٨- الوافي بالوفيات : تحقيق واعتناء : أحمد الارناؤوط ـ و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠م.

- أبن الصيرفي : أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م).

٦٩- الاشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: د.أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م.

- أبن الطوير : أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م).

٧٠- نزهة المقلتين في اخبار الدولتين ، أعاد بناءه وحققه وقدم له : د. أيمن فؤاد سيد ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- أبن ظافر : جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر بن حسين الازدي (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م).

٧١- أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق : د. عصام مصطفى هزايمة ـ ود. محمد عبد الكريم محافظة ـ و محمد علي يوسف طعاني ـ و علي ابراهيم مصطفى عبابنة ، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ، أربد ، ١٩٩٩م.

- أبن ظهيرة : أبو أسحاق برهان الدين أبراهيم بن علي بن محمد (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م).

٧٢- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق : مصطفى السقا - و كامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

- أبن العبري ، أبي الفرج جمال الدين غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).

٧٣- تاريخ الزمان ، نقله إلى العربية : أسحاق أرملة ، قدم له : د. جان موريس فييه ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩١م.

٧٤- تاريخ مختصر الدول ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م.

- أبن عبد الحق البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م).

٧٥- أسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- ابن عبد الظاهر : محي الدين أبو الفضل عبد الله المصري (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م).

٧٦- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق : د. أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

- أبن العديم ، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م).

٧٧- زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،١٩٩٧م.
أبن عذارى ، أبو عبد الله محمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م).
٧٨- البيان المغرب في أخبار المغرب ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨م.
- أبن عساكر : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م).
٧٩- تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥م. الجزء العاشر والحادي عشر والعشرون . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م. الجزء الحادي والاربعون . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٧م. الجزء التاسع والاربعون . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٨م. الجزء السابع والستون.
- العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م).
٨٠- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ــ و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م.
- العماد الاصفهاني الكاتب : أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد صفي الدين (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).
٨١- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تحقيق : د.عمرعبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
٨٢- تاريخ دولة آل سلجوق ، أختصار : الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٩٠٠م.
٨٣- خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر الجزء الاول ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٥م. قسم شعراء مصر الجزء الثاني ، نشر : أحمد أمين ـ وشوقي ضيف ــ و أحسان عباس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١م.
- أبن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).
٨٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت.
- عماد الدين القرشي : أدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله الآنف (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م).
٨٥- عيون الاخبار وفنون الاثار أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق : د. مصطفى غالب ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.
- عمارة اليمني : نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن الحكمي اليمني (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م).

٨٦- تاريخ اليمن ، حقق نصه وضبط أعلامه وعلق عليه وقدم له : د. حسن سليمان محمود ، دار الثناء للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

٨٧- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، أعتنى بتصحيحة : هرتويغ درنُبرغ ، مطبعة مرسو ، شالون ، ١٨٩٧م.

- العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

٨٨- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق : عبد الله بن يحيى السريحي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ٢٠٠٣م.

- الغزولي : علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م).

٨٩- مطالع البدور في منازل السرور ، مطبعة أدارة الوطن ، القاهرة ، ١٨٨٢م.

- أبن فارس : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م).

٩٠- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ١٩٨٤م.

- الفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م).

٩١- العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تحقيق : فؤاد سيد ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦م.

- أبو الفدا : عماد الدين أسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).

٩٢- تقويم البلدان ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

٩٣- المختصر في أخبار البشر ، الجزء الثاني ، دار المعرفة للطباعة للنشر ، بيروت ، د.ت . الجزء الثالث ، تقديم : د. حسين مؤنس ، تحقيق : د. محمد زينهم عزب ــ ويحيى سيد حسين ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.

- الفراهيدي : الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م).

٩٤- العين مرتباً على حروف المعجم ، ترتيب وتحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

- ابن الفقيه الهمذاني : أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م).

٩٥- البلدان ، تحقيق : يوسف هادي ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٩م.

- ابن فهد : النجم عمر بن محمد المكي الهاشمي (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م).

٩٦- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق وتقديم : فهيم محمد شلتوت ، ط٣ ، مطابع جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٥م.

- الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م).

٩٧- القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، دار العلم للجميع ، بيروت ، د.ت.

- الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المغربي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م).

٩٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، الجزء الاول بتحقيق : د. عبد العظيم الشناوي ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م. الجزء الثاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لا.م ، د.ت.

- القاضي النعمان : أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م).

٩٩- دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام عن أهل بيت رسول الله (ص) ، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

١٠٠- المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات ، تحقيق : الحبيب الفقي – وأبراهيم شبوح– و محمد اليعلاوي ، دار المنتظر للنشر ، بيروت ، ١٩٩٦م.

- قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨ م).

١٠١- الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م.

- القرطبي : أبوعبد الله محمد بن أحمد الانصاري (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م).

١٠٢- الجامع لأحكام القران (تفسير القرطبي) ، تحقيق وتصحيح : أبو أسحاق أبراهيم أطفيش ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م.

- القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م).

١٠٣- أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ ، تحقيق : د. أحمد حطيط – و د. فهمي سعيد ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت.

- أبن القلانسي : أبي يعلى حمزة بن أسد بن علي التميمي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م).

١٠٤- تاريخ أبي يعلى حمزة القلانسي المعروف بـ (ذيل تاريخ دمشق) ، تحقيق : أمدروز ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م.

- القلقشندي : شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).

١٠٥- صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الاول ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م. الجزء الثاني ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٣م. الجزء الثالث والرابع ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٤م.. الجزء العاشر ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٦م. الجزء الثالث عشر ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٨م.

١٠٦- نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : أبراهيم الابياري ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩م.

- القيرواني : أبي أسحاق أبراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م).

١٠٧- زهر الآداب وثمر الالباب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، ١٩٧٢م.

- ابن كثير : عماد الدين أبي الفدا أسماعيل أبن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

١٠٨- البداية والنهاية ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

- الكرماني : أحمد حميد الدين بن عبد الله (كان حياً سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م).

١٠٩- الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ، تحقيق ، محمد عيسى الحريري ، دار القلم للنشر ، الكويت ، ١٩٨٧م.

- الكندي : أبي عمر محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م).

١١٠- الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتصحيح : رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م.

- أبن المأمون : جمال الدين أبو علي موسى أبن المأمون البطائحي (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م).

١١١- نصوص من أخبار مصر ، حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها : د. أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

- الماوردي : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).

١١٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : د. أحمد مبارك البغدادي ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٩م.

- المسبحي : أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن أحمد بن أسماعيل بن عبد العزيز الكاتب (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م).

١١٣- أخبار مصر في سنتين (٤١٤ ــ ٤١٥هـ) ، تحقيق : ولیم ج . ميلورد ، الهيأة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

- أبن المعمار : أبي عبد الله محمد بن أبي المكارم (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م).

١١٤- الفتوة ، تحقيق : د. مصطفى جواد – ود. محمد تقي الدين الهلالي ـ و د. عبد الحليم النجار – و د . أحمد ناجي القيسي ، قدم له : مصطفى جواد ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٨م.

- المقريزي : أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).

١١٥- الأوزان والأكيال الشرعية ، حققه وعلق عليه : سلطان بن هليل بن عيد المسمار ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ٢٠٠٧م.

١١٦ - إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، الجزء الاول بتحقيق : د. جمال الدين الشيال ، ط٢ ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٩٦م. الجزء الثاني والثالث بتحقيق : د. محمد حلمي محمد أحمد ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

١١٧- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دراسة وتحقيق : د. كرم حلمي فرحات ، مطبعة صحوة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

١١٨- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، تحقيق : د. عبد المجيد عابدين ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩م.

١١٩- تاريخ الأقباط المعروف بالقول الأبريزي للعلامة المقريزي ، دراسة وتحقيق : د. عبد المجيد ذياب ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د.ت.

١٢٠- السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة ، ط٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م.

١٢١- المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩١م.

١٢٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية) ، تحقيق : د. محمد زينهم ـ و مديحة الشرقاوي ، راجعه وضبط هوامشه : أحمد أحمد زيادة ، مطابع دار الامين ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

١٢٣- النقود القديمة والإسلامية ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ، ١٨٨٠م.

- المقري : أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).

١٢٤- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٤١م.

- أبن مماتي ، أبو المكارم الاسعد بن مهذب الخطير أبي سعيد بن مينا بن زكريا المصري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).

١٢٥- قوانين الدواوين ، جمعه وحققه : عزيز سوريال عطية ، مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١م.

- أبن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).

١٢٦- لسان العرب ، أدب الحوزة للنشر ، قم ١٩٨٥م.

- المؤيد في الدين : هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م).

١٢٧- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ــ ترجمة حياته بقلمه ــ ، تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

- أبن ميسر : تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م).

١٢٨- المنتقى من أخبار مصر ، حققه وكتب مقدمته وحاشيته ووضع فهارسه : د. أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، د.ت.

- ناصر خسرو ، أبو معين حميد الدين ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني المروزي (ت حوالي سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م).

١٢٩- سفرنامة . رحلة ناصر خسرو في لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري ، ترجمة : د. يحيى الخشاب ، ط٢ ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

- أبن نجيم : زين العابدين بن أبراهيم بن محمد المصري الحنفي (ت ٩٧٠هـ / ١٥٦٢م).

١٣٠- البحر الرائق ، حققه وضبطه وخرج آياته : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م.

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).

١٣١- نهاية الارب في فنون الادب ، الجزء الثامن والعشرون بتحقيق : د. نجيب مصطفى فواز ــ و د. حكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م. الجزء الثالث والعشرون والتاسع والعشرون والثاني والثلاثون ، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه ، القاهرة ، د.ت.

- أبن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م).

١٣٢- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : د. جمال الدين الشيال ــ وحسنين محمد ربيع ــ و سعيد عبد الفتاح عاشور ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

- أبن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

١٣٣- تاريخ أبن الوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م.

- الوطواط : جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبراهيم بن يحيى بن علي الانصاري الكتبي (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م).

١٣٤- من مباهج الفكر ومناهج العبر صفحات من جغرافية مصر ، تحقيق : د. عبد العال عبد المنعم الشامي ، المطبعة العصرية ، الكويت ، ١٩٨١م.

- أبن الوكيل : يوسف الملّواني (ت ١١٣١هـ / ١٧١٩م).

١٣٥- تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق : محمد الششتاوي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

- اليافعي : أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م).
١٣٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
١٣٧- معجم الأدباء ، ط٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٠م.
١٣٨ - معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م.
- يحيى بن سعيد : يحيى بن سعيد الانطاكي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).
١٣٩- تاريخ الأنطاكي « المعروف بصلة تاريخ أوتيخا »، حققه وضع فهارسه : د. عمر عبد السلام تدمري ، جروس جرس ، طرابلس ، ١٩٩٠م.
- اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن أسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م).
١٤٠- البلدان ، تحقيق : محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
- أبي يعلى : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).
١٤١- الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- أبي يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م).
١٤٢- الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م.

ثانياً : المراجع الثانوية.

- إبراهيم : أكرم نشأت.
١- الأحكام العامة في قانون العقوبات العراقي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٢م.
- أبراهيم : محمد زكي.
٢- مراقد أهل البيت في القاهرة ، راجعه وعلق عليه : محي الدين حسين يوسف الاسنوي ، ط٦ ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.
- الابياري : أبراهيم.
٣- نهاية المطاف الدولة الفاطمية ، ط٢ ، مطابع دارالشعب ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
- أحمد : أبراهيم علي محمد.
٤- المدخل إلى علم الاستخبارات رؤية أسلامية ، الدار السودانية للكتب ، السودان ، ٢٠٠٠م.
- أحمد : أحمد عبد الرزاق.
٥- البذل والبرطلة زمن السلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٦- تاريخ وآثار مصر الاسلامية منذ الفتح حتى نهاية العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

- أحمد : أحمد عبد الله.

٧- الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن ٦ ـ ٧ هـ ، ١٢ ـ ١٣م ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠١٦م.

- أحمد : محمود.

٨- جامع عمر بن العاص بالفسطاط من الناحيتين التاريخية والاثرية ، المطبعة الاميرية ببولاق ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

٩- دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٣٨م.

- أحمد : نريمان عبد الكريم.

١٠- المرأة في مصر في العصر الفاطمي ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

- أسماعيل : سهر سيد دسوقي.

١١- حكاية الاجور والاسعار في العصر الفاطمي (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ـ ١١٧١م) ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٥م.

- الأمين : حسن.

١٢- مستدركات أعيان الشيعة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٩م.

- الأمين : محسن.

١٣- أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الامين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، د.ت.

- الأميني : عبد الحسين أحمد النجفي.

١٤- الغدير في الكتاب والسنة والادب ، ط٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٧م.

- الأميني : محمد هادي.

١٥- عيد الغدير في عهد الفاطميين ، بنكوتن ، طهران ، ١٩٩٧م.

- الأنصاري : ناصر.

١٦- المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والادارية ، ط٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

- أنيس : أبراهيم ، ـ و منتصر : عبد الحليم ، ـ و الصوالحي : عطية ، ـ و أحمد : محمد خلف الله.

١٧- المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م.

- آيليسيف : نيكيتا.

١٨- الشرق الاسلامي في العصر الوسيط ، ترجمة : منصور أبو الحسن ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٦م.

- أيوب : أبراهيم رزق الله.

١٩- التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ١٩٩٧م.

- الباشا : حسن.

٢٠- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩م.

٢١- الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

- بحر العلوم : محمد.

٢٢- تاريخ الدولة الفاطمية (العزيز بالله ـ الحاكم بأمر الله) ، مراجعة وتحقيق : د. حيدر لفتة مال الله ، العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٨م.

- البدوي : خليل.

٢٣- موسوعة شهيرات النساء ، دار أسامة للنشر ، عمان ، ١٩٩٨م.

- البرواي : راشد.

٢٤- حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٤٨م.

- البغدادي : أسماعيل باشا.

٢٥- هدية العارفين ، مطبعة وكالة المعارف الجليلة ، إستانبول ، ١٩٥٥م.

- بهنام : رمسيس.

٢٦- النظرية العامة للقانون الجنائي ، ط٣ ، شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٧١م.

- بهنسي : أحمد فتحي.

٢٧- العقوبة في الفقة الاسلامي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٣م.

- بني خالد : موسى أحمد.

٢٨ - دور القبائل البربرية في العلاقات السياسية الفاطمية والأموية بالأندلس ، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، أربد ، ٢٠٠٤م.

- بيومي : علي.

٢٩- قيام الدولة الايوبية في مصر ، دار الفكر الحديث للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٢م.

- تاجر : جاك.

٣٠- أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢م.

- تامر : عارف.

٣١- الحاكم بأمر الله خليفة . وامام . ومصلح ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٣٢- المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٣٣- الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين الخليفة الثامن : المستنصر بالله ، دار الجيل ، لا.م ، ١٩٨٠م.

- جب : هاملتون أ . ر.

٣٤- صلاح الدين الايوبي دراسات في التاريخ الاسلامي ، تحرير : د. يوسف أبيش ، ط٢ ، دار بيسان للنشر والتوزيع والاعلام ، بيروت ، ١٩٩٦م.

- جمال الدين : عبد الله محمد.

٣٥- الدولة الفاطمية . قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١م.

- الجميلي : رشيد عبد الله.

٣٦- دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، مطبعة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٤م.

- الجوابرة : فاطمة.

٣٧- موسوعة الخلفاء ، دار صفاء ، عمان ، ٢٠٠٤م.

- جونز : أ. هـ. م.

٣٨- مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ترجمة : د. أحسان عباس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٧م.

- أبو حبيب : سعدي.

٣٩- القاموس الفقهي ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨م.

- الحريري : سيد علي.

٤٠- الاخبار السنية في الحروب الصليبية ، المطبعة العمومية ، القاهرة ، ١٨٩٩م.

- حسن : حسن أبراهيم.

٤١- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط١٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦م.

٤٢- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريه وبلاد العرب ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

٤٣- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٣٢م.

- حسن ، ـ و شرف : طه أحمد.

٤٤- المعز لدين الله أمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، مطبعة الشبكشي ، القاهرة ، د.ت.

- حسن : علي أبراهيم.

٤٥- تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

- حسين : محمد كامل.

٤٦- في أدب مصر الفاطمية ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، د.ت.

- حلمي : أحمد كمال الدين.

٤٧- السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٧٥م.

- الحياري : مصطفى.

٤٨- الإمارة الطائية في بلاد الشام ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٧م.

- الخربوطلي : علي حسني.

٤٩- العزيز بالله الفاطمي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت.

٥٠- غروب الخلافة الاسلامية ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، د.ت.

- خضر : عبد الفتاح.

٥١- الجريمة وأحكامها في الاتجاهات المعاصرة في الفقه الإسلامي ، دار البحوث العلمية ، الرياض ، د.ت.

- خلف : محمود محمد.

٥٢- ثورات المصريين في العصر الفاطمي (٩٦٩ – ١٠٣٥م) ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٢م.

- خليل : محمد محمود.

٥٣- الاغتيالات السياسية في مصر (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م) ، مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

- دخيل : محمد حسن.

٥٤- الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩م.
- دعكور : عرب حسين.
٥٥- تاريخ الفاطميين والزنكيين والايوبيين والمماليك وحضاراتهم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠١٠م.
- الدغمي : محمد راكان.
٥٦- التجسس وأحكامه في الشريعة الاسلامية ، ط٢ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥م.
- الدوري : تقي الدين عارف.
٥٧- صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامي . من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م.
- الدوري : عبد العزيز.
٥٨- النظم الاسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٨م.
- دوزي : رينهارت.
٥٩- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : د. أكرم فاضل ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠١٢م.
٦٠- تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه : جمال الخياط ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٠م.
- رمزي : محمد.
٦١- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
- رنسيمان : ستيفن.
٦٢- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨م.
- الريطي : ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم .
٦٣- دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية . وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
- زامباور : أدوارد فون.

٦٤- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، أخرجه : د. زكي محمد حسن بك ــ و حسن أحمد محمود ، أشترك في ترجمة بعض فصوله : د. سيدة أسماعيل كاشف ــ وحافظ أحمد حمدي ــ و أحمد ممدوح حمدي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٠م.

- الزبيدي : محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي.

٦٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤م.

- الزركلي : خير الدين.

٦٦- الأعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م.

- زكي : عبد الرحمن.

٦٧- الجيش المصري في العصر الاسلامي من الفتح العربي إلى معركة المنصورة ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

٦٨- السيف في العالم الاسلامي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

- أبو زهرة : محمد.

٦٩- الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ــ الجريمة ــ ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

٧٠- الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ــ العقوبة ــ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت.

- الساعاتي : أسامة حسن.

٧١- الجريمة والعقوبة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣م.

- سالم : السيد عبد العزيز.

٧٢- تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة الاسلامية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٨٢م.

٧٣- تاريخ المغرب العربي الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر (العصر الاسلامي) .دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية ، مطبعة م.ك ، الاسكندرية ، ١٩٦٦م.

٧٤- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، د.ت.

- السامر : فيصل.

٧٥- الدولة الحمدانية في الموصل والحلب ، مطبعة الايمان ، بغداد ، ١٩٧٠م.

- السامرائي : كمال.

٧٦- مختصر تاريخ الطب العربي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥م.

- السراج : عبود.

٧٧- التشريع الجزائي المقارن في الفقه الاسلامي والقانون السوري المبادئ العامة ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، ١٩٧٦م.

- سرور : محمد جمال الدين.

٧٨- الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٧٩- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

٨٠- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

٨١- سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

- سلام : محمد زغلول.

٨٢- الادب في العصر الفاطمي ، منشأة المعارف للنشر ، الاسكندرية ، د.ت.

- السلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.

٨٣- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري – و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م.

- سلطان : عبد المنعم عبد الحميد.

٨٤- الأسواق في العصر الفاطمي دراسة وثائقية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٥م.

٨٥- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية ، دار الثقافة العلمية ، الاسكندرية ، ١٩٩٩م.

- سيد : أيمن فؤاد.

٨٦- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

- شادي : تيسير محمد محمد.

٨٧- الفساد في الدولة الفاطمية « ــ سياسياً ــ إدارياً ــ إجتماعياً ــ إقتصادياً » ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ٢٠١٥م.

- الشاذلي : فتوح عبد الله.

٨٨- أساسيات علم الإجرام والعقاب ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠٠٩م.

- الشالجي : عبود.

٨٩- موسوعة العذاب ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، د.ت.

- شتا : السيد علي.

٩٠- علم الاجتماع الجنائي ، مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ١٩٩٧م.

- شلبي : أحمد.

٩١- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ط٢ ، مطابع الدجوي ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

- الشهابي : حيدر أحمد.

٩٢- تاريخ الامير حيدر أحمد الشهابي المعروف بـــ (الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان) ، مطبعة السلام ، القاهرة ، ١٩٠٠م.

- الشوربجي : أمينة أحمد أمام.

٩٣- رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

- الشيال : جمال الدين.

٩٤- تاريخ مصر الاسلامية ، ط٢ ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.

٩٥- مجموعة الوثائق الفاطمية ووثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.

- الشيخلي : صباح أبراهيم سعيد.

٩٦- الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦م.

- شير : آدي.

٩٧- الألفاظ الفارسية المعربة ، ط٢ ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

- صالح : حسن محمد.

٩٨- حضارة مصر في ظل الاسلام الشيعي . مئتان وعشر سنوات من الإبداع الانساني ، دار الجمان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

- صالح : خولة عيسى.

٩٩- الرقابة الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠١م.

- الصالح : صبحي.

١٠٠- النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ، أمير ، قم ، ١٩٩٧م.

- الصاوي : أحمد السيد.

١٠١- كشف المستور من قبائح ولاة الامور ، ستار برس للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

١٠٢- مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨م.

- صدقي : عبد الرحيم.

١٠٣- الجريمة والعقوبة في الشريعة الاسلامية ، دار الشباب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٧م.

- الصلابي : علي محمد.

١٠٤- الدولة الفاطمية ، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

- أبن أبي الضياف : أحمد بن أبي الضياف بن عمر.

١٠٥- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٦٣م.

- الطبسي : نجم الدين.

١٠٦- النفي والتغريب ، مؤسسة الهادي ، قم ، ١٩٩٦م.

- طقوش : محمد سهيل.

١٠٧- تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧م.

- الطيار : هيفاء عاصم.

١٠٨- صفحات من التاريخ الفاطمي ، دار ومكتبة عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٤م.

- أبن عابدين ، محمد أمين.

١٠٩- رد المحتار على الدر المختار، تحقيق وأشراف : مكتبة البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥م.

- عاشور : سعيد عبد الفتاح.

١١٠- الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠١٠م.

١١١- مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٩م.

١١٢- مصر والشام في عصر دولة الايوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢م.

- عامر : فاطمة مصطفى.

١١٣- تاريخ أهل الذمة في مصر الاسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ت.

- العبادي : أحمد مختار.

١١٤- في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ت.

- عباس : أحسان.

١١٥- الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي . العالم الشاعر الناثر الثائر (٣٧٠ – ٤١٨ هـ) دراسة في سيرته وأدبه مع ما تبقى من أثاره ، دار الشرق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٨م.

- عبد الجواد : توفيق أحمد.

١١٦- تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

- عبد المنعم : محمود عبد الرحمن.

١١٧- معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، د.ت.

- عبد الوهاب : حسن حسني.

١١٨- تاريخ المساجد الاثرية ، دار الكتب المصرية للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦م.

- العريني : السيد الباز.

١١٩- الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د.ت.

- عطا الله : خضر أحمد.

١٢٠- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت.

- علي : جواد.

١٢١- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، منشورات جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٩٣م.

- علي : سيد أمير.

١٢٢- مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، نقله إلى العربية : رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨م.

- علي ، محمد كرد.

١٢٣- خطط الشام ، المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٢٥م.

- عمارة : محمد.

١٢٤- عندما أصبحت مصر عربية إسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

- العمايرة : محمد عبد الله سالم.

١٢٥- الجيش الفاطمي (٢٩٧ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٠٩ ـ ١١٧١م) ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠م.

- عودة : عبد القادر.

١٢٦- التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٠م.

- عوض الله : الأمين محمد.

١٢٧- أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٤م.

- عنان : محمد عبد الله.

١٢٨- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

١٢٩- مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

- فتح الله : أحمد.

١٣٠- معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، مطابع المدخول ، الدمام ، ١٩٩٥م.

- فكري : أحمد.

١٣١- مساجد القاهرة ومدارسها العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

- فكري : عبد الله باشا.

١٣٢- الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية ، ط٤ ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة ، ١٨٩٣م.

- فوكو : ميشيل.

١٣٣- المراقبة والمعاقبة ولادة السجن ، ترجمة : د. علي مقلد ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، ١٩٩٠م.

- قاسم : قاسم عبدة.

١٣٤- أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

١٣٥- الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الاولى (١٠٩٥ ــ ١٠٩٩م) ، ط٢ ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٨م.

١٣٦ - اليهود في مصر منذ الفتح الاسلامي حتى الغزو العثماني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م.

- قلعجي : محمد.

١٣٧- معجم لغة الفقهاء ، ط٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨م.

- قنواتي : جورج شحاته.

١٣٨- المسيحية والحضارة العربية ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤م.

- القوصي : عطية.

١٣٩- تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م.

- كاشف : سيدة أسماعيل.

١٤٠- مصر في فجر الاسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

- كاشف ، ـ و سرور : جمال الدين ، ـ وعاشور : سعيد عبد الفتاح.

١٤١- تاريخ مصر الاسلامية ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم رمضان ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

- كاشف الغطاء : محمد حسين.

١٤٢- أصل الشيعة وأصولها ، تحقيق : علاء آل جعفر ، ستارة ، قم ، ١٩٩٤م.

- الكجوري : محمد باقر.

١٤٣- الخصائص الفاطمية ، ترجمة : سيد علي جمال شرف ، مطبعة شريعت ، قم ، ٢٠٠٢م.

- كحالة : عمر رضا.

١٤٤- معجم قبائل العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨م.

١٤٥- معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى للنشر ، بيروت ، د.ت.

- لاين : أدوارد وليم.

١٤٦- عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم مصر ما بين (١٨٣٣ ــ ١٨٣٥م) ، ترجمة : سهير دسوم ، ط٢ ، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة ، ١٩٩٩م.

- اللبابيدي : أحمد بن مصطفى الدمشقي.

١٤٧- معجم أسماء الاشياء المسمى : اللطائف في اللغة ، دراسة وتحقيق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، د.ت.

- لويس : أرشيبالد

١٤٨- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ــ ١١٠٠م) ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

- لينبول : ستانلي.

١٤٩- سيرة القاهرة ، ترجمة : د. حسين أبراهيم حسن ــ و د. علي أبراهيم حسن ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥١م.

- ماجد : عبد المنعم.

١٥٠- الأمام المستنصر بالله الفاطمي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

١٥١ - التاريخ السياسي للدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين ، ط٤ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

١٥٢- الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

١٥٣- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي ، ط٤ ، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

١٥٤- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ط٣ ، مكتبة الانجلو المصرية للنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

- ما ير : ل . أ .

١٥٥- الملابس المملوكية ، ترجمة : صالح الشيتي ، مراجعة وتقديم : د. عبد الرحمن فهمي محمد ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

- مبارك : علي .

١٥٦- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ط٢ ، دار الكتب القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م.

- متز : آدم.

١٥٧- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، أعد فهارسه : رفعت البدراوي ، ط٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.

- محاسنة : محمد حسين.

١٥٨- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي ، مطبعة البيان ، دمشق ، ٢٠٠١م.

- محمد : محمد كمال السيد.

١٥٩- أسماء ومسميات من تاريخ مصر القاهرة ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م.

- محمود : سلام شافعي.

١٦٠ - أهل الذمة في مصرفي العصر الفاطمي الاول ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٥م.

- مسعد : محمد مصطفى.

١٦١ - الاسلام والنبوة في العصور الوسطى . بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر ميلادي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٠م.
- مسعود : جبران.
١٦٢ - الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الاولى ، ط٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢م.
- مشرفة : عطية مصطفى.
١٦٣- نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٨م.
- المظفري : محمد حسين.
١٦٤- تاريخ الشيعة ، ط٢ ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩م.
- المعاضيدي ، خاشع عيادة.
١٦٥- الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (٣٥٩ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦م.
- مغنية : محمد جواد.
١٦٦- الشيعة والحاكمون ، ط٥ ، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع ، النجف الاشرف ، ١٩٨١م.
- المقحفي : ابراهيم احمد.
١٦٧- معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع ، صنعاء ، ٢٠٠٢م.
- مقديش : محمود.
١٦٨- نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار ، تحقيق : علي الزواري ـ و محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨م.
- المناوي : محمد حمدي.
١٦٩- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
- منصور : أسحاق أبراهيم.
١٧٠- موجز في علم الاجرام وعلم العقاب ، ط٢ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩١م.
- النخيلي : درويش.
١٧١- السفن الاسلامية على حروف المعجم ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٧٤م.
- نصار : موسى راضي.

١٧٢- نظام الحسبة في الاسلام بين التنظير والتطبيق ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٢م.

- الهاشمي : عبد المنعم.

١٧٣- موسوعة تاريخ العرب ، دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٦م.

- هلال : عماد.

١٧٤- البغايا في مصر دراسة تاريخية اجتماعية (من ١٨٣٤ ـ ١٩٤٩م) ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م.

- آل ياسين : محمد حسين.

١٧٥- معجم النباتات والزراعة ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦م.

- اليافي ، عبد الكريم.

١٧٦- معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، الشركة المتحدة للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٢م.

ثالثاً : **الدوريات والابحاث**.

- الحموي : أسامة محمد منصور.

١- عقوبة النفي (دراسة مقارنة في الفقه الاسلامي والقانون) ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ١٩ ، العدد الثاني ، السنة ٢٠٠٣م.

- الشرع : ماجدة مولود رمضان.

٢- طبيعة العمل التجاري لتجار الجاليات الاجنبية في مصر الفاطمية ، المجلة الليبية العالمية ، جامعة بنغازي ، كلية التربية ـ المرج ، العدد ١٦ ، السنة ٢٠١٧م.

- الطائي : سناء عبد الله عزيز.

٣- انطاكيه مدينة العواصم في القرنين الثالث والرابع للهجرة – التاسع والعاشر للميلاد ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ٦٠ ، السنة ٢٠١١م.

- العابد : صالح.

٤- الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة ، مجلة المورد ، المجلد ١٦ ، العدد ٤ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، السنة ١٩٨٧م.

- العبادي : أحمد مختار.

٥- سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد ٥ ، العدد ١-٢ ، مطبعة الدراسات الاسلامية ، مدريد ، السنة ١٩٥٧م.

٦- من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، العدد ١ ، الكويت ، السنة ١٩٨٠م.

- عبد الباقي : نهلة أحمد ، - و الجالودي : عليان عبد الفتاح .

٧- سيدات القصور ودورهن في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٦٢ ــ ٥٦٧ هــ / ٩٧٢ ــ ١١٧١م) ، المجلد الاردنية للتاريخ والاثار ، المجلد ٧ ، العدد ٢- ٣ ، السنة ٢٠١٣م.

- عبد العزيز : ثناء عبد العظيم.

٨- وسائل التصفية في مصر في العصر الفاطمي الاول (٣٥٨ ــ ٤٨٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١٠٩٤م) ، حولية كلية اللغة العربية ، جامعة الزقازيق ، العدد الثامن والثلاثون ، د.ت.

- عطية : وسيم عبود.

٩- الوجود الايوبي في مصر دراسة في النشأة والتوسع ، بحث قيد النشر في مجلة آداب الكوفة - كلية الآداب ــ جامعة الكوفة.

- عطية : ــ و عبد الحسين ، غفران محمد.

١٠- الجرائم في العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٤٢٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١٠٣٥م) دراسة تاريخية ، بحث قيد النشر في مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة.

- علاوي : عمار مرضي ، ــ و داود : منى علي.

١١- جوانب من الحياة الاجتماعية في مصر الفاطمية . في ضوء كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين لابن الطوير ، مجلة مداد الآداب ، العدد السابع عشر ، د.ت.

- الكيلاني : جمال زيد.

١٢- مقاصد العقوبة في الشريعة الاسلامية ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الانسانية ، المجلد ٢٨ ، العدد ١ ، السنة ٢٠١٤م.

- لقبال : موسى.

١٣- حركة الصراع بين الامويين والفاطميين في القرن الرابع الهجري ــ العاشر الميلادي من خلال مجالس النعمان ومقتبس ابن حيان ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، العدد ٢١ ، السنة ١٩٨٢م.

- مال الله : حيدر لفتة سعيد ، - و الحدراوي : وسيم عبود عطية.

١٤- التشهير في العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٤٢٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١٠٣٥م) دراسة تاريخية ، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية ــ جامعة الكوفة ، العدد ١٥ ، السنة ٢٠١٤م.

- محمد : هيفاء عاصم.

١٥- سجون مصر والقاهرة في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار للمقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والنفسية ـ جامعة بابل ، العدد الثامن عشر ، السنة ٢٠١٤م.

١٦- وسائل التسلية والترفيه في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧١م) ، مجلة كلية التربية ـ الجامعة المستنصرية ، العدد ٦ ، السنة ٢٠١٦م.

- محمد : ـ و العابدي : حيدر مزهر ، ـ و حميد : انتهاء خالد.

١٧- الخلع والتكريم في كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا للمقريزي (٨٤٥هـ / ١٤٤١م) (٢٩٧ ــ ٤١١ هـ / ٩٠٩ ــ ١٠٢٠م) ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العدد السابع عشر ، السنة ٢٠١٤م.

- مرهج : ريم هادي.

١٨- دور الوزير الفاطمي اليازوري وسياسته الداخلية والخارجية لمصر ، مجلة التراث العلمي العربي ، العدد الرابع ، السنة ٢٠١٧م.

رابعاً : **الرسائل والأطاريح الجامعية**.

- البهادلي : خلود عبد غركان .

١- التسامح في ظل الحكم الفاطمي في مصر (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ٢٠١٦م.

- الحدراوي : وسيم عبود عطية.

٢- أثر الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨ ـ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧١م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، ٢٠٠٩م.

٣- الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ / ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) دراسة في سياسته الداخلية والخارجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٤م.

- حطاب : سعداوي.

٤- عقوبة الاعدام دراسة مقارنة بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة وهران ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ، الجزائر ، ٢٠٠٨م.

- زيادة : أحمد السيد محمد.

٥- التجار الاجانب في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقاقيق ، كلية الآداب ، ٢٠٠٧م.

- سمور : أسامة أحمد محمد.
٦- الجرائم السياسية في التشريع الجنائي الاسلامي (دراسة فقهية مقارنة) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٩م.
- سيد : عبد الله عيد كمال.
٧- التجسس في العصرين الايوبي والمملوكي (٥٦٧ ـ ٩٢٣ هـ / ١١٧١ ـ ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنصورة ، كلية الآداب ، ٢٠١١م.
- الشرقي : مها عبد الله نجم.
٨- المراسيم الدينية للدولة الفاطمية في مصر (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ـ ١١٧١م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٧م.
- الطيار : هيفاء عاصم محمد.
٩- مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ـ ١١٧١م) دراسة في النظم السياسية والمعالم الحضارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، ٢٠٠٥م.
- عبد علي : أحمد آدم.
١٠- أساليب الدولة الفاطمية في تثبيت السلطة (٣٥٨ ـ ٤٢٧ هـ) ـ دراسة تاريخية ـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠١٩م.
- عرشوش : سفيان.
١١- الجرائم الماسة بأمن الدولة الداخلي دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ، كلية الحقوق والعلوم الانسانية ، الجزائر ، ٢٠١٦م.
- علوان : كفاية.
١٢- جرائم التخويف في الفقه الاسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاسلامية ـ غزة ، كلية الشريعة والقانون ، فلسطين ، ٢٠٠٩م.
- عليلي : عبد الصمد.
١٣- الجريمة بين المفهوم القانوني ومدلولاتها في مخيلة الافراد وثقافتهم ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أبو بكر بلقايد ـ تلمسان ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، الجزائر ، ٢٠١٣م.
- لفتة : أحمد هاشم.

١٤- موقف المماليك من الاقليات الشيعية في مصر وبلاد الشام (٦٤٨ ــ ٩٢٣هـ / ١٢٠٥ ــ ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠١٨م.

- لمقدم : حمر العين.

١٥- الدور الاصلاحي للجزاء الجنائي ، أطروحة دكتوراه غير منشوره ، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر ، ٢٠١٥م.

- مال الله : حيدر لفتة سعيد.

١٦- المعز لدين الله الفاطمي وأثره في المغرب ومصر (٣٤١ ــ ٣٦٥هـ / ٩٥١ ــ ٩٧٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥م.

- المسعودي : دعاء سعود حسون نايف.

١٧- الأغتيال السياسي في الدولة الفاطمية (٢٩٧ ــ ٥٦٧هـ / ٩٠٩ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٣م.

- المسعودي : فرح علي نجم.

١٨- السياسة الاقتصادية للدولة الفاطمية وأثرها في أسواق القاهرة (٣٥٨ ــ ٥٦٧هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٣م.

- المعموري : عباس علاوي.

١٩- النظام القضائي في مصر في عهد الدولة الفاطمية (٢٩٧ ــ ٥٦٧هـ / ٩٠٩ ــ ١١٧١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، ٢٠٠٤م.

- الوخيان ، عيسى محمد سليمان.

٢٠- القضاء في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ــ ١١٧٢م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة مؤتة ، عمادة الدراسات العليا ، الاردن ، ٢٠٠٥م.

خامساً : الانترنت.

- رضوان : يمنى.

١- أصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي (٢٩٧ ــ ٥٦٧هـ / ٩٠٩ ــ ١١٧١م) ، جامعة الفيوم ، كلية الآداب www.fayoum.edu.eg/staffabstract/DrYomna5.pdf

(B)

For the penalties topic; the Fatimid state, in attempt to maintain security and discipline, and restraining criminals who tamper with its internal or external security, in addition to punish those who neglect, abuse and exploit their job duties towards the public, it used and adopted many penalties.

It was known for some of Fatimid caliphs that they were very rigid and serious with the criminals who committed major crimes within society, whether they were senior men and employees or among the public, so they did not hesitate to implement the appropriate punishment against them to put an end to crime and prevent its spread in all its types, which constitutes an important and decisive factor in the prevalence of security and stability in society, as well as in increasing the public confidence in the various state agencies.

Abstract

The Fatimid era (358-567A.H./969-1171A.D) had witnessed a great number of crimes where there were many motives for committing crimes; the political and administrative motives were of the main ones that encouraged many of the rulers, ministers and important leaders in the Fatimid state to commit crimes aiming to hold and maintain the job and to get rid of the opponents and protestants and to enjoy ruling without competition.

The desire that they had and the employees who were assigned to high-ranking positions in the sensitive state apparatus to obtain money and wealth through illegal gain at the expense of the pubic , which made some of them the owners of money , influence and luxury , and this would have contributed greatly to committing some Crimes within society.

The weakness of some of the Fatimid state's rulers, their disability to control affairs and the interference of some high-ranked employees in machining decisions, as well as the continuous conflict among the Fatimid army's elements resulted in a serious confusion in the state which encouraged the bad people to commit crimes.

The crimes diverse and expand , which constituted a real threat to the authority of the state, which negatively affected the overall general situation through insecurity and disintegration within society, the spread of immoral matters , and the desire of some external parties to control and seize the lands of the Fatimid state.

In addition , the deteriorating economic and living conditions experienced by the Fatimid state , which reached its severity during the era of Al-Mustansir Billah, were the min motive and motive for the occurrence of many and the worst crimes in society during that period.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
University of Kufa
College of Arts
Department of History



Crimes and Penalties in the Fatimid Era (358-567A.H./969-1171A.D) A Historical Study

A Thesis

Submitted by:-

Ra'id Selah Shimal

To:-

The Council of the College of Arts / University of Kufa
As A Partial Fulfillment of The Requirements for M.A. Degree in Islamic History

Supervised by :-

Prof. Dr. Weseem Abood Atyiah

2020A.D **1442A.H**